د. عائض القرني

سنابل وقنابل

obeikandl.com

العبيكان
Obeikan

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عائض بن عبدالله

سنابل وقنابل./ عائض بن عبدالله القرني.- ط٢ .- الرياض، ١٤٢٩هـ

٢٤٠ ص؛ ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ٩-٤٤٨-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

١. الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٣٥١ / ١٤٢٩

رقم الإيداع: ١٣٥١ / ١٤٢٩

ردمك: ٩-٤٤٨-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر العبيكان Obeikan للنشر

الرياض-شارع العليا العام-جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ - ٢٩٣٧٥٨١ / فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض-العليا-تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤ / فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

obeikandl.com

obeikandl.com

المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
الإسلام والعالمية	١١
شكراً للمنصفين	١٤
الضحك على الذقون	١٩
خطاب النخبة	٢٣
فن الحياة	٢٦
القوة العادلة	٢٩
صح النوم يا عرب	٣٣
من قتل الحسين؟	٣٧
يا فخامة الرئيس	٤٠
نشرة الأخبار	٤٣
السلام في البلد الحرام	٤٧
الخليجيون و سوق الأسهم	٥١
العرب لا يقرؤون	٥٥
اشكر حـــسّادك..!	٥٩
الكفاءة في النسب	٦٢
العفو العام	٦٦
هل يجوز بيع دم القتيل..؟	٧٠

obeikandl.com

أنقذونا من سرطان العصبية القبلية ٧٣
هواة الفتوى يُغرِقون السفينة ٧٦
أعوذ بالله من السياسة ٨٠
كفى تشويهاً للإسلام ٨٥
الوصفة السحرية للحياة الزوجية ٨٨
اختطاف المشروع الإسلامي ٩٢
الشيخ الشيطان وعلاج المرضى ٩٥
لا تقتلوا الطفولة ٩٩
الإنسان المفترس..!! ١٠٣
ضحايا الوهم ١٠٧
صرخة فتاة ١١٠
وجّه (الدّربيل) إلى نفسك ١١٣
كن هابيل ولا تكن قابيل ١١٦
دعوة لتطبيع العلاقات ١٢٠
ابتســـــــم ١٢٣
ضحايا التقليد الأعمى ١٢٦
الأرض بتتكلّم أردو ١٢٨
ودِّع همومك ١٣١
أين عشَّاق البيان؟ ١٣٣
اللغة العربية في خطر ١٣٦
بشِّروا ولا تنفِّروا ١٣٨

أوقد شمعة ولا تلعن الظلام ١٤١
اخلع النظارات السوداء ١٤٤
أكبر كذبة في التاريخ ١٤٧
نقد التعليم الديني ١٥٠
إذاعة القرآن في تونس ١٥٣
أغلقوا محاكم التفتيش ١٥٦
الإسلام السياسي في مأزق ١٥٩
الفكر العربي بلا هوية ١٦٣
أيام في جاكرتا ١٦٧
أيتها العير إنكم لسارقون ١٧٠
كفوا عن النياحة ١٧٣
لقاء خادم الحرمين للبابا ١٧٦
يا مشعل المبتهج ١٧٩
نحن العرب قساة جفاة ١٨٣
امرأة تنادي، فهل من مجيب؟ ١٨٦
أيام في طهران ١٨٩
ثقافة الموت ١٩٢
كارثة : (قَبِيلي وخَضِيري) ١٩٥
لا تحزن يا مشعل السديري ١٩٩
ما هي حقيقة العيد ٢٠٢
وإنك لعلى خلق عظيم ٢٠٥

الإرهاب الفكري ٢٠٨
العمل أو الموت ٢١١
الحج والنجاح الباهر ٢١٤
مستعدون لحوار الأديان ٢١٨
الملك عبدالعزيز قائد الثورة ٢٢١
من هو الإرهابي؟ ٢٢٤
يا عقلاء السنة والشيعة ٢٢٧
شيوخ الفضائيات ٢٣٠
إنصاف الغرب لا يعني اتباعه ٢٣٣
النفاق الاجتماعي ٢٣٧

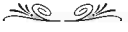

obeikandl.com

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

هذا كتاب (سنابل وقنابل) كل سنبلة تحمل حبّاً وسلاماً ومودة، وكل قنبلة تحمل رداً مفحماً، وجواباً مسكتاً، وبرهاناً ساطعاً، بل إن الحياة كلها سنابل وقنابل، فهي سِلمٌ وحرب، وحب وبغض، وخوف ورجاء، وسرور وحزن، من هنا كانت فكرة (سنابل وقنابل)، وقد حرصتُ في هذا الكتاب على قصد الحق وبيان الدليل وكشف اللبس وإسداء النصح، الآية مع الحديث، والقصة بجانب القصيدة، والطرفة ترافق المثل. وهي مقالات كنت قد نشرتها في جريدة الشرق الأوسط الدولية.

د. عائض بن عبدالله القرني

obeikandl.com

الإسلام والعالمية

الإســـلام عالمـــي من أول وهلة ﴿ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ولا بد لحَمَلته ودعاته من الإيمان بفكرة عالمية الإســـلام، وبالتالي يحرصون على جمال صورته وتقديمه للعالم في أبهى حُلّة، بحيث يكون إسلاماً محبوباً مقبولاً، إن الإسلام المشوّه الذي قدمه البعض ليس هو الإسلام الجميل الذي أتى به محمد بن عبدالله ﷺ، إن إســـلامنا دين ســـلام كما يدل عليه اســـمه، ودين أمن ودين عدل ودين تسامح لا ظلم فيه ولا قهر ولا عدوان ﴿ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

فكيف نقنع العالم بعدالة قضيتنا وسماحة دعوتنا، إذا قدمنا لهم إسلاماً حاداً متشنجاً يهدد أمن الناس وحياتهم، لا بد من أن يعيي العالم أن هذا الدين رحمة للإنسانية، يدعو إلى حياة آمنة للجميع فيها تعارف وتحاور وتواصل، ولهذا رحَّبت أمم الأرض بالإسلام من أول يوم، ودخل الناس فيه أفواجاً؛ لأنهم وجدوا فيه السلام لأنفسهم، والأمن لحياتهم، والبناء لمستقبلهم، رحَّب به بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، ومحمد الفاتح التركي، ونور الدين التركماني، وصلاح الدين الأيوبي الكردي، ومحمد إقبال الهندي، ومحمد علي كلاي الأمريكي، فمن يريد أن يحافظ على صورة الإسلام الجميلة فليحافظ على مقوماته التي بُعث بها الرسول الكريم ﷺ، ومنها التعارف والتواصل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن

ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ومنها فتح الحوار والإقناع ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ومنها عدم الإكراه والقهر بل الحجة والدليل ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ومنها الاعتراف بإنسانية الإنسان وحقه في الحياة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

وإن تقديم الإسلام بصورة مشوّهة لهو معضلة كبرى قام بها الجهلة من الغلاة أو الجفاة، وهؤلاء كانوا سبباً في صد الناس عن الإسلام، واتهامه ظلماً وعدواناً بأبشع الأوصاف كما قال المفكر محمد الغزالي: الإسلام قضية عادلة لكن المحامي فاشل، إذاً فنحن بحاجة لمحامٍ عن الإسلام عاقل رشيد، وبحاجة لمدعٍ عام حكيم ذكي، أما الأغبياء والحمقى فيحتاجون إلى حجْر صحي لمداواتهم، حتى يشفيهم الله من أمراضهم النفسية والفكرية.

ألا يسأل الإنسان نفسه ما سرُّ انتشار الإسلام في عشرات السنوات من سور الصين العظيم شرقاً إلى نهر الراين غرباً؟ أليس هذا دليلاً على عالميته وسماحته وجاذبيته؟ إن دول آسيا التي أسلم شعوبها لم يدخلها مقاتل مسلم ولا دبابة ولا صاروخ إنما دخلها تجار صالحون دعوا إلى الإسلام بأخلاقهم وتواضعهم وعدلهم فاستجاب لهم أهل تلك البلدان، إن مهمتنا كدعاة للإسلام أن نحرص على أن يدخل الناس الجنة بالإسلام ولو كانوا نصارى أو يهوداً أو بوذيين أو مجوساً، فقضيتنا معهم ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا

﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لما أرسل أمير المؤمنين أبا الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقتال اليهود في خيبر قال له: "**ادعهُم إلى لا إله إلا الله وأني رسول الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم**"، إذن ليست المهمة إنهاء الآخر بل إنقاذه من الضلال، وليس المطلوب بتعجيله إلى النار بل إدخاله الجنة بالهداية.

إننا بحاجة إلى وقفة تأمل وتعقل أمام قوله ﷺ: "**إنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**" وأمام قوله: "**بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا**"، لن يستجيب لنا أحد حتى يضمن الأمن والسلام لنفسه ولمستقبله، ولن ينصت لنا أحد حتى نحترم إنسانيته ونعطيه مكانته، الإسلام عالمي ولو أبى الرعاع، والإسلام رحمة ولو كره الغوغاء، والإسلام حياة ولو رفض الغلاة، عمر الإسلام أطول من أعمار المنتسبين إليه، وآفاقه أوسع من آفاق المقصرين عن فهمه، الإسلام جميل لكن لا يبصره أصحاب النظارات السوداء، قال المتنبي:

وَمَن يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَريضٍ
يَجِد مُرّاً بِهِ الماءَ الزُلالا

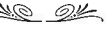

شكراً للمنصفين

حقٌ علينا أن نعترف للآخر إذا أنصف وأحسن، وفي القرآن: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ وفي هذا اعتراف لبعض أهل الكتاب بأنه محسن، وقد وقّع بعض مشاهير الغرب ونجومه شهادات صادقة في حق الإسلام ورسوله ﷺ، فهذا المؤرخ الفرنسي الشهير جوستاف لوبون يقول: ما عرف العالم فاتحاً أعدل ولا أرحم من محمد ﷺ، وهذه الشهادة زادت من قيمة هذا المؤرخ عند أهل الشرق من المسلمين، وشكره عليها العقلاء، وفي ديننا إنصاف لمن خالفنا إذا أجاد في باب من الأبواب، ففي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: "**لا تقوم الساعة إلا والروم أكثر الناس**"، والروم أجداد الأوروبيين والأمريكان فعلَّق على الحديث عمرو بن العاص بقوله: إنهم أمنع الناس لظلم الملوك، أي إنهم يعدلون فيما بينهم ولا يقرون الظلم في مجتمعاتهم، ولهذا كان كل عاقل شريف يحترم علمه وقلمه ينصف من خالفه؛ فيستحق بذلك وسام التقدير كما فعله الكاتب الأمريكي مايكل هارث في كتابه (العظماء المائة)، وهؤلاء العظماء يقصد بهم عظماء الخليقة منذ آدم إلى الآن، ولك أن تتصور من كاتب أمريكي أن يجعل العظيم الأول في كتابه هو محمد ﷺ؛ لأنه قصد الحقيقة فأرضى ضميره وصان اسمه من الحيف والزور، وإنما أسوق

هذه الأمثلة ليستفيق من يوقّع شهادات الزور ومن يصدر أحكاماً جائرة منّا على غيرنا ومن الآخر علينا.

إن من بني جلدتنا من لا يرى في الغرب إلا الهمجية والتحلل والحياة المادية والاستعلاء بالقوة ونحو ذلك من المعايب والمثالب، حتى إنني سمعتُ أحد العرب ممن يقيم في بريطانيا عبر قناة فضائية يصب جام غضبه على المجتمع الغربي، ويصفه بأبشع الصفات، وتساءلتُ: فلماذا يقيم بين أظهرهم ويدرس في جامعاتهم، ويستفيد من الخدمة المجانية من مؤسساتهم، بل يلجأ البعض إليهم بحجة الفرار من القهر والكبت، ثم تُفَاجَأ وإذا هو يهجوهم صباح مساء، ولا يعترف لهم بحسنة واحدة، والقرآن يرفض هذا المسلك المشين من تزوير الشهادات والظلم في الأحكام حتى مع الأعداء: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾.

وأيضاً فعند الغرب ساسة وكتّاب وفلاسفة ظلموا الإسلام ولم يعترفوا له بأي حسنة، فهو عندهم دين القهر وإلغاء الآخر وإقصاء المخالف والاستيلاء على مقدرات الغير، وهذا ظلم صارخ للإسلام، وكان الواجب على هؤلاء لو أرادوا الإنصاف أن يقرؤوا الإسلام بتجرد، وأن يحاكموه إلى المنطق والعقل، وأن يسلكوا مسلك أصحاب الضمير من مشاهيرهم كبرناردشو، والقائد نابليون والكسيس كارليل وغيرهم، والواجب علينا أيضاً

نحـــن أن ننصفهم فيما أجادوا فيه من رقي مادي وتقدم صناعي واقتصـــادي ونحوه، ولو لم يكن عند الغـــرب إيجابيات في نواحٍ كثيرة لما أقدم كثير من أبناء الشرق على اقتحام البحر هرباً إلى تلك البـــلاد، فمنهم من يغرق ومنهم من يخرج من البحر ســـالماً ليقول لســـان حاله وهو يلتفت إلى وطنـــه الأم: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ أحسنةٌ هذه للغرب أم سيئة؟

إن الإجحاف في الحكم من الطرفين الشرق والغرب أوصلنا إلى حالة تأزم في العلاقة، وضيق في الأفق، وانسداد في طريق التواصـــل والتحاور فكيف يقبل المســـلمون أفـــكار من يزعم أن الإســـلام دين ســـيف وعدوان، وكيف يقبل الغرب من يقول منا: إنهم قطيع من الأنعام ليس لهم أي خصلة حميدة، إن من يريد أن يلتقي مع الغير على مصالح مشتركة ويريد أيضاً أن يفهمه الآخر؛ فعليه أن يكون عادلاً منصفـــاً كما قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾.

وإن مصيبتنا مع مـــن خالفنا أنه لا ينصفنا فتجده يلغي كل حسنةٍ لديننا ويشطب على كل فضيلة لتاريخنا وبعدها يريد منّا أن ننصفه!! وأيضاً يقابل هذا طائفة منا تنظر لمن خالفها بنظارات ســـوداء ترى الدنيا كلها ســـواداً في ســـواد، والمنصفون حتى في مجتمعنا قليلون، وهم من يســـتحق الشكر والثناء الجزيل، وكثير من النـــاس من تحمله روح الانتقام على إصدار الأحكام الجائرة

في حق من خالفه ولو كان معه في دائرة الإسلام، فتجد لافتات التكفير والتفسيق والتبديع ويوحي لك بحكمه الظالم أن الجنة له ومن وافقه فحسب ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ وإنني أقول دائماً: الحمد لله الذي جعل مفاتيح الجنة عنده ولو كانت عند بعض الناس لما أدخل إلا من وافقه على رأيه ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾.

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بجلد رجل شرب الخمر فقال بعض الصحابة عن الشارب: لعنه الله، فأنكر عليه الرسول ﷺ قوله وقال له: لا تقل ذلك فإنه يحب الله ورسوله. فانظر لهذا الإنصاف لرجل اشتهر عنه كثرة شرب المسكر؛ لأن في الحديث أنه أُتي به مراراً ومع هذا فقد بيَّن الرسول الكريم ﷺ أن هذا الرجل يحمل حب الله وحب رسوله، فلا يجوز أن يُلعن، إنني لا أفسر عدم إنصاف الأشخاص أو الدول أو الشعوب أو الأفكار إلا بضيق الأفق، وركاكة العقل، ونقص العلم وضحالة الثقافة:

والذي نفسه بغير جمالٍ

لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

إن صاحب الكتاب الواحد والفن الواحد الذي لم يسمح لنفسه بالاطلاع والسماع والحوار لا يحق له أن يتصدر الجموع

ليصـــدر أحكاماً في حق الآخريـــن، إذن يصير من الواجب على حملة الأقـــلام وصنّاع الحرف ورواد المعرفـــة أن يقتلوا القضية بحثاً، وأن يســـتولوا على المســـألة دراســـةً واطلاعاً حتى يصلوا إلى الرسوخ العلمي: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ وحتى ينالـــوا اليقين المعرفي ويخرجوا من دائـــرة الوهم والظن: ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَـيْئًا ﴾، شـــكراً للمنصفين منا ومن غيرنا، وشكراً لأخينا وصديقنا أبي الطيب المتنبي حيث يقول:

وَلَـم تَـزَل قِلَّـةُ الإنصـاف قاطِعَةً
بَـينَ الرِجالِ وَلَو كانـوا ذَوي رَحِمِ

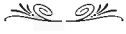

الضحك على الذقون

كثرة عدد السكان مع الجودة فضيلة عند الأمم، لكن الخطأ أن يكثر العدد بلا نفع ولا إنتاج، والإسلام يحث على طلب الذرية الطيبة الصالحة، ولكن إذا تحولت كثرة النسل إلى عبء اجتماعي صار هذا خطأ في التقدير، ونحن في الشرق أكثر الأمم نمواً سكانياً مع ضعف في التربية والتعليم، فقد تجد عند الواحد عشرين ابناً لكنه أهمل تأديبهم وتعليمهم فصار سهرهم في دبكة شعبية مع لعب البلوت وأكل الفصفص بلا إنتاج ولا عمل، بل صاروا حملاً ثقيلاً على الصرف الصحي والطرق والمطارات والمستشفيات، بينما الخواجة ينجب طفلين فيعتني بهما فيخرج أحدهما طبيباً عالميّاً والآخر يهبط بمركبته على المريخ، وأنا ضد جلد الذات؛ لكن ما دام الخطأ يتكرر والعلاج يستعصي فالبيان واجب.

ما زال بعض العرب يرفع عقيرته عبر الشاشات ويقول: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا، ثم تجده في علم الشرع لا يحفظ آية الكرسي، وفي علم الدنيا لم يسمع بابن خلدون وابن رشد، وتجد الغربي ساكتاً قابعاً في مصنعه أو معمله يبحث وينتج ويخترع ويبدع، أرجو من شبابنا أن يقرؤوا قصة أستاذ ثورة اليابان الصناعية "تاكيو أوساهيرا" وهي موجودة في كتاب (كيف

أصبحوا عظمـــاء؟) كيف كان طالباً صغيراً ذهب للدراســـة في ألمانيا، فكان ينســـلّ إلى ورشـــة قريبة فيخدم فيها خمس عشرة ســـاعة على وجبة واحدة، فلما اكتشف كيف يدار المحرك وأخبر الأمة اليابانية بذلك اســـتقبله عنـــد عودته إلى المطار إمبراطور اليابان، فلما أدار المحرك وسمع الإمبراطور هدير المحرك قال: هذه أحســـن موســـيقى ســـمعتها في حياتي، وطالب عربي في المتوسطة سأله الأستاذ: الكتاب لسيبويه مَنْ ألَّفه؟ قال الطالب: الله ورســـوله أعلم، والتمدد في الأجســـام على حســـاب العقول مأساة، والافتخار بالآباء مع العجز منقصة.

لن يعترف بنا أحد حتى نعمل وننتج فالمجد مغالبة والســـوق مناهبة، وإن النجاح قطرات من الآهات والزفرات والعرق والجهد، والفشـــل زخّات من الإحباط والنوم والتسويف، كن ناجحاً ثم لا تبالِ بمن نقد أو جرّح أو تهكم، إذا رأيت الناس يرمونك بأقواس النقد فاعلم أنك وصلت بلاط المجد وأن مدفعية الشـــرف تطلق لك إحدى وعشرين طلقة احتفاء بقدومك، ويعجبني قول صديقنا وزميلنا أبي الطيب:

لا يُـدرِكُ المَجـدَ إلا سَـيِّدٌ فَطِـنٌ
لِمـا يَشُـقُّ عَلـى السـاداتِ فَعّـالُ
لَـولا المَشَـقَّةُ سـادَ النـاسُ كُلُّهُـمُ
الجـودُ يُفقِـرُ وَالإِقـدامُ قَتّـالُ

لقد هجر الكثير منّا الكتاب وأصبح يعيش الأمية فلا يحفظ آيــةً ولا حديثاً ولا بيتاً، ولم يقرأ كتاباً ولم يطالع قصة ولا رواية، ولكنه علّق في مجلس بيته شــجرة الأنســاب؛ ليثبت لنا أنه من أســرة آل مفلس من قبيلة الجهلة، والوحي ينــادي ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنــدَ اللَّــهِ أَتْقَاكُمْ﴾، والتاريخ يخبرك أن بلالاً مولى حبشــي وهو مؤذن الإسلام الأول وأن جوهر الصقلي فاتح مصر وباني الأزهر بربري أمهُ تبيع الجرجير في مدينة ســبتة، ولكن النفس الوثّابة العظيمة لا تعتمد على عظام الموتى؛ لأن العصامي يشرّف قبيلته وأمته وشعبه ولا ينتظر أن يشرفه الناس.

لقد كان نابليون شــاباً فقيراً لكنه جــدّ واجتهد حتى أخذ التاج من لويس الرابع عشــر، وفتح المشــرق وصــار في التاريخ أســطورة، وهو القائل: الحرب تحتاج إلى ثلاثة: المال ثم المال ثم المال، والمجد يحتاج إلى ثلاثة: العمل ثم العمل ثم العمل.

لقد أرضينا غرورنا بمدح أنفســنا حتى ســكِرَ القلب بخمر المديح على مذهب جرير: أَلَستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا؟ وقد ركب الآخر بســاط الريح وإف ١٦ والكانكورد، ولو اجتمعنا ما أنتجنا ســيارة فلوكس واجن فضلاً عن كراسيدا، ورحم الله امرأ عرف تقصيــره فأصلح من نفســه، ولا بد من أن تقنع المريض بمرضه حتى يستطيع أن يعالج نفسه، على أني أعترف أن عندنا عباقرة ونوابــغ يحتاجون مراكز للبحوث ومؤسســات لرعايتهم ومعامل

ومصانع لاستقبال نتاجهم، لقد تركت اليابان الحرب وتابت إلى الله من القتال وتوجهت للعمل والإنتاج فصارت آيةً للسائلين.

سوف نفتخر إذا نظر الواحد منّا إلى سيارته وثلاجته وتلفازه وجواله فوجدها صناعةً محلية، وأرجو أن نقتصد في الأمسيات الشعرية فإن عشرة دواوين من الشعر لا تنتج صاعاً من شعير، يقول نزار قباني:

وطالعوا كتب التاريخ واقتنعوا

متى البنادق كانت تسكن الكتبا؟

وعلينا أن نعيد ترميم أنفسنا بالإيمان والعمل وتهذيب عقولنا بالعلم والتفكر، وهذا جوهر رسالتنا الربانية الخالدة، وطريق ذلك المسجدُ والمكتبةُ والمصنعُ، والخطوة الأولى مكتبة منزلية على مذهب الخليفة الناصر الأندلسي يوم ألزم الناس بإنشاء مكتبة في كل منزل وقراءة يومية مركزة، وهذا خير من مجالس الغيبة والقيل والقال وقضاء الوقت بالهذيان ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

خطاب النخبة

الشرائع السماوية خاطبت الجمهور بلغة قريبة سهلة، لكن المشكلة أن بعض الناس يصعّب العبارة ويعقّد المعلومة حتى لا يفهمه إلا نفرٌ يسير، فإذا تكلم تقعَّر وتشدَّق، والبياض إذا كثر أصبح برصاً، وكان ينبغي على رجال العلم والثقافة وحملة الأقلام عموماً أن يتنزّلوا بخطابهم إلى جماهير الناس، ولا ينتهي عجبي من كبار المثقفين وهم يلوكون مصطلحات لا يعرفها إلا ابن رشد وجان جاك روسو وفولتير.

ولقد سمعتُ أحد المفكرين الفلاسفة الكبار وقد جاوز الثمانين في إحدى القنوات وهو يتكلّم بحذر وتكلّف وتنطع، ثم سعل ثم عطس ثم تثاءب ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر، يحدثنا عن الجوهر والعَرَض عند سقراط ونظرية الشك عند ديكارت بعبارات ملغَّزَة كأنها طلاسم، فقلت في نفسي: من يفهم هذا الكلام؟ وبعض طلاب الجامعات العرب لا يعرف أسقراط صيني أم روسي أم من عمّال الفحم في ساحل العاج، وبقيتُ أشاهد هذا الفيلسوف وهو يعصر ذهنه ويقطّب جبينه؛ ليقول لنا: "إن المعرفة تنطلق من أُطر المصطلحات وتنبثق من بوتقة العلم غير المتناهي لنجد فيها الأفكار الماضويّة والإيديولوجيات حسب ذهنية المتلقي المحايد" فقلت: الحمد لله على السلامة، ورجعتُ إلى نصوص الوحي وكلام الأنبياء وحِكَم العلماء فوجدتُ

السهولة والإشراق والوضوح، هل نحن بحاجة حتى نثبت للناس أنا مثقفون وفلاسفة أن نمطرهم بمصطلحات غريبة شائكة يُصاب منها السامع والقارئ بدوار ودواخ؟ لمن نتحدث إذا كان جمهورنا لا يفهم ما نقول ولا يعي ما نكتب؟

إن التصعيب والتعسير يجيده الكثير ولكن التيسير والتسهيل لا يجيده إلا القليل، وكلام بعض الفلاسفة كلحم جملٍ غثٍّ في إناء من ذهب على رأس جبل وعر، فلا اللحم سمين يستحق أن يُحمل، ولا الجبل سهل يُرتقى فيه، ثم إن كثيراً من القضايا الفلسفية قد عفا عليها الزمن وجدّت هناك مصطلحات علمية، فلماذا نخاطب القوم بخطاب أرسطاطاليس وجالينوس، ولقد قرأنا لأساطين العلم والأدب شعراً ونثراً كالشافعي والجاحظ وابن تيمية والمتنبي فوجدنا إشراق العبارة، ووضوح الفكرة وسهولة الجمل وعذوبة اللفظ، بل إن بعض الأدباء يعدُّ مقدمة ابن خلدون لوحات أدبية جميلة مع العلم أن تونبي المؤرخ الإنجليزي الشهير يقول: "ما أنتج عقل بشري كمقدمة ابن خلدون».

إن بعض مثقفينا يحتاجون إلى دورات تدريبية مع كتب الجاحظ ولسان الدين الخطيب وابن الجوزي؛ ليخرجوا من عقدة التكلّف والأحاجي والألغاز التي يمطروننا بها صباح مساء وكأنها طلاسم المنجمين، إن أكبر مثقف في عالم الأدب عند العرب هو الجاحظ ومع هذا فما زال كلامه عذباً سهلاً يذوب رقةً ويفيض إشراقاً ويشع جمالاً كما قال ابن الرومي في محبوبته:

وحديثُها السحرُ الحلال لوَ انَّها

لم تجن قتلَ المسلم المتحرِّزِ

إنْ طال لم يُملَل وإن هي أوجزت

ودَّ المحدَّثُ أنها لم توجز

سلام على من أحسن الخطاب وطالع بيان القرآن الآسر؛ ليعيش تلك الفصاحة الباهرة مع ظهور المعنى وحسن السياق وجماليات التركيب، ولقد انبهر العلاّمة الزمخشري وهو أحد أساطين البيان العربي من أسرِ وفخامة وحلاوة القرآن بل لقد اندهشت قريش وهم روَّاد الفصاحة من هذا الكتاب الخالد، وأعلن الجميع عجزهم عن معارضته ومجاراته، بل عجبت منه الجن، وتواضع له الإنس، وسجد في محراب فصاحته العقل مع العلم أن القرآن ميسَّر في فهمه، سهل في معرفة مقاصده بخلاف كلام النخبة الذين وعَّروا مسلك الخطاب وصعَّبوا طريق الفهم على المتلقي، فصارت كتبهم جثثاً هامدة لا روح فيها ولا حياة، فصار يطبع من كل كتاب لهم ألف نسخة وباعوا منها ثلاثين نسخة بعد التخفيض، كما قال أحد فلاسفة العصر: إن الفلاسفة تقول كلاماً غير مفهوم إلى قوم لا يفهمون شيئاً، وبعض العباقرة يحسن تسهيل العبارة وتيسير المَعلومة ولكنه أحياناً يبتلى بلوثة فيصعِّب، ولهذا لما قال أبو الطيب المتنبي يمدح عضد الدولة:

فَما يُسمي كَفَنّا خُسرَ مُسم

وَلا يُكَني كَفَنّا خُسرَ كاني

ضحك منه الأدباء.

فن الحياة

نوِّع ثقافتك، شـــكِّل مواهبك، غاير بين حالتك في المعيشة، لأن الرتابة مملة، والاستمرار ســـأم، ولذلك تنوعت العبادات من صلاة وصيام، وزكاة وحج، وتنوعت الصلاة من قيام وقعود وركوع وسجود.

الزمن يتجدّد: ليل ونهار، وصيف وشتاء، حر وبرد، مطر وصحو.

المكان يتجدّد: جبل وســـهل، رابية وهضبة، غابة وصحراء، نهر وغدير.

الألوان تتجدّد: أبيض وأسود، أحمر وأصفر، أخضر وأزرق.

الحياة تتجدّد: فرح وحزن، محنة ومنحة، ولادة وموت، غنى وفقر، سلم وحرب، رخاء وشدة.

كان المأمـــون ينتقـــل في بيته وهـــو يقرأ، وأنشـــد قول أبي العتاهية:

لا يصلـح النفس ما دامت مدبّرة

إلاَّ التنقـل مـن حـال إلـى حـالِ

اجعـــل وقتاً للتـــلاوة، ووقتاً للتفكُّـــر، وثالثاً للذكـــر، ورابعاً للمحاســـبة، وخامســـاً للمطالعة، وسادســـاً للنزهة، وهكذا وزِّع العمر فيما ينفع.

النفـــس نفورة، والطبيعة متقلبة، والمزاج يتضجر، فحاول أن تكون مسافراً خرّيتاً، وتاجراً صيرفياً، تأخذ من كل شيء أحسنه، ومن كل فن أجمله.

إنّ كدّ النفس على طريقة واحدة، ونسج واحد، قتل لإشراقها وأشـــواقها، وإن أخذ الطبيعة بالصرامة المفرطة والجد الصارم انتحار لها.

ولكن ساعة وساعة، إن هناك بدائل من أعمال الخير، وأصول الفضائل، وسنن الهُدى، يمكن للعبد أن ينتقل بين حقولها، ويراوح بين جداولها.

ما أحسن الحديقة يوم تضم أشكال الزهور، وأنواع الفواكه، وســـائر الأذواق والطعوم، وكذلك حالات النفس وأطوارها، لا بد مـــن أن يكون عندها من ســـعة الأفق، ورحابة المعرفة، ووســـائل الحياة، وصنوف الهيئات المباحة ما يسعدها.

وإنّ كبْـــت النفس في مســـارات ضيقة ورتابـــة باهتة ما أنزل الله به من ســـلطان يجعل النفس ذاوية منهكة محطمة: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾.

والأجدر بالأنسان أن يضرب في كل غنيمة من أعمال الخير والبر بسهم:

يَومـاً يَمـانٍ إذا لاقَيـتُ ذا يَمَـنٍ

وَإن لَقيـتُ معَدِّيـاً فَعَدنانـي

فكـــن ذكياً في توزيع الوقت علـــى أعمالك، واعلم أنك بعقلك المبدع وفكرك الخلاَّب تحول كوخك الضيق إلى قصر مشيد، وقد

تحول بإحباطك وتشاؤمك حديقتك الغناء إلى مقبرة؛ لأن السعادة تنطلق من النفس وليس مما يحيط بالإنسان، فتجد العاقل لا يأنس لحياة الجسم فحسب بل يريد مُثُلاً عُليا وأهدافاً سامية، أما الجاهل فهمُّه مطعمه وملبسه كما قال صديقنا أبو الطيب:

ذو العَقلِ يَشقى في النَعيم بِعَقله

وَأَخو الجَهالَةِ في الشَقاوَةِ يَنعَمُ

الحياة جملية متى نظرت إليها بأمل وحب واستثمار، والدنيا سوداء كالحة متى نظرت إليها بنظارات سوداء كما قال إيليا أبو ماضي:

أترى الشوك في الورود وتعمى

أن ترى فوقه الندى إكليلا؟

إن قصيدة (أغنية الفجر) للشاعر العالمي (طاغور الهندي) ملخصها أنه سأل الله أن يرزقه مالاً ليشتري دراجة تحمله إلى السوق، ولكنه التفت فوجد رجلاً جالساً مبتور القدمين فصاح: يا ربي شكراً شكراً ما أريد دراجة تكفيني قدماي.

لماذا لا نستثمر عيوننا الجميلة وأيدينا القوية وقلوبنا الحية في صنع حياة كريمة؛ إنّ عندنا مواهب ربانية عظيمة لكن الكثير يعطلها ولا يستثمرها فيعيش منكداً محروماً، فلله الحمد على ما أنعم به.

القوة العادلة

الإسلام يأمر بالقوة العادلة لا الباغية الظالمة، يقول سبحانه: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾، ونهى عن الاعتداء بالقوة والظلم فقال: ﴿ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾، وأي حق في الأرض لا تحميه قوة إنما هو نهب مشاع، يقول أبو الطيب:

لا يَسلَمُ الشَرَفُ الرَفيعُ مِنَ الأَذى

حَتّى يُراقَ عَلى جَوانِبِهِ الدَّمُ

وقد قامت دولة الإسلام الأولى بالقوة العادلة فبسطت الأمن والسلام ونشرت الرحمة والعدل، وأنهت كيانات الظلم والاستبداد، وفي تاريخنا المعاصر قام الملك عبد العزيز آل سعود بمشروع الوحدة والتوحيد، وكنا قبل الوحدة خمس دول متناحرة متقاتلة وقبائل متصارعة متشاكسة فأنهى بالقوة العادلة السفك والسلب والنهب، ولو لم يقم بالقوة لما تمت الوحدة أبداً، وهذا جورج واشنطن وحَّد الولايات المتحدة الأمريكية بقوة الحديد والنار وكذلك بسمارك في ألمانيا، وهذا مجمع عليه عند عقلاء العالم غير الموسوسين والحمقى، والغرب الآن يمد ذراعاً قوية يملك بها الجو والبحر والبّر ولسان حاله يقول:

مَلأنا البَرَّ حَتّى ضاقَ عَنّا

وماء البَحر نَملأُهُ سَفينا

ولكن الغرب بالمقابل يريد منا نحن المسلمين أن نكون مهذّبين مؤدّبين سامعين طائعين حلوين طيبين متواضعين فإن سعينا إلى امتلاك القوة فنحن عندهم أشرار فجّار، وفرق بين القوة العادلة والإرهاب الممقوت الذي نرفضه بكل أشكاله وصوره، لكن أن نبقى ضعفاء منزوعي السلاح والدسم ليصدر بحقنا شهادة حسن سيرة وسلوك من أصحاب سجون قوانتنامو وأبي غريب ومجازر الفلوجة وبعقوبة وغيرها فهذا أمر ممجوج سمج، ثم هل عندنا عهد نطمئن إليه ونثق به من أصدقائنا وأعدائنا ألا يطلقوا علينا الرؤوس النَّووية لتصل من تلّ أبيب إلى الرياض مباشرة مع حسن النية طبعاً وحسن الجوار! لكن عن طريق الخطأ.

إن على السعودية وهي الدولة المحور في المنطقة أن تتنبَّه ألف مرة لما يحصل، فرسالتها وموقعها وحجمها يوجب عليها أن تكون الأقوى، فهي في الدين قِبلة، وفي الاقتصاد الأولى، وللرسالة المهد، وللعروبة العرين، لكن أخشى أن الثقة في الإخوان والجيران والفرس والرومان سوف تثمر واقعاً مريراً وتاريخاً مختلفاً، والأيام قادمة، والغيب مستور، وعلينا أن نُعدّ العدة بحماية مقدساتنا ورسالتنا وأمتنا، وأشكر صديقي الشاعر خلف بن هذال رضي الله عنه إذ يقول:

وإن دندنتْ طبلة الحـرَّاب دندنا

بآيـات حـقٍّ علـيّ وبـلال دندنها

ولي بيتان قلتُ فيهما:

كـن أحمرَ العينِ إن المجدَ منتهبٌ

وكـن فديتُـك مغضوبـاً ومرهوبا

لم ينفع الشاةَ في الدنيا سكينتُها

والليـثُ ما ضرَّه أن ليسَ محبوبا

ويجوز عند الحنفية والمالكية والشـافعية والحنبلية أن تكون الدولة قوية حتـى ولو صارت نووية وإلا أصبحـت مهلبيّة!! لن يُحتـرم إلا القوي ولا يرحـم في هذا العالم إلا الشـجاع، حتى القوي يحبه الله تعالى يقول الرسـول ﷺ: "**المؤمـن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف**" وشكراً لشوقي القائل:

وَمـا نَيـلُ المَطالِـبِ بِالتَمَنّـي

وَلَكِـن تُؤخَـذُ الدُنيـا غِلابـا

إن الحُـروز والتمائـم لا تحمي الأوطان وإنمـا تحميه قوة عادلة يحسب لها ألف حساب، إن المسلم الصادق لا يَعتدي ولكنه لا يرضـى أن يُعتدى عليـه، وإذا كان الأمريكان والرومان وإيران وأبناء بنقورون وموشـى دايان يجهـزون النووي في الأفران فلن ينفعنا جماليات ناجي في (يا حبيبي رحم الله الهوى).

والحقيقــة أنّــا حرصنا كل الحرص علــى أن نكون مهذّبين مؤدّبين ومحبوبين ولكن الغرب رفض ذلك، نقل ديل كارنيجي عن الرئيــس الأمريكي إبراهام لنكولن قوله: "إذا كنت قوياً احترمني الجميع، وإذا كنت ضعيفاً فلو نزلت الملائكة من السماء تشهد لي ما صدقني أحد".

تحياتي للمؤمنين الأقوياء.

obeikandl.com

صح النوم يا عرب

في الحديث الصحيح: "**ويل للعرب من شرٍ قد اقترب**"، ولكن العرب في غفلة عما يُراد بهم، يعقد العرب قمماً محفوظة التوصيات فإن وجّهت لإسرائيل كان النص (يجب على إسرائيل أن تنسحب بدون قيد ولا شرط)، وإن كانت في الخليج كان النص (يجب على إيران أن تنسحب من جزيرة طنب الكبرى وطنب الصغرى وجزيرة أبي موسى)، لكن إسرائيل وإيران أذكى من أن تخادعا كما يخادع الصبيان، ويلعب عليهما كما يعلب على الولدان، فلذلك قام الآيات في طهران بتخزين النووي في الأفران، وقام الحاخامات أتباع موشى دايان بتجهيز المزدوج لوقت العدوان ﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾.

ونصيحتي أن يحوِّل العرب تكاليف القمم ويصرفوها في مجمعات سكنية للفقراء، أو ملاجئ للأيتام، أو حفر آبار للمساكين، أو يجمعوا هذه التكاليف الباهضة التي تُصرف في الفنادق والتشريفات والضيافات فيقيموا بها مفاعلاً نووياً ولو كان في ذلك عقوق للغرب وخروج عن طاعته (لكن ما باليد حيلة)، وأرجو من العرب التخفيف من حسن النية بالجيران والإخوان، فوالله لو حلف الآيات في إيران، بين الركن والمقام في رمضان على القرآن في ساعة الاستجابة إن قصدهم بالمفاعل

النووي كمبوديـــا والخمير الحُمر لما صدّقهم عاقل، وليت العرب سمعوا صديقي الشاعر خلف بن هذال:

ولا تامن فروخ الداب لو عاشن وابوهن مات

تجيك الصـــبح بانياب تناسل كنّها انيابـــه

وإلى متـــى نصدق عواطفنا المجنِّحـــة، فجمال عبد الناصر وعدنا أنه ســـوف يرمي إســـرائيل في البحر ثم سلّم لهم سيناء وســـجن علماء وطنه ثم شـــنقهم، وصدام حسين حلف أن يحرق نصف إسرائيل بالكيماوي المزدوج فأحرق الكويت ونجت إسرائيل، وأحمدي نجاد طلّق بالثلاث أن يزيل إســـرائيل من على الخارطة وأخشى أن يزيلنا نحن وتبقى إسرائيل!!

أيها العرب: يسلم عليكم زهير ويقول:

وَمَن لم يَذُد عَن حَوضِه بِسـلاحِه

يُـــــهَـــــدَّم..... الـبـيـت

ويقول لكم أبـــو الطيب: صباح الخير يا عرب، صح النوم يا إخوة، أما قرأتم أنشودة الكفاح لي:

وَمَـن عَـرَفَ الأَيّـامَ مَعرِفَتـي بِها

وَبِالنـاسِ رَوّى رُمحَـهُ غَيـرَ راحِمِ

فَلَيـسَ بِمَرحـومٍ إِذا ظَفِـروا بِـهِ

وَلا في الرَدى الجاري عَلَيهِم بِآثِمِ

يقول عوام نجد: (يا زين الطرير ولو بحلقي) يعني ما أحسن السيف الحاد البتَّار ولو قطع حلقي، ويقول الشاعر الجنوبي ابن عزيز: (جعل راس بلا ناموس تكسر عظامه) لن تنفعنا العرضات الشعبية إذا التهب الجو وأظلمت السماء ﴿بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾.

إن المواثيق والكتب لا تجدي مع قوة الآخر وسلاحه وفتكه، يقول ستالين: (لا تحدثني كم عند البابا من كتاب، ولكن كم عنده من دبّابة) ذكر ذلك الداود في كتاب (متعة الحديث)، يقول نزار قباني:

يا ابن الوليد ألا سيف تُؤجِّره

فإن أسيافنا قد أصبحت خشبا؟

ومن حقنا كمواطنين عرب أن نطلب من القيادات حمايتنا والاستعداد للخطر القادم، وعلينا أن نتوب من حفلات الانتصار ورفع أقواس النصر كما قال الدكتور غازي القصيبي عن الزعيم المزعوم:

تمشي الهزيمةُ مشياً فوقَ منكبِهِ

لكنّه باحتفالِ النصرِ في شُغُلِ

أيها العرب: والله لو جدَّ الجد وأرسلت عليكم الشهب من خرّم شهر وتل أبيب فلن تنفعكم الأسهم والبورصات والجلسات والكبسات والأمسات والحفلات، ومن أنذر فقد أعذر. يقول

الدكتــور ســلمان العودة: (لقد اســتغرقنا حياتنــا في جزئيات صغيرة قضّينا فيها العمر على حســاب قضايا مهمة ومســائل كبرى فتخلَّف بنا الركب).

ولعلمكم فقد اتجهت مركبة فضائية إلى كوكب عطارد ونحن مشغولون بالتراث الشــعبي، وكلما نصحناهم قالوا: (اللي ما له قديم ما له جديد)، فهل قديمنا جفنة مكسَّــرة وآنية فخار بالية، ورشــى حبال ممزّقة، وفأس ومنجل ومطرقة، فأصبحنا نخجل من العالم أن يشاهدوا وضعنا، يقول الدكتور أحمد التويجري:

إذا تفاخــرَ بالأهــرامِ منهــزمٌ

فنحــن أهرامنــا ســلمانُ أو عمــرُ

أهرامنــا شــادَها طــه دعائمُهــا

وحــيٌ من الله لا طــينٌ ولا حجرُ

من قتل الحسين؟

أنا سُـنّي حسيني، جعلتُ ترحُّمي على الحسين مكان أنيني، أنا أحبُ السّبطين، وأتولَّى الشيخين، أنا أعلن صرخة الاحتجاج، ضد ابن زياد والحجاج، يا أرض الظالمين ابلعي ماءك، ويا ميادين السـفَّاحين اشـربي دماءك، لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على من قتل الحسـين أو رضي بذلك، ولكن لماذا ندفع الفاتورة منذ قُتل الحسـين إلـى الآن من دمائنا ونسـائنا وأبنائنا بحجة أننا رضينا بقتل الحسـين ونحن في أصـلاب آبائنا وفي بطون أمهاتنا؟! اسـتباح ابن العلقمي بغداد بحجة الثأر للحسين، وذبح البساسـيري النساء والشـيوخ في العراق بحجة الثأر للحسين، والآن تُهـدَّم المسـاجد في العـراق ويُقتل الأئمـة وتُبقر بطون الحوامـل وتحرَّق الجثث ويُختطف الناس مـن بيوتهم وتُغتصب العذارى بحجة الثأر للحسين.

إن المنطق الذي يقول: إن مليار مسلم كلهم رضي بقتل الحسين وكلهم ناصبـوا العِداء لأهل البيت منطـق يخالف النقل والعقل والتاريخ، ومعناه إلغاء أهل الإسـلام والقضاء على كل موحِّد في الأرض، هل مـن المقبول والمعقول أن يجتمـع مئات الملايين من العلماء والخلفاء والحكماء والزُّهاد والعُبّاد والمصلحين ويتواطؤوا على الرضا بقتل الحسين والسكوت على هذه الجريمة الشنعاء؟!

لماذا لا يُحَكّم العقل ويسأل نفسه من يمشي وراء السراب ويصدق الوهم ويؤمن بالخرافة؟ هل من المعقول أن تُحارب أمة الإسلام لأجل كذبة أعجمية صفوية ملفّقة كاذبة خاطئة تكفِّر الصحابة والتابعين ودول الإسلام وتتبرأ من أبي بكر وعمر وأصحاب بدرٍ وأهل بيعة الرضوان ومن نزل الوحي بتزكيتهم وأخبر الله أنه رضي عنهم؟ متى تُكف المجزرة الظالمة الآثمة التي أقامها الصفويون ضد كل مسلم ومؤمن تحت مظلة الثأر للحسين؟ نحن أولى بالحسين ديناً وملّة، ونسباً وصهراً، وحباً وولاءً، وأرضاً وبيتاً، وتاريخاً وجغرافيا، ارفعوا عنّا سيف العدوان، وأغمدوا عنّا خنجر الغدر فنحن الذين اكتوينا بقتل الحسين، وأُصِبنا في سويداء قلوبنا بمصرع الحسين:

جاؤُوا بِرَأْسِكَ يا ابْنَ بِنْتِ مُحَمّدٍ
مُتَزَمِّلاً بِدِمائِهِ تَزْمِيلا
ويُكَبِّرونَ بِأَنْ قُتِلْتَ وإنّما
قَتَلوا بِكَ التّكْبيرَ والتّهْليلا

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: قتل الحسين – رضي الله عنه – مصيبة من أعظم المصائب ينبغي لكل مسلم إذا ذكرها أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وأقول: لو كره عضو من أعضائنا الحسين أو أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم لتبرأنا من هذا العضو ولبترناه، لكننا نحبهم الحب الشرعي السنّي الصحيح الموافق

لهدي الرسول عليه الصلاة والسلام لا الحب الصفوي والسبئي الغريب على الأمة وعلى الملّة وعلى السماء وعلى الأرض:

مَرحباً يا عراقُ جئتُ أغنّيـ

ـك وبعضٌ من الغناءِ بكاءُ

فجراح الحسين بعض جراحي

وبِصَدري من الأسى كربلاءُ

الحسين ليس بحاجة إلى مآتم وولائم تزيد الأمة هزائم إلى هزائم، رحم الله السبطين الحسن والحسين، وجعل الله علياً وفاطمة في الخالدين ورضي الله عن الشيخين.

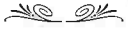

يا فخامة الرئيس

على إسـرائيل أن تطمئـن ولا تخاف مـن مفاعلات إيران النووية فلن تكـون إيران أغْيَر من العرب على أرض العرب، ولن تكون أحرص على أرض الإسلام من سلالة المهاجرين والأنصار وما دام أن العرب عجزوا عن فتح بيت المقدس، فإيران أذكى من أن تورّط نفسها في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل.

وبيـت المقدس في التاريخ الإسـلامي فُتِـح مرتين على يد قائدين مسلمين عظيمين صالحين هما: عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي تجمعهما التقوى والزهد والعدل والشـجاعة، ولن يفتـح بيت المقدس إلا قائد تقي زاهد عادل شـجاع، ولا يفتحه قائد جاء على دبابة الاسـتعمار فلابد للفتح من نكاح لا سـفاح وفي الحديث الصحيح: "الولد للفراش وللعاهر الحجر"، وغالب الرؤسـاء تولّوا برتبة عريف فكان أول مرسـوم له أن ترقى إلى رتبة فريق اقتباسـاً من الآية ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾. أما الجيوش العربية فغالبها متهيئة للانقلابات في بلادها، فكل دولة عربية في الغالب تتربص بجارتها وتتوعّدها بالويل والثبور، وعظائم الأمور، وغالب الشوارع العامة في الدول العربية مرفوع فيهـا أقواس النصر وصور القائد الرمـز الملهم الضرورة، حتى إنـي دخلتُ بلداً عربيّاً وإذا صـورة الرئيس القائد على الكباري

والجسور وعليه النياشين والنجوم وعيناه كعيني الصقر وهو يشير بيده للجماهير كأنه ليث كاسر وتحت قدميه عبارات: سر بنا إلى الأمام، يا حبيب الملايين، ويا نصير المستضعفين، مع العلم أن ثلث الشعب من المشرَّدين، والثلث من المسجونين، والثلث يبيع الحلقوم والجوارب على طريق السالكين:

وحدويّون والبلاد شظايا

كل جزء من جسمها أجزاءُ

ناصريّون نصرهم أين ولّى

يوم داست على الخدود الحذاءُ؟

ماركسيّون والجماهير جوعى

فلماذا لا يشبع الفقراء؟

والعرب مشغولون بذكرى أعياد كبرى مثل ثورة ٧ تموز، يوم أكل الناس قشر الموز، وثورة ٩ كانون يوم ذاق الشعب النون وما يعلمون، و ٥ آب يوم سفَّت الجماهير التراب، وهذه الثورة المجيدة تمّت بمؤامرة لاغتيال الرئيس السابق في آخر الليل، وبهذه الطريقة صار العرب نكرة في المحافل الدولية:

ولا يجوز الابتداء بالنكره

ومن أجاز ذاك فهو بقره

والعرب شجعان في الحروب الأهلية أو مع جيرانهم العرب، ففتح وحماس، في كرب وباس، كل يحطّم رأس أخيه بالفاس،

وحــزب الله وعدنا بنصر الله في القدس فإذا القتال في بيروت تحت شــعار ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّـهِ وَالْفَتْحُ﴾، والســودان يفور، من الخرطوم إلى دارفور، كأنه على دافور، وقادة الجهاد السبعة في أفغانستان تقاتلوا فيما بينهم وكل منهم مجاهد شهيد، وخصمه منافق رعديد، والســلاح العربي غالبه (خردة) انتهت صلاحيته؛ لأنــه بيع في عهد برجنيف وبعضــه من عهد ديغول، والجماهير تصفّق بمناسبة افتتاح مستوصف في قرية من القرى وفتح طريق مســفلت طوله ٣ كم، وكثيرٌ من الشباب عاطل عن العمل بعدما أكمل دراســته إلى رابعة ابتدائــي ليلي من محو الأمية وأخذ كل شاب هراوة بيده

وهم يرقصون ويرددون: (الحسود في عينه عود)، وما أدري من هو هذا الحســود الغبي الذي حســد العرب ولم يحسد أهل الاختراعات والاكتشــافات والذين احتلوا المريخ وعطارد بعدما احتلــوا البحار والقفــار، وأنزلوا حاملة الطائــرات (إيزن هور) في مياه الخليج لتحمل مائة طائرة وكل مســمار من مساميرها كتمثــال فخامة الرئيــس، إذاً فعلى إســرائيل أن لا تخاف حتى يظهــر مثل عمر وصلاح الدين؛ لأنه الماركة المســجّلة والبضاعة لابد أن تكون من شركة مكّة الربانيّة النبوية، عليها دمغة: ﴿رِجَالٌ صَدَقُــوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ تربّوا في ﴿بُيُــوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ وهم من كتيبة ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ العلامة الفارقة ﴿سِــيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾، والأمة التي رُزِقت عادل إمام سترزق بإمام عادل.

نشرة الأخبار

كنــتُ في صباي أعيشُ بقرية جملية جنوب الســعودية، تنام هذه القرية في ســفح جبل أخضر، وكنتُ أســتمع لهيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) صباح مســاء، فكان يتردد على مسمعي اسم ماجد سرحان وهدى رشــيد المدفعي وحسن الكرمي في برنامج (قول على قول) والذي كنتُ أسجله وأحفظ أكثر أبياته، والسياسة بين الســائل والمجيب، وســماع أقوال القــاردن والصندي تايمز والديلــي مرر، وغيرها من الصحف البريطانية، فكانت مدرســة إعلامية رائعة.

فلما كبرنا ودلفت الفضائيات أمطرنا في العالم العربي بنشرة الأخبــار الطويلة الثقيلة التي تحمل فصــولاً وأبواباً، فيبدأ المذيع بالأخبار السياسية منذ وصول الضيف إلى أرض المطار وفتح باب الطائرة والنـزول من السلم وعزف السلامين الوطنيين واستعراض حرس الشــرف وتناول القهوة العربية وأحياناً (النســكافا) وفي المغرب العربي الشــاهي الأخضر ثم مرافقــة الضيف إلى المكان المعد، ثم الأخبار المحلية كافتتاح مدرسة ابتدائية ليلية لمحو الأمية وذكر فقرات الحفل والقصائد التي أُلقيت بهذه المناســبة العالمية وافتتاح سوق الخضرة في قرية، وترميم مستوصف أهلي بالبادية، ثم أخبار الرياضة وخروج المنتخب مبكراً من أرض الملعب مهزوماً

ثمانية صفر لرداءة الجو وهطول الأمطار، ثم سباق الخيل والهجن والمزايين، ثم حالة الطقس وحالة البحر والريح والجبال والسهول والوديان وطلوع الشمس وكسوفها وخسوف القمر، ويُروى أن مذيعاً ضيّع ورقة حالة البحر فارتجل من رأسه غيباً وقال: البحر هائق ومائق ويطيش على الناس أي هائج ومائج، ومذيع آخر كانت دولته في حالة حرب فترك النص أمام عينيه وارتجل من الحماس وقال: زمرة التشطير والانفصال قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون، ومذيع آخر توفي ابن رئيس دولته في حادث سير فبكى المذيع في الأخبار وأخذ يقول: إلى جنة الخلد أيها الفقيد الشهيد، والمذيع العربي هو الوحيد الذي لا يستطيع الحياد حينما يقرأ الأخبار بل تغلبه عواطفه فتجده إذا خُفض سعر الغاز في بلده تهلل وجهه وتبسم وغمرته الفرحة، وإذا مات مدير مدرسة متقاعد بكى وغلبته دموعه.

ونشرة الأخبار غالباً تأتي بعد تناول طعام العشاء فتجد بعض المذيعين يتجشأ وهو يقرأ الخبر ويقول: عفواً عفواً، وبعضهم يشير بيديه وهو يقرأ الأخبار من شدة الحماس والانفعال كأنه يلقي قصيدة في سوق عكاظ، ويُروى أن أحد المذيعين فاتته الصيدلية المناوبة تلك الليلة فقال مرتجلاً: صيدلية العيدروس خلف الدوار العام أمام الجامع الكبير، ونشرة الأخبار في العالم العربي أطول نشرة في العالم مع العلم أنها في العالم الغربي بلد

الصناعة والإنتـــاج لا تأخذ إلا دقائق معدودة، وأنا أقترح أن توزع نشـــرة الأخبار على سائر اليوم حتى يخف على المشاهد متابعتها ولا يضيـــق صدره وتنطمس بصيرته مـــن طولها، فحبذا أن تكون نشـــرة الأخبار السياســـية بعد الظهر إلى قبيـــل العصر؛ ليتمكن الناس من الغداء والقيلولة وبعد العصر الأخبار المحلية، أما أخبار الرياضة فبعد صلاة المغرب وبعد العشاء حالة الطقس، ثم يُترك الناس لتناول طعام العشـــاء، ثم نشـــرة الصيدليات المناوبة وبهذا يأخذ المتلقي الكريم الأخبـــار على دفعات ويتناولها على جرعات ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِـــيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِـــن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ وإذا لم يُعمل بهذا الرأي فسوف تبقى التلفزيونات المحلية كما هو الحال مهجورةً لا يشـــاهدها إلا من رزقه الله الصبر وسعة البال ليكفِّر الله عنه الخطايا بحلمه وسعة باله.

متى نعيش روح العمل والإنجاز على حســـاب القول والابتزاز؟ متى نودع الهذيان والإســـهال اللفظي والإسهاب الخطابي ونعيش المعرفة الصادقة والوضوح مع النفس ومع الناس؟ أربعون سنة ونشرة الأخبار في العالم العربي على وضعها الأول وبحالها، تحمل النشرة الخبر والبشرى والعزاء والمديح والهجوم المضاد ومعايشة التفاصيل اليومية التي تجري في كل شارع وقرية، قال: عبدالله البردوني:

وقاتلـتْ دوننـا الأبـواقُ صامـدةً

أمـا الرّجـالُ فماتوا ثـمَّ أو هربُوا

وأطفـأت شـهبُ الميـراجِ أنجمنَـا

وشمسَـنا وتحـدّتْ نارَها الخطبُ

نحن أمة البيان فأين إيجاز وإعجاز القرآن، لقد سمع أعرابي قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَـى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَـلِينَ ﴾، فاندهش الأعرابي وصاح: الله أكبر في آية واحدة أمران ونهيان وبشارتان، كتب الرسول ﷺ إلى هرقل فقال: "أَسْلِمْ تَسْلَمْ"، وكتب سليمان إلى بلقيس: ﴿ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾، وكتب خالد إلى عياض بن غنم: (إيّاكَ أُريد)، قال راكان بن حثلين:

مـا قـلَّ دلَّ وكثـرةُ الهرجْ نيشـانْ

والهـرجْ يكفي صاملـهْ عن كثيره

وقال الأول:

قالوا خذ العين من كلٍّ فقلتُ لهم:

في العينِ فضلٌ ولكنْ ناظرُ العينِ

الخميس ١٤٢٨/١/٢٠ هـ

جريدة الشرق الأوسط

السلام في البلد الحرام

في مهبط الوحي ومهد الرسالة، ظهرت من حماس وفتح البسالة والأصالة، فقد جمعهم خادم الحرمين، ومؤلِّف الفريقين، صاحب المواقف الرائدة، والهمم الخالدة، فتصافح الإخوان وتعانق الأقران، وسالت دموع الصفاء عند الصفا، وحرم القتال في الشهر الحرام، والبلد الحرام، وحلَّ السلام:

إذا احتَرَبَتْ يَوماً فَفاضَتْ دماؤُها

تَذَكَّرَتِ القُربى فَفاضَت دُموعُها

ولقد شاهد العالم الإخوة الفلسطينيين من حماس وفتح وهم يتعانقون في أطهر مكان في العالم، في الأرض التي بعثت للبشرية برسالة الرحمة والعدل والسلام، في الأرض التي حرم فيها سفك الدم، وقتل النفس المعصومة، في الأرض التي أعلن فيها ميثاق حقوق الإنسان ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾.

وقف قادة الشعب الفلسطيني شعب الصبّارين والجبارين: الصبارين في الفتن والمحن، والجبارين على الأعداء الألدَّاء، وقفوا فوق الأرض التي وقف عليها سيد الخلق ﷺ؛ ليقول للعالم: "**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**".

شـــكراً لرجل السلام قائد الأمة، خادم الحرمين على غيرته الإســـلامية، ونخوته العربية، ورحمته الإنســـانية، والذي أزعجه مشـــهد الدم الفلسطيني وهو يسيل بســـلاح فلسطيني، وشكراً لقادة الشـــعب الفلســـطيني حينمـــا خافوا الرحمـــن، واحترموا الزمان، ووقَّروا المكان، واستجابوا للملك الإنسان:

لـو تقاتلنـا لخـطّ الـدمُ فـي

لوحـةِ الصحـراءِ يـروِّي حبّنـا

لقد أغاظ الأعداء توقيع ميثاق الشرف والصلح العظيم بين الأشـــقاء، وأرادوا أن يســـتمر التقاتل بين الإخوة، ولكن الله سلَّم وتوحّد الصف، وتصافحت الأرواح:

مُذْ بدأنا الشوط فردسنا الحصى

بالـدم الغالـي وجوهرنـا الرمالْ

ومشـينا نكتـبُ المجـدَ علـى

صـوت حـقٍّ مـن ترانيـم بـلالْ

لقد انتصـــر العقل على الحقد، والمنطـــق على الجهل، لقد أثبت قادة هذا الشعب الباسل الأبي أنهم على مستوى المسؤولية فقدّروا حرمة الشهر والمكان وأكرموا بالاستجابة صاحب الدعوة الملك الشـــهم والقائد الإنســـان، لقد خاب ظن إســـرائيل في أن شعب فلسطين سوف يتطاحن وينتحر بأيدي أبنائه، هاهم أحفاد الفاتحين تصافحوا وتعاهدوا علـــى المحبة؛ ليكونوا صفّاً واحداً

في وجه إسـرائيل الأكذوبة والكيان الزائل السـاقط، لقد حيَّا العالم كله هذا الصلح إلا إسرائيل، وفرح به كل عاقل إلا إسرائيل ولقد نال خادم الحرمين مرتبة الريادة العالمية في سبقه كما هي عادته في لمّ الشمل، وجمع الصف، وتوحيد الكلمة.

ما أجمل قادة الشـعب الفلسـطيني وهم يصلون في صف واحد بجوار الكعبة المشرفة، وحَمامُ الحرم يرفرف على رؤوسهم، حَمامُ السـلام وكأن كلّ حمامة تقول لهم: حرام القتال يا أبطال، حرام الخلاف يا رجال، أنتم البواسل، أنتم الفدائيون الصادقون، أنتم صنّاع قصة التضحية:

مـن بـحـار الأسـى ولَـيْـل اليَتَـامـى
تـطـلـعُ الآنَ زهْـرةٌ بَـيْـضَـاءُ
من شُحوب الخريفِ، من وَجَعِ الأرضِ
تـلـوحُ الـسـنـابـلُ الخَـضْـراءُ
ويُـطِـلُّ الـفـداءُ شـمـساً علينا
مـا عـسـانـا نـكـونُ لـولا الـفِـدَاء
مـن جـراح المـنـاضـلـين وُلِـدْنَـا
ومـن الجُـرْح تُـولَـدُ الـكـبـريـاءُ

لقد شخصت أبصار أطفال فلسطين وشيوخ فلسطين ونساء فلسطين إلى مكة ينظرون بترقب لنتائج هذا اللقاء التاريخي:

نســاء فلســطين تكحلن بالأســى

وفــي بيت لحــمٍ قاصــراتٌ وقصَّرُ

وليمــونُ يافــا يابسٌ فــي حقولِه

وهل شجرٌ في قبضةِ الظلم يثمرُ

الآن ســحّت دموع الفرح يوم انتصرت الإرادة الصادقة على نوازع الشر، ويوم سادت المحبة على الكُرْه، والحب على البغض، والألفة على الفرقة:

أَو يَختَلِف مــاءُ الوِصــالِ فَماؤُنا

عَــذبٌ تَحَــدَّرَ مِــن غَمــامٍ واحِــدِ

أَو يَفتَــرِق نَسَــبٌ يُؤَلِّــفُ بَينَنــا

ديــنٌ أَقَمنــاهُ مُقــامَ الوالِــدِ

الخليجيون وسوق الأسهم

قام أبــو معاذ الســمرقندي خطيباً فقال: تعبــتُ من طول الطريج، حتى وصلت الخليج، فجمعتُ مالي، وقوت عيالي، وبعت كل غــالٍ ورخيص، وأقبلتُ إقبال الحريص، في همة الفأر وعزم النِّيص، حتى والله لقد بعــت الفِلَّة، وجمعتُ الغَلَّة، ودفعتُ مالي كلّه، ووضعته في سوق الأسهم، مصدر كل بلاء وهمّ، وحزن وغمّ، ثم صاح باكياً وأنشد شاكياً:

نـادى الهوامير على كل البشـرْ فالكلّ فينا أيّها الناسُ افتقرْ
بعـتُ لأجـل الأسـهم العمـاره وبـيـت أهـلـي وكـذا الـسـيـاره
وقـد تديّنـتُ مـن البنـوكِ مكتوبة في أوثـق الصكوكِ
وقلـت للزوجـة والعيـالِ سوف أكون اليوم راس مالي
وأسـبق الوليـد ثـم الراجحـي فقد دخلتُ سوق مـال رابـح
وفجـأة أشـهَر سـهمٌ أحمـرُ مـزمـجـرٌ مـخـوّفٌ مـدمّـرُ
فذهـب القنطـارُ والقطميـرُ فـهـا أنـا يـا إخـوتـي فـقـيـرُ

أما سمعتم ما فعله الهوامير؛ حيث حوّلوا كل غني إلى فقير، وردّوا المليونير، إلى نافخ كير، وأدخلوا مصيبة الأســهم على كل كبير وصغير، والواجب أن يُوقفوا للمحاسبة، ولا يضيع حق وراءه مطالبــة، ويوضعوا تحت المراقبة، فقد أصيــب الجميع بأعظم مصيبة، وحلّت بهم أزمة رهيبة، وقطع الأعناق، ولا قطع الأرزاق،

والدم المهراق، ولا الخسـارة في الأسواق، وكما يحرم قتل النفس المعصومة، فإنه يحرم سلب الأموال المعلومة.

وإنها من أعظم المصائب، وأكبر العجائب، شعب كامل يمسي غنياً ويصبـح فقيراً، فعامة الناس دُمِّـرَ تدميراً، هموم وغموم، وسـهوم وسـموم، ديون مرهقة، وقروض مطبقة، منهم من وقع فـي ورطة، ثم مات بالجلطة، ومنهم من أصبح راتبه مرهوناً، ثم صار مسجوناً، وأحدهم باع سكن عياله، وبيت أطفاله، واقترض من إخوانه، وطلب الكفالة من جيرانه، وآخر باع البقر والأغنام، وبعدهـا بكى بكاء الأيتام، وكان الخليج قبل هذه النكبات، يعيش في أمنيات، فالكثير نظره في المؤشر، عسى أن يستمر الأخضر، ومنهم من ترك الدوام، وقال على الوظيفة السـلام، والبعض مَنْ منَّى نفسـه أمنية الصبي، بقصر في دبي، ونـادى: يا خيل الله اركبي، فلما وقعت الكارثة، مات بعد هذه الحادثة، وسُـئل شيخ عن مسـاهمة العجوز، فقال يجوز، فمن حقها أن تجمع الكنوز، فحوّلت كل عجوز بيتها إلى ورشـة، وجمعت دراهمها في بُقْشَة، بعدما باعت الأثاث، وَطلّقتْ بالثلاثْ، لتعودنَّ إلى الصِّبا، ولو أبى مَنْ أبى، ولو أتى خاطب فمرحبا، فالمال يحوّل العجوز إلى صبيّه، وتصبح عبقرية بعدما كانت غبيّة:

تريـد عجـوزٌ أن تعـود فتيّـةً

وقد يبس الجنبانُ واحدودبَ الظهرُ

تسير إلى العطار تبغي شبابها

وهل يصلح العطّار ما أفسدَ الدهرُ؟

وبعضهم له في الأسهم فتاوى مضلّلة، وأقوال مهلهلة، ولا يخافون يوم الزلزلة:

ويفتي جاهلاً في كل فنٍّ

ولا يدري طحاها من دحاها

وغالب الشباب مع الطفرة، فتح الشفرة، وبسط السفرة، ووعد نفسه بالكنز والبنز والجِنز، ثم عاد يرعى العنز، ويبيع البزّ، ولا يجد الرّز.

ومنهم من أمسى في ثروة قارون، وأصبح وقد ركبته الديون، ثم أصيب بالقولون، ثم سكن الناس في عشاش، بلا غطاء ولا فراش، ونسوا البورصة والكاش.

قال الدكتور هنري ماجري: يحتاج الأمر إلى قرار جري، لأن كل هامور، اندفع كالمخمور، فاجتاحوا أموال الفقراء، ونبذوهم بالعراء.

وقالت الآنسة كراكاتا هكَّا هكَّا -خبيرة الإفلاس في سوق الأسهم-: إن هذا من العجب، أن يتحول أهل الرّتب، إلى باعة حطب.

قال الشاعر خلف بن هذّال أمام خادم الحرمين الشريفين:

ابتلشنا بالهواميـر والسـوق اندمـرْ
انهبونا واركبونا الذلول بلا اشدادْ
رمّـوا اليابس بعد ما كلـوا كل الخضرْ
حاشوا الاموال بخياشهم حوش الجرادْ
الخـدع للاغبيا والضعوف من البشـرْ
ما درينا وش حصل بالصباح وبالهجادْ
عن علـوم الغيب ما عندنـا علم وخبرْ
لـو علمنا مـا نزلنا لخانات الآحـادْ

وعلـى كل حال، فمن فاتته الكنوز والأموال، فعليه أن يقول: «سـبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قـوة إلا بالله» فإنهـا ترضي ذا الجلال، وتشـرح البال، وتصلح الحال، وتُدفع بها الأهوال.

قال شاعر اليمن الكبير الزبيري:

خـذوا كـل دنـياكـمـو واتـركـوا
فـؤادي حـرّاً طَـليـقـاً غـريـبـا
فـإنـي أعـظـمـكـم ثـروةً
وإن خـلـتـمـونـي وحـيـداً سليبا

العرب لا يقرؤون

إذا ركبت مع أوروبي وجدته خانساً منغمساً يقرأ في كتاب، وإذا ركبت مع عربي وجدته يبصبص كالذئب العاوي، أو كالعاشق الهاوي، يتعرف على الركاب، (ويسولف) مع الأصحاب والأحباب، بيننا وبين الكتاب عقدة نفسية، ونحن أمة (اقرأ)، ولكن ثقلت علينا المعرفة، وخف علينا القيل والقال، ولو سألت أكثر الشباب: ماذا قرأت اليوم؟ وكم صفحة طالعت؟ لوجدت الجواب: صفر مكعَّب، مع العلم أن غالب الشباب بطين سمين ثخين بدين، لأنه مجتهد في تناول الهمبرغر والبيتزا وكلما وقعت عليه العين، ووصل إلى اليدين:

سلوا الصحون التباسي عن معالينا

واستشهد البَيْضَ هل خاب الرجا فينا

كم (كبسة) شهدت أنا جحافلها

وكم خروفٍ نهشناه بأيدينا

يحتاج شبابنا إلى دورات تدريبية على القراءة، لأنهم وزّعوا الأوقات على السمر مع الشاشات، أو التّحلق على الكبسات، أو متابعة آخر الموضوعات، الإنسان بلا قراءة قزم صغير، والأمة بلا كتاب قطيع هائم، طالعت سِيَر العظماء العباقرة فإذا الصفة اللازمة للجميع مصاحبتهم للحرف، وهيامهم بالمعرفة وعشقهم

للعلـم، حتى مات الجاحـظ تحت كتبه، وتوفي مسـلم صاحب الصحيح وهو يطالع كتابـاً، وكان أبو الوفاء ابن عقيل يقرأ وهو يمشي، وقال ابن الجوزي: قرأت في شبابي عشرين ألف مجلد، وقال المتنبي: وخير جليس في الزمان كتاب، سـألت شـباباً عن مؤلفي كتب مشـهورة فجاءت الإجابـات مضحكة، قال صاحب كتاب فن الخطابة: العظمة هي قراءة الكتب بفهم، وقال الروائي الروسـي الشهير تولستوي: قراءة الكتب تداوي جراحات الزمن، وقال الطنطاوي: أنا من ستين سنة أقرأ كل يوم خمسين صفحة ألزمت نفسي بها:

جمـال ذي الـدارِ كانـوا في الحيـاةِ وهمْ

بعـدَ الممـاتِ جمـالُ الكتـبِ والسـيَرِ

صح النوم يا شباب فقد انقضى العمر، وتصرّمت الساعات، وقتل الزمـان بالهذيان وأماني الشـيطان وأخبار فلان وعلاّن، استيقظوا يا أصحاب الهمم الهوامد، والعزائم الخوامد، والذهن الجامد، والضمير الراقد:

وَلَـو نـار نفـخت بِهـا أَضـاءَت

وَلَـكـن أَنـتَ تَـنـفـخ فـي رَمـادِ

قاتل الله التسـويف والإرجاف، وسحقاً لمن زرع شجرة ليت لتثمر له سوف، وتخرج له لعلَّ ليذوق الندامة:

وَمُشَتَّتِ العَزَماتِ يُنفِقُ عُمرَهُ

حَيرانَ لا ظَفَرٌ وَلا إِخفاقُ

حيّا الله الهمم الشماء، والعزيمة القعساء، التي جعلت أحمد ابن حنبل يطوف الدنيا ليجمع أربعين ألف حديث في المسند، وابن حجر يؤلّف فتح الباري ثلاثين مجلداً، وابن عقيل الحنبلي يؤلف كتاب الفنون سبعمائة مجلد، وابن خلدون يسجّل اسمه في عواصم الدنيا، وابن رشد يجمع المعارف الإنسانية:

لولا لطائف صنع الله ما نبتتْ

تلك المكارم في لحمٍ ولا عصبِ

وددتُ أنَّ لنا يوماً في الأسبوع يخصص للقراءة، ويا ليتنا نبدأ بمشروع القراءة الحرّة النافعة عشر صفحات كل يوم تُقرأ بفهم من كتاب مفيد لنحصد في الشهر كتاباً وفي السنة اثني عشر كتاباً، ولتكن قراءة منوّعة فيما ينفع لتتضح أمامنا أبواب المعرفة وتتسع آفاقنا، وتُنار عقولنا.

فيا أمة (اقرأ) هيا إلى قراءة راشدة، واطلاع نافع، وثقافة حيّة، ومعرفة ربانية، وسوف تنتهي بكم التجارب إلى أن الكتاب خير جليس، وشكراً للأمير ابن صمادح حيث يقول:

وزهدني في الناس معرفتي بهم

وطول اختباري صاحباً بعد صاحبِ

فلم ترني الأيام خلاً تسرني
مباديه إلاّ ساءني في العواقبِ
ولا قلت أرجوه لكشف ملمةٍ
من الدهر إلاّ كان إحدى المصائبِ!
فليس معي إلاّ كتاب صحبته
يؤانسني في شرقها والمغاربِ

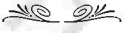

obeikandl.com

اشكر حسّادك..!

النقد الموجّه إليك يساوي قيمتك تماماً، وإذا أصبحت لا تُنقد ولا تُحسد فأحسن الله عزاءك في حياتك؛ لأنك متَّ من زمن وأنت لا تدري، وإذا أصبحت يوماً ما ووجدت رسائل شتم وقصائد هجاء وخطابات قدح فاحمد الله فقد أصبحت شيئاً مذكوراً وصرت رقماً مهماً ينبغي التعامل معه، إن أعظم علامات النجاح هو كيل النقد جزافاً لك فمعناه أنك عملت أعمالاً عظيمة فيها أخطاء، أما إذا لم تُنقد ولم تُحسد فمعناه أنك صفر مكعَّب.

يقول صاحب كتاب (دع القلق): إن الناس لا يرفسون كلباً ميّتاً، ولكن أبا تمام سبق لهذا المعنى فسطَّره وعطَّره وحبَّره فقال:

وَإذا أَرادَ اللَّهُ نَشرَ فَضيلَةٍ
طُوِيَت أَتاحَ لَها لِسانَ حَسودِ

يقول أحد الكتّاب: عليك أن تشكر حسّادك؛ لأنهم تبرعوا بدعاية مجانية نيابة عنك، وإذا وجدت هجوماً كاسحاً ضدك من أصدقائك الأعداء أو من أعدائك الأصدقاء فلا ترد عليهم بل سامحهم واستغفر لهم وزد في إنتاجك وتأليفك وبرامجك فإن هذه أعظم عقوبة لهم يقول زميلي أبو الطيب:

إِنّي وَإِن لُمتُ حاسِدِيَّ فَما
أُنكِرُ أَنّي عُقوبَةٌ لَهُمُ

إن نقــد أعدائنا الأصدقاء يقوِّم اعوجاجنا الذي ربما أعمانا عنه مديح الجماهير وتصفيق المعجبين، يقول غوته: إن الدجاجة حينما تريد أن تبيض وتقول: قيط..قيط تظن أنها سوف تبيض قمراً سيّاراً، فالعالِم لكثرة ما يمدح يظن أن الله لطف بالخلق لمّا أوجده في هذا الزمن، والمسـؤول إذا أُثني عليه بقصائد يحسب أن الملائكة في السـماء تصفّق له، إذاً فلا بد من وخزات نقدية؛ ليستيقظ العقل المبنَّج بأُبر أهل المدح الزائف الرخيص، يقول أحد الفلاسفة: إذا رُكِلتَ من الخلف فاعلم أنك في المقدمة، إن التافهين ليس لهم نقّاد ولا حسّاد؛ لأنهم كالجماد تماماً، وهل سمعت أحداً يهجو حجراً أو يسب طيناً؟! وتذكر أن الكسوف والخسوف للشمس والقمر أما سائر النجوم فلم تبلغ هذا الشرف.

يقول زهير:

مُحَسَّـدونَ عَلـى ما كانَ مِـن نِعَم

لا يَنـزِعُ اللَهُ مِنهُم ما لَهُ حُسِـدوا

ذكروا عن العقاد أن أحد الكتّاب شـكا إليه تهجم الصحافة عليـه فقال العقاد: اجمع لي كل المقالات التي هاجمتك فجمعها فقال له: رتّبها وضع قدميك عليها فلما فعل قال له: لقد ارتفعت عن مستوى الأرض بمقدار هذا الهجوم ولو زادوا في نقدهم لزاد ارتفاعك، يقول ابن الوزير:

وشكوت من ظلم الحسود ولن تجد

ذا سـؤدد إلا أصـيـب بـحسّـدِ

إن أصدقاءك الأعداء وإن أعداءك الأصدقاء لم ينقموا عليك لأنك سـرقت أموالهم أو اغتصبت دورهم ولكنك فقتهم علماً أو معرفـة أو مـالاً أو حققت نجاحاً باهراً فلا بـد من أن يقتصّوا منك جزاءً وِفاقاً لتصرفك الأرعن لأن الواجب عليك عندهم أن تبقى تحتهم بدرجة، إذاً فلا تنتظر من حسّـادك شهادات حسن سيرة وسلوك ودعاء في السحر بل توقّع قصائد عصماء مقذعة وخطباً نارية بشعة ومقامات أدبية مشوّهة.

والمشـكلة أن صديقك الحاسد يرفض دسـتور المودة وأنت تعرضهـا عليه ويبحث عن آخرين يصنع معهـم الصداقات كما قالت الشاعرة البارعة رضي الله عنها:

اللّـي يبينا عيّـتْ النفـسْ تبغِيهْ

واللّـي نبي عيّا البَختْ لا يِجيبه

الكفاءة في النسب

من المعلوم في الشريعة الإسلامية أن الناس جميعاً سواسية كأسنان المشط؛ لأنهم من أب واحد وأم واحدة، وإنما يفضل الفاضل منهم بتقوى الله وحده، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾، وفي الحديث: "**لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى**" رواه أحمد، الناس لآدم وآدم من تراب، ولهذا من المقرر في الشرع تكافؤ الناس وتساويهم في أنسابهم، ولهذا عمل الصدر الأول من هذه الأمة بقاعدة تكافؤ الناس في أنسابهم، وفي الحديث: "**يا بني بياضة أنْكِحُوا أبا هندٍ وأنْكِحُوا إليه**" رواه أبو داود وصحّحه ابن حجر.

وأبو هند كان حجّاماً وبنو بياضة أسرة من أسر الأنصار وهم أزديّون من أشرف العرب، وقد تزوج بلال بن رباح أخت عبدالرحمن بن عوف، وتزوج أسامة بن زيد فاطمة بنت قيس القرشية، ولكن لما بَعُد الناس عن الشرع وتعلَّقوا بأنسابهم القبلية وانتماءاتهم الأسرية رفض الكثير منهم هذا المبدأ، ووصل الحال إلى الإنكار والاستنكاف حتى إن من يقدم على التزوج من غير طبقته قد يخاطر بنفسه خاصة في المناطق القبلية والعشائر والبوادي، فإذا وصل الحال بالإنسان إلى أن يصبح في خطر

مـــن تزوجه من غير طبقته بحيـــث يتعرض للتهديد أو الضرر أو الإساءة إلى أسرته بالاستهزاء والسخرية والسب والأذى فإن درء المفاســـد مقدَّم على جلب المصالح، وقد عرفنا قضايا لما اكتشف فيها البعض نســـب الآخر وقد ســـبق أنه صاهره هـــدّده بالقتل حتى أفتاه بعض العلماء بفراق زوجته، إذ أوشـــك أن ينشـــب بين الأسرتين قتال، والشـــرع لا يأمر بالمخاطرة إلى درجة أن تذهب النفس أو يســـفك الدم، أيعيش الإنســـان مرعوباً مهدداً لا يأمن على أسرته ونفسه من أجل تطبيق بعض الأفراد للشريعة ورأيي أن تعم في الناس ثقافة المساواة والتكافؤ، ويبيّن لهم رأي الإسلام عن طريق العلماء والدعاة ووســـائل الإعـــلام والتعليم، ويُحارب التمييـــز العنصري في المـــدارس والجامعات والخطب والندوات والمؤلفات، وينقـــل الناس تدريجياً إلى وعي راشـــد حتى يصبح لديهم العلم الكافي بهذه المســـألة، حينها يصبح الأمر طبيعياً أن يتزوج الإنســـان من غير طبقته في المجتمع المســـلم، وقد حصل هذا في بعض الدول الإسلامية.

أما في المناطق التي ما زالت تفتخر بالأنســـاب والأحســـاب فرأيـــي أن لا يغامر الإنســـان رجلاً أو امرأة بمشـــروع زواجه لما يترتب على ذلك من أضرار، وقد عشنا قضايا حصل فيها الفراق بعد أن اكتشف أحد الطرفين عدم تكافؤ النسب، على الرغم من أن بعض الأئمة الكبار على اشـــتراط الكفاءة في النســـب، وهو

قــول ضعيف لكن بعضهم نظر إلى ما قد يترتب على هذا الأمر من مفاسد، وهذه المسائل الاجتماعية تُحل حلاً جماعياً من قِبَل الدولة والمجتمع بحيث يقتنع الجميع في الآخر بمساواة الإنسان للإنســان في نسبه بغض النظر عن لونه وطبقته وحرفته، ولهذا يقول ﷺ: "**إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوِّجوه**"، ولم يُذكر في الحديث النسب.

فعســى أن يتجه العلمــاء ورجال الإعــلام والتعليم إلى بث الوعي بين الناس وتأصيل مبدأ المســاواة الإنسانية، فإن الناس جميعاً خُلقوا أحراراً، كما قال عمر: متى اســتعبدتم الناس وقد ولدتهــم أمهاتهم أحراراً، حتى إن الميثاق الدولي ينص على هذا، ففي إحدى مواد هيئة الأمم المتحدة ما نصه (الإنســان وُلد حرّاً ليس لأحد عليه رِقّ)، ولكن من حِكْمة الشــريعة الإســلامية أنها تراعي المصالح وتدفع المفاســد، فإذا كبرت المفســدة وعَظُمَتْ، وقلَّت المصلحة وصَغُرَتْ دُفعت المفســدة الكبرى بترك المصلحة الصغرى، وحفظ الإنسان في نفسه وعرضه مقدم على تحصيل مصلحة تقرير زواجه من غير طبقته؛ ليقيم بذلك قاعدة التكافؤ في النسب، وحلُّ ذلك حملة علمية ودعوية وثقافية تنادي بوحدة المجتمع، والتئام شمل أفراده، ونحن لا نقول للإنسان أن يتحدى الصعاب ويخاطر بنفســه؛ ليحقق التكافؤ بالنســب بزواجه من غير طبقته، وما معنى قولنا له اصبر على القيام بمشروع الزواج

إلى آخر قطرة من دمك؟ نحن أيها الناس سواسية من أبٍ وأم، كلنا ذوو دمٍ أحمر وليس فينا من له دم أزرق، فأبيضنا وأحمرنا وأسودنا يعودون إلى مادة الطين الأولى التي خُلق منها آدم أبو البشر ولا تفاضل بيننا إلا بتحقيق تقوى الله بالعلم النافع والعمل الصالح ولي قصيدة:

ولا تحسب الأنساب تنجيك من لظى

ولو كنتَ من قيسٍ وعبد مدانِ

أبو لهب في النار وهو ابن هاشمٍ

وسلمانُ في الفردوس من خرسانِ

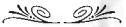

العفو العام

ينبغي للإنسان أن يصدر كل ليلة عفواً عاماً قبل النوم عن كل من أساء إليه طيلة النهار بكلمة أو مقالة أو غيبة أو شتم أو أي نوع من أنواع الأذى، وبهذه الطريقة سوف يكسب الإنسان الأمن الداخلي والاستقرار النفسي والعفو من الرحمن الرحيم، وطريقة العفو العام عن كل مسيء هي أفضل دواء في العالم يصرف من صيدلة الوحي ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، يا من أراد الحياة في أبهج صورها وأبهى حُللِها اغسل قلبك سبع مرات بالعفو وعفّره الثامنة بالغفران.

قام رجل يسبُّ أبا بكر الصديق ويقول: والله لأسبنَّك سباً يدخل معك قبرك، فقال أبو بكر: بل يدخل معك قبرك أنت، وسبَّ رجلٌ الإمام الشعبي فقال الشعبي: إن كنتَ كاذباً فغفر الله لك، وإن كنتَ صادقاً فغفر الله لي، إن تحويل القلب إلى حيّات للضغينة وعقارب للحقد وأفاعٍ للحسد أعظم دليل على ضعف الإيمان، وضحالة المروءة وسوء التقدير للأمور، وكما يقول شكسبير: لا توقد في صدرك فرناً لعدوك فتحترق فيه أنت، ما أطيب القلب الأبيض الزلال! ما أسعد صاحبه! ما أهنأ عيشه!

مـــا ألّذ نومه! ما أطهر ضميره! ثم هل فـــي هذا العمر القصير مساحة لتصفية الحسابات مع الخصوم، وتسديد فواتير العداوة مع المخالفين؟ إن العمر أقصر من ذلك، وإن الذي يذهب ليقتصّ مـــن كل من أســـاء إليـــه، وينتقم من كل من أخطأ عليه، ســـوف يعـــود بذهاب الأجر، وعظيم الوزر، وضيـــق الصدر، وكثرة الهم مـــع قرحة المعـــدة، وارتفاع الضغط، وقد يـــؤدي ذلك إلى جلطة مفاجئة، أو نزيف في الدماغ ينقل صاحبه مباشـــرة إلى العناية المركّزة؛ ليضـــاف لقتلانا ممن مات في قســـم الباطنية صريعاً للتخمة بعد أكلة شعبية قاتلة.

إن أفضل أطباء العالم هم ثلاثة: الدكتور بهجت وتخصصه الســـرور والفرح والعفـــو والصفح، والدكتور هـــادئ وتخصصه أخذ الأمور بهدوء والدفع بالتي هي أحســـن، والدكتور (ريجيم) وتخصصه عمل (ريجيم) للجســـم لمنعه من كل ضار ومن الإكثار من المشتهيات التي يدعو إليها الشيطان الرجيم.

أيهـــا الناس: الحياة جميلة، ألا ترون النهار بوجهه المشـــرق وشمســـه الســـاطعة وصباحه البهيـــج وأصيله الفاتـــن وغروبه الســـاحر، لماذا لا تشـــارك الكون بهجته فتضحـــك كما تضحك النجوم، وتتفاءل كما تتفاءل الطيور، وتترفق كما يترفق النســـيم، وتتلطـــف كمـــا يتلطف الطّـــل، الحياة جميلـــة إذا أخرجتم منها

الشـيطان والشر والشـك والشتم والشؤم والشـماتة وشارون، والمشـكلة أن بعضنا متشائم تريه وجه الشـمس فيشكو حرّها، وتخرج له الزهرة فيريك شوكها، وتشير إلى نجوم الليل فيمتعض من ظلمته، إذاً أقترح عليك أن تصدر الليلة مرسـوماً بالعفو عن كل من أساء إليك وبعدها سوف تنام ليلة سعيدة لم يمر بك ليلة أجمل منها كما قال صديقي الشريف الرضي:

يـا لَيلَـةَ العفـو ألاّ عُـدتِ ثانِيَةً؟

سَـقى زَمانَـكَ هَطّالٌ مِـنَ الدِيَمِ

هنيئـاً للعافين عن النـاس، قبلات علـى رؤوس الكاظمين الغيظ، باقات ورد لمن سـامح وأصلح، مع الشكر الجزيل للمقنع الكندي حيث يقول:

وَلا أَحمِـلُ الحِقدَ القَديمَ عَلَيهِمُ

وَلَيسَ كَريمُ القَومِ مَن يَحمِلُ الحِقدا

الإنسان السوي والمؤمن الراشد يكون منزوع الدسم من السم عنـده براءة اختراع لمكارم الأخلاق، مختومٌ على جبينه خاتم ﷺ ومن عفا وأصلح فأجره على الله عز وجل، غفر الله لنا إسـاءتنا للغير، وغفر الله لمن أسـاء إلينا وغداً نلتقي في الجنة إن شـاء اللـه تحت مظلة ﴿ **وَنَزَعْنَـا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُـرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾، وقد قلتُ في قصيدتي (أنشودة الطفولة):

فيـــا أيها الإنسان هاك صداقة

أبـــرّ مـــن الأم الـرؤوم وأحدبـــا

تعـال نعيد الوصل عهداً مباركاً

وخذنـــي أخـاً إذ كان آدم لـي أبـــا

إذا كنـت قـابيـل العداوة والـرّدى

فـإني أنـــا هابيـل رأيـــاً ومـذهبـا

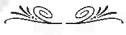

obeikandl.com

هل يجوز بيع دم القتيل..؟

انتشـــرت في الآونة الأخيرة ظاهرة العفو عن القاتل مقابل ملايـــين من الريالات قد تصل إلى العشـــرة أو أقل أو أكثر، وما أدري كيف تُســـمى هـــذه الطريقة عفواً لوجه الله؟ إن الإســـلام أوجـــب القصـــاص أو الدية أو العفو، فإمـــا قصاص تذهب فيه النفـــس بالنفس؛ ليأمن المجتمع وتنكســـر شـــوكة القتلة وتُصان الدمـــاء وتُحفظ الأنفس ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَـاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾ وإما دية محددة يأخذها ولي الدم ويتفق عليها من قبل الدولة ويرعى تحديدها ولي الأمر بما يراه العلماء مناســـباً للعصـــر، وإما عفوٌ لوجه الله لا يأخـــذ فيه ولي الدم قطميراً أو نقيراً بل له الأجر من الله وحده.

كيف نفهم العفو من ولي دمٍ يقول: عفوت لوجه الله مقابل ٨ ملايين ريال وأربعة جيوب لكزس ٨ سلندر!! وآخر يقول: عفوت لوجه الله مقابل مخطط في شمال الرياض ودار سكنية في مكة ومزرعة للعيال!! فكيف يكون هذا من أهل العفو والصفح؟!

وقد أشرفتُ على قضايا طلب بعضهم الستة والسبعة والثمانية ملايين وهو عند نفســـه قد عفا لوجه الله وقد تفضل مشـــكوراً على القاتل وأهله، ومن أين يجمع ولي الدم هذا المبلغ الذي تعجز عنه القبيلة بأســـرها؟ فيركبه همّ الدَّين وشـــماتة الشحاذة أمام

الناس، وهنا واجب الدولة التدخل السريع أمام هذا البيع العلني لدم القتيل ومخالفة الشـــريعة لأن ولي الدم لم يأخذ بالقصاص ولا بالديـــة المحددة ولـــم يعفُ لوجه الله وإنمـــا انتقل إلى المزاد العلني في بيع دم القتيل، هل دماء المسلمين تُباع بهذا الرخص؟

إن قطرة من دم الإنسان أفضل من كنوز الدنيا، فلماذا نترك الحبل على الغارب أمام الجشع والطمع لأناس لمّا قُتل إخوانهم وأبناؤهم أخذوها فرصة لجمع الملايين وأخذ المخططات والفلل واشـــتراط سيارات المرســـيدس مع تحديد الموديل والمواصفات، ولماذا يتدخل بعض الأعيان والتجار في غياب الدولة لبذل أموالهم وأحدهم لا يستحيي من الله وجاره يبيت جائعاً بجانبه، وآخر يرى الأطفال الأيتام يتسوّلون في الشوراع فلا يرفُّ له جفن ولا تفيض منـــه دمعة ولا تجود يده بريال، نحن إذاً أمام مشـــكلة اجتماعية كبرى غاب عنها المســـؤولون والعلماء وهـــي: المزايدة في بيع دم القتيل تحت مســـمى العفو لوجه الله وهذا تضليل للمصطلحات الشـــرعية، وأعرف بعض القضايا باع فيهـــا أهل القاتل دورهم ومزارعهـــم؛ ليدفعوها لولي الدم الذي عفا بزعمه لوجه الله، أي عفو يا أخي ورصيدك وصل العشـــرة ملايين ريال وبعض الأسر عجزت أن تجد ألف ريال تشتري به لحماً وخبزاً؟!

إذاً لنعد إلى الشـــريعة في القصـــاص أو الدية المعروفة أو العفو بلا مقابل ولترعى الدولة المســـلمة هذه الأحكام التي فيها

صلاح العباد والبلاد، أمـا أن تترك الأمور لتخمينات الطامعين والجشـعين الذين لا يعرف بعضهم نواقض الوضوء فهذا إهمال وتفريط، إن الشريعة عظيمة لأنها ربّانية ولهذا حدّدت المسارات في القصاص والدية والعفو وحثت على العفو والمسامحة، ولكنها لم تترك الأمر نهباً مشـاعاً للقبائل والعشـائر يحددونه هم بل أوجبت على ولي الأمر أن يرعى تنفيذ هذه الأوامر الشرعية، ثم أقول لمن يدعي أن في القصاص همجية: تبَّتْ يدك وسحقاً لك، والله لقد رأينا الأمن استتب، والقاتل ارتدع، وعصابات الجريمة دُمِّرت، وأمِنَ الناس على دمائهم وأموالهم ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَـنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَـوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ ولقد عادت بعض الدول الغربية الكبرى إلى مسـألة إعدام القاتل؛ لأنهم وجدوا أن القتل انتشـر وأنه لا يردع القتلة إلا قتل النفس بالنفس، فسبحان الله الخالـق الحكيم ما أعدله في خلقه وما أعلمه بما يصلح الدولة والأمة والمجتمع والفرد:

مـن بـلادي يُـشـرقُ الحـقُ ولا
يـشـرقُ الحـق مـن الـغـيـر الغبي
وبـهـا مـهـبـطُ وحـي الـلـه بـلْ
أرسـل الـلـهُ بـهـا خـيـرَ نبـي
قـل: هـو الـرحـمـن آمـنـا بـه
واتـبـعـنـا هـاديـاً مـن يـثـربِ

أنقذونا من سرطان العصبية القبلية

يهدد مجتمعنا اليوم سرطان العصبية القبلية التي أصبحت تُثار بشكل بشع ممقوت، يقوم بذلك بعض الشعراء الشعبيين العوام تساندهم بعض القنوات التي لا تفكر في العواقب، فأصبحنا نُمطر صباح مساء بقصائد هوجاء يمدح بها الشاعر قبيلته ويمجدها ويرفعها فوق النجوم وكأن هذه القبيلة صاحبة البطولات في بدر والقادسية واليرموك ويعرِّض بغيرها من القبائل، وإذا نظرت إلى هذا الشاعر وجدت تعليمه لا يتجاوز (خامس ليلي) من محو الأمية في يساره سيجارة يشعلها بسيجارة قد تفحَّمت أسنانه واسودت شفتاه وأعفى شنبه حتى وصل أذنيه، ثم تقوّس حتى كأنه قرنا خروف نعيمي، لماذا هذه الصرخات القبلية والعصبية الجاهلية؟ لماذا تُثار الآن بعدما وحَّدنا الإسلام ثم اجتمعنا تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول ﷺ؟ هل يؤمن هؤلاء حقاً بمبدأ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الله أعلم بما في قلوبهم.

أنا أعرف أن الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقِهوا، لكن أن نسلم ديننا ومبادئنا ووحدتنا واجتماع شملنا لبعض الشعراء الجهلة السفهاء وبعض القنوات التي لا تفكر إلا في الشهرة وابتزاز الأموال فهذا أمر خطير جد خطير، أنقذوا البلاد والمجتمع من سرطان العصبية القبلية ومن ريح

العنصرية الجاهلية، سمع الرسول ﷺ رجلين يفتخران بالقبيلة على حساب القبيلة الأخرى فقال: "**دعوها فإنها منتنة**".

من أشد الأمور حرمة أن نربي أجيالنا على النعرات الجاهلية، ومن أعظم المنكر أن نسعى في هدم كيان الدولة المسلمة بمعاول الهدم والتفرقة، عيب علينا أن نفرّق الصف بالفخر بالقبيلة والتعريض بالقبائل الأخرى.

إن الفاسد في حياته والمحبط في نفسه والذي يشعر بمركَّب النقص يريد أن يعوّض ذلك بمدح قبيلته فحسب وإضفاء الثناء عليها وحدها وإهمال غيرها من القبائل، إن المجتمعات التي ما زالت القبائل فيها تكوِّن بذور المجتمع كدول الخليج عموماً سوف تقع فريسة لهؤلاء الحمقى الذين سوّل لهم الشيطان تقديس القبيلة حتى إن بعضهم لا يحفظ له قصيدة في الثناء على الله عز وجل أو الدفاع عن رسوله المصطفى والمجتبى ﷺ أو الإشارة بالرسالة الخالدة، أو الدعوة لمكارم الأخلاق أو التنويه بالوحدة وجمع الكلمة، وإنما قصائده كلها نعرات جاهلية وعصبية قبلية فمثل هذا يُوقف عند حده ولو قالوا له: لا تلعب بالنار أيها السفيه.

فمثلاً نحن في المملكة العربية السعودية جمعنا الله بفضله في كيان واحد ودولة واحدة فضلاً من الله ونعمة، وكنّا قبل نتقاتل ونتهاجى بأبشع السّب وأقذع الشتم، حتى قامت القبائل ببناء حصون الحرب مع القبائل الأخرى، وما زالت بعض هذه

الحصون قائمـــة للعيان وأدعو إلى هدمهـــا؛ لأنها تذكر بالإحن والعداوات والثأر، فلما تمّت الوحدة واجتمع الشـــمل صار الثناء على الكيان كله والمدح للمجتمع بأســـره حتى استيقظ الشيطان فـــي رؤوس بعض الشـــعراء الأغبياء فقاموا بتقســـيم البلاد في قصائدهم وتشـــتيت الشـــمل فـــي أبياتهم وعادوا إلـــى كهنوت القبلية، ونسوا الدين والدولة وأغفلوا التوحيد والوحدة، ولو كان عمـــر حيّاً لبطح الواحد منهم على بطنه وأدبه بالدِّرة حتى يخرج وساوس الشيطان من رأسه، ماذا نفع أبا لهب الهاشمي القرشي نســـبه؟ وماذا ضرَّ بلال بن رباح المولى الأســـود الحبشي نسبه؟ أيها الشعراء احترموا أنفسكم، ارفعوا رؤوسكم، طهِّروا ألسنتكم، قبل أن تؤدِّبكم سياط الدولة ومن أنذر فقد أعذر، نحن أمة واحدة، ربنا واحد، ورســـولنا واحد، وديننا واحـــد، وقبلتنا واحدة، فلماذا التفرقة والعنصرية والدعوة الجاهلية وبث بذور الفرقة والفتنة:

مجدنـا ملحمـة عنوانهـا :

نحـن فـي بـدرٍ قتلنـا الوثنـا

وطنـي لا وطـن يشـبهه

تعشـق الأوطـان هـذا الوطنـا

هواة الفتوى يُغرقون السفينة

أصبحت الفتيا الشرعية في المزاد العلني، وصار الكثير ممن عنده حد أدنى من العلم الشرعي يفتي في المسائل الكبرى العامة بـــلا ورع ولا تأمل، وفي الأثر "**أجرؤكم علـى الفتيا أجرؤكم على النار**" بل بعضهم معه ســـتة تلاميذ يـــرى أنهم الطائفة المنصورة والفرقـــة الناجية وما عداهـــم ضلاّل مرتـــدون أفَّاكون آثمون، فالحكام كفَّار، والكتَّاب زنادقة، والشـــعراء فجرة، والعلماء علماء سلطة، والدعاة مدلِّســـون، والموظفون ظلمة، والتجار غشَّاشون، ففعل فعل أبي حمزة الخارجي يوم قال لصاحبه: لن يدخل الجنة إلا أنا وأنت، قال صاحبه: ســـبحان الله جنة عرضها الســـموات والأرض لا يدخلها إلا اثنان؟ تركتها لك!! فهذه ليســـت بجنة الله التي وعد عباده.

حاورتُ أنا والدكتور سعد البريك شاباً يحمل شهادة الثالثة المتوسطة ترك الدراسة وعكف على الكتب يفهمها بنفسه، فحرَّف النصوص وتـــأوّل الأدلة وخرج بفهم مضحك للشـــريعة، وذكرنا له ابن بـــاز وابن عثيمين فهوَّن من شـــأنهما وحطَّ من قدرهما، والعجيب أنه يفتي فـــي المعتقد والدماء والولاء والبراء التي هي من أصعب المســـائل على الإطلاق وبعد جلسات غسِل دماغه من الوسوسة والحمد لله.

كان في عهد عمر رجل يُدعى صَبيغ بن عَسْل يفتي ويضارب بين الأدلة بلا فقه ولا ورع، فدعاه عمر وبطحه أمام الناس وعلاه بالدِّرة حتى أغمي على الرجل، فلما أفاق قال: أصبحنا وأصبح الملك لله، فقال عمر: كيف تجدك؟ قال الرجل: ذهب عني ما أجد يا أمير المؤمنين وشُفيتُ بإذن الله.

عندنا مواقع للإنترنت وقنوات فضائية تعجّ بمفتين لا يملكون أهلية الفتيا، فلا حفظ ولا فهم ولا علم بمقاصد الشريعة ولا معرفة بالواقع، أخرجوا فتاوى مشوَّهة شاذّة متناقضة متضاربة، فأحدهم يُردّد في إحدى القنوات كلما سُئل عن مسألة: لا بأس بذلك لا بأس بذلك، والآخر يردد: أظن والله أعلم والظاهر والأحوط ونحو ذلك من العبارات التي تنبئ عن ضحالة في العلم ونقص في العقل وضمور في المعرفة.

كيف تسلّم الأمة دينها ودنياها لمفتين لم يُعرف عنهم الصبر على طلب العلم ولا الرسوخ في فهم الأدلة ولا التّفَقه في الدِّين؟ كيف نضع مستقبل أجيالنا ومصير أمتنا بأيدي أناس يفتون في مسائل توقف فيها كبار العلماء ولو عُرِضت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر.

متى تُوحَّد الفتيا في العالم الإسلامي من جاكرتا إلى نواكشوط بل في الدنيا بأسرها، لأن في كل صقع مسلمين ويكون

لهذا الاتحاد إمكانيات ويُزوّد بالعلماء المقتدرين الراسخين، مع عشرات المترجمين بقنوات فضائية وخطوط هاتفية حيّة على مدار الليل والنهار، يا من تعجل في الفتوى، يا من تسرّع في التكفير والتبديع والتفسيق والتضليل ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾؟

إن الفتوى توقيع عن رب العالمين فويل لمن أخطأ في التوقيع عن الواحد القهار، إن الإنسان عنده من الذنوب والتقصير ما يغرقه في بحار الندم، فكيف يتحمّل ذنوب الناس وأخطاء البشر؟ أيها العلماء اضبطوا الفتوى السائبة، وامنعوا التلاعب بالشرع المطهّر وخذوا على يد السفيه الذي يلعب بالنار، لأنه لما تُرك الحبل على الغارب تجرأ صغار طلبة العلم على الفتيا في المسبحة وزكاة الحلي وإسبال الثوب والتصوير، فلما سُكِتَ عنهم أفتوا في النوافل والفرائض والشروط والواجبات، فلما سُكِتَ عنهم أفتوا في العقيدة والدماء والولاء والبراء فصارت الفتيا نهباً مشاعاً فهلك بهؤلاء الحرث والنسل.

إن نصف عالم يفسد الأديان، ونصف طبيب يهلك الأبدان، ونصف مهندس يخرِّب العمران، كان الصحابة يتدافعون الفتيا ورعاً وخوفاً من الله، وسُئل الإمام مالك عن أربعين مسألة فأجاب عن ثمان مسائل وقال في اثنتين وثلاثين مسألة: لا أدري، فقال

له السـائل: الإمام مالك لا يدري؟! فقال مالك للرجل: اذهب إلى الناس وقل لهم: مالك لا يعرف شيئاً. مع العلم أن الإمام مالك قال عنه العلماء من معاصريـه: لا يُفتى ومالك في المدينة، وقال عنه الشافعي: إذا ذُكر العلماء فمالك النجمُ، يقول الشاعر:

ومالـك حيـث أفتى فـي مدينته

فلسـتُ أرضى بفتوى غيـر فتواهُ

فقـل لي بربـك: ما مقـدار علم هؤلاء المتسـرعين الجهلة مـع علم مالك؟ بل إن بعضهم أصبح منظِّراً لمذهب أهل السـنة والجماعة فمن وافقه فهو على الصراط المسـتقيم، ومن خالفه فهو في ضلال مبين:

ويفتـي - جاهـلاً - فـي كل فـنٍ

ولا يـدري طحاهـا مـن دحاهـا

يقول تعالى: ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِـنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَـذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴾.

أعوذ بالله من السياسة

ينبغي على العلماء والدعاة أن لا يغرقوا في السياسة؛ فإنها مشـؤومة تدخل العالِم والداعية في دهاليز مظلمة، والسياسـة متقلِّبـة، كالحرباء كل يوم لها لـون، وهي تقوم على لعبة النفاق الدبلوماسـي، وتغيير المواقف حسب المصلحة، وهذا ينافي العلم النافـع القائم على الوضوح والصـدق والصراحة، وهذا لا يعني أنه ليس في الإسـلام سياسـة؛ فالإسـلام جاء للدين والدولة والدنيا والآخرة، والرسول ﷺ هو مؤسس دولة الإسلام، وخلفاؤه الراشدون هم أفضل حكّام في العالم، لكن تغيّر الزمان، واختلط الحابل بالنابل، وكثرت الفتن والمحن ما ظهر منها وما بطن، فإذا زجّ الدعاة والعلماء بأنفسـهم في السياسـة وتهالكوا على طلب الحكم والمنصب خسـروا علمهم ودينهم، ثم خسـروا رؤوسهم، فعلـى العالِم أن يكـون ربّانيّاً حكيماً مصلحـاً يدعو الناس إلى جنّـات النعيم، ويهذّبهم بالوحي، ويربيهـم على مكارم الأخلاق، ولا ينشـغل بالبحث عن الكرسي؛ فإن هذا خذلان وضياع للوقت وبالله هل علماء العصر أذكـى من الأئمة الأربعة والعزالي وابن تيميـة وقد فرّوا من المناصب، فرفضوا الولايات؟ بل إن بعضهم جُلِد وهُدِّد كأبي حنيفة ليتولّى القضاء فرفض. فخلف من بعدهم خلفٌ يسعون بكل ما أُوتوا من قوة إلى الولاية والمنصب والكرسي

مهما كان الثمن، لتصبح دروس الواحد منهم ومحاضراته وخُطَبُه وتوجيهاته كلها سياسة في سياسة، فيهجر القرآن والسنة النبوية، ويصبح منظِّراً سياسياً يذكّرك بمنظِّري الحزب الواحد والضباط الأحرار وقادة الثورة والبلاشـــفه الحُمر، فيذهب عنه بهاء العلم ووقار الشـــريعة، ويشغل نفســـه بالهذيان وهجر القرآن، ولو كان الاشتغال بالسياسة رأياً حكيماً لرأيت سعيد بن المسيب وسفيان الثوري والحسن البصري أحرص الناس على ذلك، لكنهم هربوا من الفتنة، واشتغلوا بفهم الكتاب والسنة، وربوا الأجيال بالوحي المبـــارك، وتركوا لنا علماً غزيراً مباركاً. وانظر لمن تأوّل مجتهداً في طلب الرئاســـة والاشتغال بالسياسة ماذا حصل له؟ ويكفيك أن تقرأ أخبار الحكّام ومصارع من قتلته السياسة، فالحسين بن علي قُتِل مظلوماً شـــهيداً، وابن الزبيـــر مصلوباً، وأخوه مصعب مذبوحاً، والأمين مخلوعاً، والمعتمد بن عبّاد مسجوناً، وابن بقية مقطّعـــاً، وابن مقلـــة ممزّقاً، ومروان الحمـــار محترقاً، والقاهر مســـمولاً، وابن المعتز معفّراً، والوليد بن يزيد مسحولاً، والمتوكل منحوراً، وابن الفرات مخنوقاً، والســـادات مقتولاً، ويحيى حميد الدّين مغتالاً، والأرياني منفياً، والحمدي مشـــدوخاً، والغشـــمي مرضوخاً، وابن بِلاّ مفصولاً، وعيدي أمين مضاعاً، وشـــاه إيران مبعـــداً، وهتلر منتحراً، وضيـــاء الحق ملغّماً، وكنـــدي مغدوراً، وصدام مشنوقاً، حتى انتهى الحال بالأستاذ الشيخ محمد عبده

إلى أن قال: أعوذ بالله من (ســاس يســوس فهو سائس)، وقال النورســي: لعن الله (ساس يســوس)، ولكن الكثير لا يتوب منها حتى تعضّــه بأنيابها، وتطأه بأخفافها، وتنطحــه بقرونها. قال حكيــم لابنه: يا بني، لا تكن رأســاً؛ فإن الــرأس كثير الأوجاع.

ويقول أبو العلاء المعري:

يَسوسونَ الأُمــورَ بِغَيرِ عَقلٍ
فَيَنفُذُ أَمرُهُم وَيُقالُ ساسَه

ويقول الشاعر اليمني محمد الشامي:

عفتُ السيَاسَةَ حتى ما ألِمُّ بها
لأنّهـا جَشّمتني كلّ نائبةٍ
وقد رددتُ إليها كلّ ميثاقٍ
وأنّها كلّفتني غيرَ أخلاقي

وقال الشاعر السوري عمر أبو ريشه:

ودع (القــادة) فــي أهوائها
تتفانى في خسيس المغنمِ

وقال البردوني:

جرّبوا في الشعب شعبيّتكم
واخرجوا فضلاً بلا أقوى حراسهْ

وأنا أقول:

تبْتُ من (ساس) وطلّقتُ السّياسَهْ
فالسياسات بلاء وتعاسَهْ
وصحبتُ الحرف فجراً مشرقاً
عاشقاً للعلم صبّاً بالدّراسَهْ
إنما الملك الذي لا ينتهي
حكمة تشرق من رأس الكياسَهْ
أتغنّى بكتابٍ محكمٍ
طيّبَ الله على الدَّهر غراسَهْ
والصحيحان فلي شدو بها
والقواميس وديوان الحماسَهْ
فدع اللاهين في دنياهمو
يشترون الحزن من سوق النخاسَهْ
السياسات حمى مشؤومة
كل من صادقها قد باع راسَهْ

فاعتبروا يا أولي الألباب بما حصل لمن عشق السياسة من الدعاة، كيف وقع في الصدام مع الحكّام، ثم وُضع في الظلام، ثم حُكم عليه بالإعدام، فصاروا في ويلات ومصيبات، وآهات وزنزانات، والناجي منهم اشتغل بصناديق الاقتراع، أو انهمك بالهتافات فضاع، وما حصل إلا على ما يبكي العين، ويدمي القلب.

وراجعوا باب (في أنّ العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبهـــا) لابن خلدون في المقدمة، والحل أن تتفرغ طائفة من عقلاء الأمة للسياسة، أما طلبة العلم والدعاة فلإصلاح الأمة .

obeikandl.com

كفى تشويهاً للإسلام

ما ذنب سائق التاكسي الفقير الذي يُذبح كما تُذبح الشاة في شوارع الدار البيضاء والجزائر بحجة الجهاد في سبيل الله؟ ما ذنب الجندي الذي يحرس عمارة بمرتب زهيد يعول أطفالاً ينتظرونه في البيت ثم يُفجّر في صدره الرصاص بحجة أنه مرتد؟ ما ذنب العامل البسيط ونادل المطعم وموظف الشركة والشيخ الكبير والعجوز الكسيرة والطفل البريء؟ ما هو الجُرم الذي ارتكبوه حتى تُمزّق أجسامهم بالقنابل بذريعة حماية الإسلام والذَّب عن حياض الملّة؟

الإسلام بريء من هذا العمل الشنيع البشع، الإسلام أشرف من أن ينحط حملتُه إلى هذا المستوى الدنيء الممقوت، الإسلام دين ربّاني عالمي حضاري إنساني، أخبر رسوله الأعظم ﷺ أن امرأةً حبست هرةً حتى ماتت فعذّب الله المرأة بسبب الهرة، الإسلام حرّم الاعتداء حتى في قتال المحاربين يقول سبحانه ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾.

كان عبدالله بن أُبّي بن سلول رأس المنافقين وحربة غدر في ظهر الرسول ﷺ والصحابة وفعل الأفاعيل ضد المؤمنين حتى قال الصحابة للرسول ﷺ: ألا تقتله يا رسول الله؟ فقال الرسول ﷺ: «**لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»، يا لروعة الكلمة! ويا لجمال مدلولها! كيف يتحدث العالم أن رسول الهداية الربّانية

ونبي الرحمة يقتل مَنْ صاحبه ساعةً من نهار ولو كان منافقاً بل رأس المنافقين، حينها لن يدخل أحدٌ الإسلام، سوف تشوّه صورة الإسلام الجميلة لو حصل من الرسول ﷺ تصفيات جسدية لمن كان معه، فما بالك بمن أتى بسلاحه وقنابله ومتفجراته إلى العزَّل إلى الأبرياء إلى الطفولة إلى الشيخوخة إلى طبقات الضعفاء الكادحين وراء لقمة العيش إلى صفوف المساكين المعذَّبين بقهر الغلاء والوباء والمرض والدّيون فأتى من يذبحهم بدم بارد ليشوِّه صورة الإسلام الجميلة عبر شاشات الفضائيات ومواقع الإنترنت ويشمت بنا الأعداء ويُضحِك علينا الأمم ويجعل مليار مسلم ونصف في موقف لا يُحسدون عليه؟!

خجلنا والله من هذه التصرفات. نأسف لهذا العمل الأرعن السفيه، نبرأ إلى الله من هذه الأفعال الشريرة ونعزِّي الأمهات المسلمات في الجزائر والمغرب والعراق وكل بلد اُبتلي بهذه الآفة ونقول لهؤلاء الغلاة: كفى تشويهاً للإسلام، وكفى إساءة لحملته الصادقين، وكفى إضراراً برسالتنا الخالدة، ألا عقل يردع؟ ألا ضمير يستفيق؟ ألا بقية من إسلام؟ ألا ذرة من حياء؟

شاهدتُ عجوزاً في مكان الانفجار تصرخ وتولول وترفع يديها إلى السماء وتقول: اللهم انتقم لنا منهم، شاهدتُ عاملاً بسيطاً يكدح في طلب الرزق قد انفصلت قدمه وسالت دماؤه وهو ينتحب، شاهدتُ فتاة في ريعان العمر تغيّرت معالم وجهها وذهبت عيناها وأنفها ودماؤها تبلُّ الثرى.

الآن يشـــمت بنا المحتلـــون الصهاينة واليـــوم يضحك علينا أعداء الإســـلام ويصفِّقون طرباً بما فعله السفهاء منّا، كلما قام عقلاؤنا بتصحيح صورة الإســـلام ودفع الشّبه عنه قام السفهاء بتشويه هذه الصورة وطمسها، كيف ندعو العالم الآخر للإسلام وهم يشـــاهدون بعض المنتســـبين إليه يفجِّرون المطاعم وملاجئ الأيتام والمدارس والمستشفيات ودور الرعاية؟

ويا حسرتاه على من فعل بالإسلام الدين الخاتم دين الرحمة والعدل والســـلام الدّين الذي اعترف بجلالته وســـموِّه وعالميته حتى أعـــداؤه، كل يوم نضع أيدينا على قلوبنا خوفاً من تشـــويه الســـفهاء وأفاعيل الحمقى وتصرفـــات الأغبياء، ارفعوا فوَّهات البنادق وأغمدوا ســـيوف الغدر وضعوا السلاح فقد سفكتم الدم الحرام وقتلتم النفس المعصومة وشـــوّهتم الدين العظيم وأبكيتم الأصدقاء وأفرحتم الأعداء وأشـــمتم بنـــا أمم الأرض، اخرجوا إلـــى النور وأقبِلوا على طلب العلم وصحِّحوا مســـيرتكم وعودوا إلى رشـــدكم وتعالوا إلى جماعة المسلمين وادعوا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وشاركوا في التعليم والبناء ونفع الناس والوقوف مع المساكين وإغاثة الملهوفين وأسهموا في صُنع حضارة الإسلام فباب التوبة مفتوح وكلنا خطّاء وخير الخطائين التوابون.

الوصفة السحرية للحياة الزوجية

ينبغي للرجل أن يكون واقعياً في اختياره لزوجته فلا يذهب وراء الخيال والمثاليات في البحث عن الزوجة التي تسعده، فإن بعض الناس يشترط في الزوجة شروطاً كشروط المجتهد المطلق عند الأحناف، فيريد زوجةً في حسن يوسف وعفاف مريم وصوت داود وتكون على حد قول الأعشى:

غَرّاءُ فَرعاءُ مَصقولٌ عَوارِضُها
تَمشي الهُوَينا كَما يَمشي الوَجي الوَحِلُ
كَأَنَّ مِشيَتَها مِن بَيتِ جارَتِها
مَرُّ السَحابَةِ لا رَيثٌ وَلا عَجَلُ

أما وجهها وشعرها فعلى حد قول صديقي أبي الطيب:

كَشَفَت ثَلاثَ ذَوائِبٍ مِن شَعرِها
في لَيلَةٍ فَأَرَت لَيالِيَ أَربَعا
وَاستَقبَلَت قَمَرَ السَماءِ بِوَجهِها
فَأَرَتنِيَ القَمَرَينِ في وَقتٍ مَعا

وهذه الأوصاف لا تنطبق إلا على إحدى الحور العين في جنّات النعيم، بينما هو قد يكون أحمق من هبنّقة وأبخل من مادر وأغبى من باقل وأجبن من أبي حيّة النميري، وعلى المرأة أن تكون واقعية في اختيار الزوج ولا تهيم مع الخيال المجنّح في

اختيار شـــريك حياتها، فبعضهن متشدِّدة موسوسة في شروطها التي يتصف بها الزوج فتريده على حد قول أبي تمام:

إقـدام عَمـرٍو فـي سَـماحَة حاتم

فـي حِلـمِ أَحنَـفَ فـي ذَكاءِ إِياسِ

في زهد الحسن البصري وفِقْه أبي حنيفة وحفظ الأصمعي بينمـــا هي قد تكون آية في الغبـــاء ومضرب المثل في ثقالة الدم وقمة في ســـوء الخُلُق، لماذا لا نعيش واقعنا ونرضى بما تيسَّـــر؟ وإذا حصل خلاف بين الزوجين فهناك وصفة ســـحرية اُكتشفت في الأخير على يد أحد خبراء علم التربية بعد بحث طويل وسهر مضنٍ وهي أن يجلس الزوجان بعد كل مشـــكلة جلسة مصارحة ومكاشـــفة تسمى جلســـة (فضفضة) يشـــترط فيها ألا يشاهد الزوجان التلفاز ولا يشـــتغلان بالقراءة ولا بالنظر إلى الحديقة وإنما ينصـــت كل واحد منهما للآخر فيبـــدأ أحدهما بالحديث حتى يخرج كل ما في جعبته وينصت الآخر ولا يقاطع فإذا انتهى المتكلم قال المســـتمع: هذا كلام جميل وأنا موافق عليه وآســـف على كل خطأ، ولا يحاول أن يعترض على أي كلمة سمعها أو يرد عليها، بعدها سوف تتحوّل الجلسة إلى مصالحة ومسامحة، لأن ٩٠٪ من مشكلات الزوجين صغيرة وتافهة أو (كلام فاضي) فهي عن تأخر الزوج عن البيت أو انشـــغال جواله أو كثرة ضيوفه أو عدم مدحه لطعامها أو لأنه لم ينظر للزوجة بإعجاب عند دخول

البيت، أو أن الزوجة أخَّرت الطعام، أو لم ترتب الملابس أو نسيت المناشـــف أو أن الشـــاي بارد أو أن ملح الطعام زائد قليلاً، وهذه المشـــكلات العالمية الكبرى تحتاج إلى جلسة طارئة فيها فضفضة ولا يتخذ فيها أي قرار إنما إنصات وحســـن اســـتماع وهزّ رأس بالموافقـــة وبعدهـــا تعود الحياة أجمل ما تكـــون، أرجو أن لا يكثر الزوجان من الجدل العقيم والمناقشات والحرص على الردود فهذه لا تزيد النار إلا اشـــتعالاً، قيل لأحد الحُكَماء كيف تعالج المشكلة مع زوجتك؟ قال: أنصت لها حتى تقول كل ما لديها، ثم أوافق على كلامها وأعترف بالتقصير والخطأ فتبدأ هي تبحث لي عن أعذار، ولو ذهب الرجل يرد على زوجته ويغلِّطها لرفعت صوتها وسبَّتهُ ثم كذَّبها حينها تشتمه ثم يضربها فتقوم فتلطمه فيطلقها حالاً ويُهدم البيت، إذاً المشكلات الزوجية سهلة في الغالب بل تافهة إنما تحتاج إلى واقعية وفضفضة وسعة بال واعتراف بالخطأ وعدم الحرص دائماً على أن يثبت أحد الزوجين للآخر أنه على حق وسوف يصلح الحال، ويُشرح البال، ويزول الإشكال، وينتهي القيل والقال، وعلى الرجل أن يستعمل المجاملة مع زوجته فإذا نظر إليها وهي معبِّسة مقطِّبة أسمعها قول الشريف الرضي:

يا ظَبيَةَ البـانِ تَرعى في خَمائلِه

لِيَهنَـكِ اليَومَ أَنَّ القَلـبَ مَرعاكِ

وإذا ذكـــرت له امرأةً أخرى جاملها وهوَّن من شـــأن الأخرى وقال كما قال شاعر الزُّلْفي ابن عويس:

الزّين ما ودَّك تحطَّه مع الشِّين

ودَّك تخلي كل شيٍّ لحالَهْ

وعليها أن تجامله فإذا رأتهُ نائماً وله شخير قالت:

يا ذيب يالّلي جرَّ صوتٍ عوى بهْ

هو ذا هوى والاّ من الجوعْ ياذيبْ

وإذا كحَّ وتنحنح فعليها أن تقول:

باللَه لَفظكَ هذا سالَ من عسلٍ

أَم قَد صَبَبتَ على أَفواهِنا عَسَلا

وعلى الزوج أن يمدح الشاي والمكسرات ويثني على الصحون والملاعق وينظر بإعجاب إلى زوجته ويرفع يديه فيحمد الله على أن رزقه بها وهو يتمنّى في نفسه أن تموت في أقرب وقت، وعلى الزوجة أن تنظر بإعجاب إلى وجه زوجها العبوس القمطرير وتقول له قول أبي الطيب:

خَفِ اللَهَ وَاستُر ذا الجَمالَ بِبُرقُعٍ

فَإِن لُحتَ ذابَت في الخُدورِ العَواتِقُ

وهو يبادلها النظر إلى وجهها المكفهرّ ويقول:

تبدَّتْ لنا كالشمس تحتَ غمامةٍ

بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبِ

والمقصود استعمال الدبلوماسية والمجاملة (ومشّوا الأمور) وأصلاً الحياة قصيرة جداً.

اختطاف المشروع الإسلامي

مـــا هذه الفتنة العمياء، والداهيـــة الدهياء التي ضربت في صميم مجتمعاتنا، واجتاحت فئاماً من شـــبابنا، وحوَّلت سهامهم إلى صدور أهليهم، فأخربوا بيوتهم بأيديهم، فخرَّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم الله من حيث لم يحتســـبوا فكشفت أوراقهم، وظهرت مخبآتهم، فيا للفجيعة الفظيعة! ويا للعمل المشؤوم والمصير المظلم!

إن المشروع المحمدي كان عنوانه (رحمة للعالمين) كل العالمين، اســـتظل بفيئه الوارف القريب والبعيد، والموافق والمخالف، والبر والفاجر، وكانت الرحمة شـــعاره ودثاره، حتى قال لأعدائه حين ظفـــر بهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، ولـــم يحاكمهم على جرائمهم، ولا كشف أوراق من خططوا لاغتياله في العقبة يوم تبوك، وأبى قتل المنافقين، وهم أحابيل المؤامرة اليهودية على الدولة الناشئة، وأعـــرض عن غورث بن الحارث وقد شـــهر الســـيف صلتاً فوق رأس المصطفى عليه الصلاة والســـلام، وفتح مكة بعدما امتنعت عليه، فما نصب المشانق ولا أقام المجازر، وما قتل أعمدة الحرب وأركانهـــا، كان قتلى الفتح دون أصابع اليـــد الواحدة، فصحَّ أنه رحمة، وأن دينه رحمة، وأن شريعته قامت على الرحمة.

وَإذا رَحِمتَ فَأَنتَ أُمٌّ أَو أَبٌ
هَذانِ في الدُنيا هُما الرُحَماءُ
وَإذا أَخَذتَ العَهدَ أَو أَعطَيتَهُ
فَجَميعُ عَهدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفاءُ

والمشروع المقتفي أثر النبوة يجب أن يكون رحمة وبراً، ودعوة وحباً، وتأليفاً ولطفاً، وتسامحاً وعفواً.

أما العدوانية الباغية التي تأتي على الحرث والنسل، وتقتل القريب والبعيد، وتحمل السلاح على الآمنين، وتنبذ العهد، وتشق عصا الطاعة، فهي خروج على الصف الواحد، تجدّد ما كاد أن يندرس من صنيع سفهاء الأحلام، حدثاء الأسنان، الذين عوّقوا مسيرة الفتح، واعترضوا مشاريع التنمية والبناء، وأربكوا خطة الدعوة، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل.

مَنْ المستفيد من تدمير المنشآت؟ ومن الرابح من ضرب البنية الاقتصادية؟ ولمصلحة مَنْ تتلقى أجيال وشعوب رسالة مضلِّلة مفادها أن الإسلام قتل وتدمير وعشوائية وعدوان؟ ما هذه الجراءة على حدود الله وتقحّم المهالك؟ واستحلال الدم الحرام؟ وإهلاك الحرث والنسل؟ والتعرض للحرمات العظيمة في كعبة الله وبيته، وفي عباده الصالحين، وفي أهل الأذكار والأسحار، وفي الرُّكَّع السجود، وفي عوام المسلمين المصلين، وفي الصبية البرآء، والحرمات والنساء؟

أي عقل غرب عن هؤلاء؟ وأي ضمير مات؟ وكيف استرخصوا أنفسهم في غير طائل، وأقدموا على حرب يخوضونها بالباطل، فلا لِحقّ الله رعوا، ولا لخوفٍ من عقوبته وناره ووعيده دعوا؟ ما أقبح الانفصال عن الجماعة، وخلع السمع والطاعة، والاعتداد المفرط بالرأي ولو قاد إلى هوى، واللجج في الخصومة ولو أدى إلى التلف!

الأمة اليوم في مهبط الوحي تتفيأ ظلال مشروع إسلامي شامل، يبني المجتمع، وينمِّي الاقتصاد، وينشر العلم، ويجمع الشمل، ويوحِّد الصف، ويسعى للتطوير، ويستوعب الجميع، ويفتح أبواب الخير والعمل والنفع، وكل من أراد أن يعمل أو يبني أو ينجز، وما هو بمعصوم عن النقص الذي يتطلب الاستدراك والتصحيح والتناصح بين المؤمنين، إن طالباً في صفِّه، أو طبيباً في عيادته، أو جنديّاً في ثكنته، أو خبيراً في عمله، أو عاملاً في حقله، أو راعياً لغنمه، أو امرأة في بيتها، هم شركاء في إنجاز عمل صالح فيه مرضاة الله، ونفع لخلقه، وهم أعضاء صالحون في المشروع الحضاري للإسلام، أما هواة التدمير، ومحترفو التفجير، وأساطين التكفير، فلهم كل السخط من الجميع، والنبذ من الكلّ، وهم نبتة حنظل اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، المشروع الإسلامي رحمة وعدل وتعمير، والمشروع الظلامي عنف ورعب وتدمير، المشروع الإسلامي معه العدل والشرعيّة والأمّة، والمشروع الظلامي معه البغي والعدوان والخروج على الإجماع.

الشيخ الشيطان وعلاج المرضى

قامت بعض القنـــوات الفضائية بالضحك على الذقون عبر تخصيص برامج عن السحر والشعوذة، فلعبت بذلك على عقول الحمقى، وتحول الموقف إلى مهزلة مضحكة ومســـرحية عابثة، وتصدر هذه البرامج كل أفّاك أثيم وكل مفترٍ دجّال ممن أُصيب بمرض انفصام الشـــخصية أو الكبت القهري أو المرض النفسي، فصار يخبر المتصل بترّهات وســـخافات؛ فيسأله عن مولده متى كان، ثـــم يجيبـــه بقوله: أنت من فصيلة برج الثـــور أو الحمل أو الأســـد، وأنت تهوى كذا وكـــذا، ومصاب بكذا وكذا، ثم يصف له علاجاً يخالف الدِّين والعقل والطب؛ فيوصيه- مثلاً- بذبح ديك أسود- سوَّد الله وجهه- أو بسحق قرون الثوم ونشرها في غرفة النوم، أو بصيد حمامة بيضاء وذبحها وغمس ريشـــها بالدم، ثم يأمره بوضع الريش تحت رأسه إذا نام.

ومنهم من يسأل عن اسم أم المريض؛ فإذا قال السائل مثلاً: اســـم أمي فاطمـــة قال: أنت مصاب بعـــين المحبة، وعلاجك أن تغمس يديك في دم خروف أســـود- ســـوَّد الله وجهه- ثم تمسح بها وجهك.

وبعضهم عنده عملة نقدية يقلبها في أثناء الحلقة وفي أثناء اتصال المتصل يخبره بمرضه.

إن هذه القنوات جعلت مصدر دعمها اتصال الحمقى والسفهاء والمعتوهين؛ فبمجرد الاتصال يبدأ رصيد القناة المالي في الارتفاع، وقد سمعنا ورأينا مئات الاتصالات من هؤلاء المرضى، ولكننا لم نشاهد واحداً منهم تعافى وتشافى بهذه الوصفة المكذوبة، والعجب أن هذه القنوات المدمِّرة للدِّين والعقل والعرض والمروءة تنتشر في ربوع العالم الإسلامي جهاراً نهاراً، ولم تتخذ أي دولة تصرفاً حازماً أمام هذا الدَّجل وابتزاز أموال الناس والتلاعب بعقولهم والعبث بصحتهم وتدمير بيوتهم، وكأن أبا الطيب معنا يوم قال:

يا أُمَّةً ضَحِكَت مِن جَهلِها الأُمَمُ.

أين الحكومات التي تراقب أنفاس الناس وتسجل عُطاسهم، وتصورهم وهم يتثاءبون؟ أين هذه الحكومات من عصابات الشعوذة والإفك والخرافة التي حوَّلت بعض الشباب والفتيات إلى مجانين ومعتوهين؛ لأنهم صدقوا الوهم وآمنوا بالخرافة؛ فركبهم الشك، وتلبَّس بهم الوهم؛ فأصبحوا مرضى عاطلين عن العمل والإنتاج؟ ثم إن الأخطر من ذلك أنها تحول المؤمن إلى ملحد شرير، وقد حمى سيد الخلق ﷺ جناب التوحيد من هؤلاء الفجرة الأشرار بقوله: "**من أتى عرَّافاً أو كاهناً أو ساحراً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**". أفٍ لهذه العقول السخيفة التي باعت طاعة الله بطاعة الشيطان، تفٍ

على هـــذه القنوات الحقيرة التي خرَّبـــت البيوت ودمَّرت القيم، الخيبة والندامة لشـــياطين الإنـــس الذين تصدروا الشاشـــات ليقدِّمـــوا الدَّجل والزور والبهتان للناس، حتى الرقية الشـــرعية الصحيحـــة أصبحت تمـــارس بطرق مضحكة غايـــةً في المهزلة ونهايـــةً في الغبـــاء؛ فأحدهم وضع له قناة يرقـــي ويقرأ وينفث عبر الشاشة على المشاهدين الكرام من إندونيسيا إلى موريتانيا؛ لتنالهم بركة ريقه الطاهر المطهَّر عبر ذبذبات الأثير، وعلَّ لعابه المبارك ينقل لهم عبر الأقمار الصناعية، ولا يستحيي أن يخبرنا أن الله شافى بريقه- عبر الشاشة- الملايين، وقد كذب وافترى، بل هو بحاجة ماســـة إلى من يبـــرك على صدره، ويقرأ عليه آية الكرسي، ثم يودعه المارســـتان، ومثل هذا يجب أن يُحجر عليه؛ لئلا ينقل عدواه وهِباله إلى الأمة.

مخجل ما تعرضه قنوات الســـحر والشعوذة، مؤسف ما نراه من هذه العصابات المشبوهة والوجوه الكالحة.

أيها الحكام، أيها العلماء، أيها العقلاء، أوقِفوا هذا الخزي، تصدوا لهذه الظاهرة البشـــعة القبيحة، أنقذوا عقول الشـــعوب ودينهم وأموالهـــم، أحيلوا القائمين على هـــذه القنوات والكهان والسحرة والمشعوذين إلى العدالة، قدِّموهم إلى القضاء، أنصفوا الناس الذين ذهب إيمانهم وأموالهم وعقولهم، كفى شـــماتة بنا،

وكفى ضحكاً على ذقوننا، الشـــرق والغرب تزخر مصانعهم وتعج معاملهـــم بالإبداع والإنتـــاج، وعندنا القنـــوات الوثنية الخرافية تعيدنـــا إلى مغارات ســـحرة بابل وكهوف شـــعوذة قدماء الهند، وعهود اللاّت والعزّى ومناة الثالثة الأخرى، الغرب يشـــاهد روّاد فضائه عبر الشاشـــات يهبطـــون على المريخ، وبعضنا يشـــاهد الشـــيخ الشيطان عبر الشاشة يكذب على الله وعلى الأمة وعلى التاريخ ﴿ لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾، ولعن الله المشـــعوذين والأفَّاكين والدَّجالين، أف وتف على ســـماحة الشـــيخ الشـــيطان المشعوذ المشـــرك ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْـــرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾.

لا تقتلوا الطفولة

من حق الطفل أن يضحك وأن يمزح وأن يلعب، وهو حق طبيعي اتفق عليه العقلاء وأتت الشريعة بتأييده؛ ففي الحديث: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع"، فبعد السبع ابدأ التعليم والأمر والنهي، قال سفيان الثوري: لاعب ابنك سبعاً وأدِّبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم اتركه للتجارب، فينبغي لنا أن نترك أطفالنا يستمتعون ببراءة الطفولة، وفي القرآن حكاية عن أبناء يعقوب قولهم لأبيهم: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ ثم قالوا: ﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾ أرجوك أن تترك طفلك يمزح ويلعب ويضحك ويسابق ويعيش كما يعيش العصفور تماماً، ولا تثقل عليه بحفظ المتون، وقراءة مقدمة ابن خلدون، ومعارضة قصيدة ابن زيدون، وشرح حاشية ابن القاسم على موطأ مالك، فقد وجدتُ آباءً بدؤوا يحفِّظون أطفالهم المتون في الثالثة والرابعة من أعمارهم، فعاش الطفل في همٍّ وغمٍّ ونكد، فإذا ضحك الطفل صاح به أبوه: انتبه يا ولد، وإذا تبسّم قال له: (وش هذا)؟ وإذا لعب قال له: نسيت الآية ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ وإذا سأل أباه أن يشتري له لعبة انتهره قائلاً:

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا
عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ

فإذا استأذنه أن يلعب مع الأطفال أنكر عليه وقال: أين أنت من قول الأول:

إذا بلغ الفطام لنا وليدٌ

تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

بعض الآباء عذاب واصب وعقوبة من الله على أطفاله، تجدهم يمزحون ويمرحون فإذا دخل عليهم البيت سكتوا وصاحوا: جاء الوالد جاء الوالد، فدخل عليهم كالموت: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ**﴾ لا تقتلوا البسمة في شفاه الأطفال.

كان سيد البشرية ﷺ رحيماً بالأطفال يمازحهم يضاحكهم يحملهم، كان يصعد الحسن والحسين على ظهره وهو ساجد، وكان يحمل الطفلة أمامة بنت ابنته زينب وهو يصلي بالناس، كان يأخذ الحسن والحسين في حضنه ويقبِّل هذا مرّة وهذا مرّة ويقول: "هما ريحانتاي من الدنيا"، فيقول له رجل: عندي عشرة أبناء ما قبَّلتُ واحداً منهم، فيقول له الرسول ﷺ: "**وهل أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك**".

إن الطفل بحاجة إلى متعة ذهنية ورياضة جسمية تجعله مستعداً للحياة القادمة حياة العمل والإنتاج، فلماذا نستعجل الأيام ونحرمه حقّه الطبيعي في اللعب والمزاح والبهجة؟ أتحرم البلبل من النشيد في البستان؟ أتمنع العصفور من التَّمرغ على بساط

الروض؟ أتُســكت العندليب أن يتغنّــى بآيات الحب على غصون الزيتون؟ إن الإعاقة الفكرية قد يكون ســببَها أب ظالم شــرس يجلس مع أطفاله كأنه الحجاج بن يوســف، فيقمع في نفوسهم البسمة ويكبت في أرواحهم الفرحة، فيكبرون وفي قلوبهم مرض القهر النفســي والكبت الأسري، فيبقى الواحد منهم غير سويّ، تشــاهد على وجهه سحابة سوداء من الكآبة والحزن الدفين من آثار الطفولة البائسة المحرومة، إن بعض الآباء أسد هصور على أطفاله، ولكنه نعجة في مواقف الحق، إذا لم يصل أطفالك لدرجة الفرحة الغامرة والاستقبال الحار بقدومك بحيث إنهم يتسابقون إلــى فتح الباب إذا أقبلت فراجع تربيتك لهم، وتحوّلْ أنت طفلاً وديعاً بينهم فتنـزَّل إلى مســتواهم في الحديث، اسرد لهم نكاتاً، وداعبهم بلطائف، وشاركهم لعبهم وسباحتهم وقفزهم، ولا يعني ملاطفــة الأطفال ومداعبتهم وتركهم يلعبــون إهمال الأدب، بل ســوف تغرس في قلوبهم الفضيلة بلطفك بهــم، فتهذِّبهم برفق وتربيهم بعفويّه دون أوامر عســكريّة، إن الطفل لا يعرف إلا أباه، فهو يراه أشــجع من عنترة وأكرم مــن حاتم وأحلم من الأحنف، فمن أراد أن ينشــأ ابنه صادقاً كريماً حليمــاً فليكن هو صادقاً كريماً حليماً، فلنجعل الحب مكان السوط، والرفق محل العنف، واللطف مكان الكبت، حينها نسعد بأبناء أسوياء يحملون رسالتهم في الحياة بجدارة، ويصلون إلى كرســي الريادة باقتدار، وإذا لم

يلعب الطفل ويضحك في السنوات السبع الأولى من حياته فمتى يضحك؟ هل يضحك يوم تقبل عليه الحياة بمتاعبها وهمومها وأحزانها؟ يوم يحمل مسؤولية البيت والوظيفة والرزق والحقوق الاجتماعية والواجبات الشرعية وعقوق الناس وتنكر الأصدقاء وركلات الأعداء؟ حينها يصرخ القلب المفجوع بحنين:

ألا لَيتَ الشَبابَ يَعودُ يَوماً

فَأُخبِرَهُ بِما فَعَلَ المَشيبُ

obeikandl.com

الإنسان المفترس..!!

سمعتم عن الحيوان المفترس ولكنني سوف أخبركم اليوم عن الإنسان المفترس، وهو الإنسان العدواني الذي لا يعيش إلا على الكراهية والخلاف والشقاق، ولا يهدأ حتى يكون له كل يوم ضحيَّة، فهو إما يعادي زوجته أو ابنه أو صديقه أو جاره، فتجد المشكلات تحل وترتحل معه، وهو دائماً يشكو من ظلم الناس له وتآمرهم عليه وعدم معرفتهم بمكانته، وفي الحقيقة أنه هو الظالم، ولكنه أصبح كما قال أبو الطيب:

وَما انتِفاعُ أَخي الدُنيا بِناظِرِهِ
إِذا اِستَوَت عِندَهُ الأَنوارُ وَالظُلَمُ

وهذا الإنسان المفترس يختلق كل يوم أزمة، فهو يشاكس مدير المدرسة بسبب أنه ظلم ابنه، ويخاصم القاضي؛ لأنه جار عليه في الحكم، ويعادي الشيخ؛ لأنه أخطأ في فهم سؤاله، ويكره الطبيب؛ لأنه خدعه في الدواء، وناقم على إمام المسجد؛ لأنه يتعمَّد إطالة الصلاة، وهذا الإنسان المفترس يتحاماه الناس ويداروه كما يداري أهل المجنون مجنونهم، ومع ذلك لا يسلمون من بطشه وغضبه وسبِّه وشتْمه، وهو دائماً متهيئ للمنازلة، ففي سيارته هِراوة لوقت اللزوم، وفي بيته مسدس للطوارئ، وهو

يحفـظ أخطاء الناس ويتصيَّد مثالبهم ويكشـف معايبهم لوقت الحاجة حتى إذا اختلف معهم فإذا هو قد أعدَّ للأمر عدَّته وجهَّز لهم ملف العيوب؛ ليوقعهم في شـرِّ أعمالهـم، وهو أبداً غاضب على الجو في الصيف لشدة الحرارة، فينظر إلى الشمس ساخطاً ناقماً، وهو غاضب على الشـتاء القارس بسبب الريح الباردة كلما هبَّت، وهو يلعن الظلام، ويشتم الغبار، ويغتاب الرطوبة، وهو لكثرة غضبه وحقده وحسـده مصاب بالضغط والسكري والربو وحمَّى الـوادي المتصدع وجنون البقر، في جيبه بخّاخ ودواء ومسـكِّنات ومهدئات وفيتامينات.

وقد ذكر صاحب كتاب (المسـتطرف) أنَّ رجلاً حاداً غضوباً شرساً دخل على زوجاته الأربع وهن مجتمعات، فقالت الأولى له: مـا الذي أخَّرك عنّا ونحن ننتظرك؟ فقال لها: وأنت رقيبة عليَّ؟ أنت طالـق، قالت الثانية: تطلقها وما صدر منها شـيء؟! فقال: وأنت طالق معها، فقالت الثالثة: استعجلت هداك الله، فقال: وأنت طالق أيضاً، فقالت الرابعة: سـبحان الله! تطلق ثلاث نسـاء في مجلـس واحد؟ فقال: وأنت طالق معهن، فقالت امرأة جاره: أعوذ بالله من الشيطان ما رأيت أفظ ولا أغلظ منك، فقال: وأنت طالق إذا رضي زوجك، فجاء زوجها وقال: رضيت.

وقالوا إن رجلاً عصبي المزاج غليظ الطبع سيئ الخُلُق أتى إلى الخيّاط بقماش في يده وقال له: فصِّل هذا القماش أربعة ثياب ولا تلعب في التفصيل، وأحذِّرك من التأخير في الموعد، ولا تضيّع مقاسات الثياب، وانتبه لا تماطل في الموعد، حسبي الله عليك، وأعوذ بالله منك، والشرهة ليست عليك، الشرهة على الذي جاء يفصِّل عندك، أقول: اترك القماش، الله ينتقم منك، ثم أخذ قماشه وأدبر يسب ويشتم.

وهذه طبيعة الإنسان المفترس، فالأمور في البيت قبل أن يصل هادئة، وإذا جاء حوَّل البيت إلى خصومة وشقاق، والمجلس تجده قبل أن يحضر في أمن وسلام، فإذا أطلَّ عليه حوَّله إلى شجار وخصام، وهذه النوعية لا تعيش إلا على الأزمات، ولا ترتاح إلا مع الخلاف مثل الذباب لا يقع إلى على الجرح، أيها الإنسان! ارفع راية السلام، وتذكّرْ أن دينك الإسلام جعل تحية اللقاء: السلام عليكم، فهل تدبَّرت هذه الجملة العظيمة التي معناها إلقاء سلاح العداوة وإعطاء الناس العهد والأمان من كل أذى وشر؟ وهي عنوان لكتاب الإخوة ودفتر الصداقة، ومن مقاصدها: لا حرب بعد اليوم ولا خصام من الآن ولا تنافر ولا تباغض، وفي الحديث: "**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**"، هيا أيها الإنسان نتحوَّل إلى إخوة أصفياء، وإلى أصدقاء أوفياء، وقد قلت في قصيدة (أنشودة الطفولة):

فيا أيها الإنسان هاك صداقةً

أبرّ من الأم الرؤومِ وأحدبا

تعال نوفِّي الوصلَ عهداً مباركاً

وخذني أخاً إذ كان آدمُ لي أبا

إذا كنت قابيلَ العداوة والرّدى

فإني أنا هابيل رأياً ومذهبا

obeikandl.com

ضحايا الوهم

لا شـــك في أن الحســـد حقيقة لا مناص منهـــا، وقد أثبته القرآن والســـنة، ويدخل فيه العين، والعين حق، لكن المشـــكلة أن بعضهـــم تلبّس به الوهم فأصبـــح يظن أنه مصاب بالعين في كل شيء، فكلما أخفق حوّل هذا الإخفاق مع التحية للعين والحسد، وإذا فشـــل في عمله فلأنه مصاب بالعين من حسّاده، وإذا رسب في دراسته فالسبب شياطين الإنس، فهو عند نفسه عبقري لكنّ أعـــداءه منعوه من النجاح، وهذا الصنـــف من الناس قد ضحك عليهم الشيطان، وهم يعيشون وهماً لا حقيقة له؛ فأذكياء العالم من المســـلمين وغيرهم بلغوا النجومية ولم يعيشـــوا هذا الوهم، فالشافعي وابن تيمية وابن خلدون وابن رشد وسقراط وأنشتاين وإســـحاق نيوتـــن أجبروا التاريـــخ على أن يخلّد أســـماءهم ولم يشتكوا من الحسد والعين، ولكن المرضى بوهم الحسد هم أشبه بمـــا قال غوته: إن الدجاجة حينمـــا تقول قيط.. قيط وتريد أن تبيض تظن أنها سوف تبيض قمراً سيّاراً، ولكنها أُصيبت بالعين ففسد بيضها، ورأيتُ الناجحين في مجتمعنا واثقين من أنفسهم قد شـــقّوا طريقهم إلى المجد بثبات في التخصصات كافة، ولكن الأغبياء والحمقى بقوا في آخر الصف بحجة أن الحسد والعين أصابهم ولم يصب غيرهم من اللامعين.

قابلتُ طالباً رسب في الجامعة مرات عدة فسألته: ما السبب؟ قال: محسود أصابتني العين، فقلت له: إخوانك الأربعة نجحوا بتقدير ممتاز وكانوا الأوائل وأنت الوحيد المحسود الراسب؟! لكن السرَّ أنك تركت المذاكرة وتغيّبت عن الجامعة ونمت في الفصل وضيّعت الكتب.

وبعض النساء رزقها الله ٣٪ من الجمال وتغطي وجهها عند أمها وأخواتها خوفاً من العين، الله أكبر يا فتاة الغلاف، وبعضهن حامل في الشهر العاشر وقد أخفت ذلك عن جدتها خوفاً من العين، وكأنها سوف تلد صلاح الدين أو طارق بن زياد، والحقيقة أن الشيطان قد لعب على الكثير منّا خاصة الأغبياء والحمقى.

أما الأذكياء والعباقرة فقد لعبوا هم على الشيطان وانتصروا عليه ونجحوا؛ لأنهم لم يصدقوا الأوهام، ورجائي أن يخرج هؤلاء الموسوسون والموسوسات من زنزانة الوهم ويمارسوا أعمالهم على سجيّتهم، ويريحوا الأمة من نشر أمراضهم النفسية المعتمدة على الوهم، وكلما رأيتُ بليداً فاشلاً وسألته: ما سبب هذا الإحباط؟ أجابني بأنه مصاب بالعين! فأقول له: من هذا الغبي الأحمق الذي أصابك بالعين؟! وما الذي أعجبه فيك؟! كيف ترك الموهوبين واللامعين يشقون طريقهم إلى الجوزاء وقصدك أنت؟! وإذا تساقط شعر امرأة بمرض حمّى الوادي المتصدع ادعت أن

العين ألمّت بها والحسد دمّرها، وقد سلّم الله شَعر رأس بوران بنت الحسن بن سهل أجمل امرأة في الدولة العباسية.

وبعض الطالبات انزوت عن زميلاتها بحجة الخوف من العين، وإذا لم يستطع طالب حفْظ القرآن لإصابته بمرض جنون البقر زعم أن حارس المدرسة أصابه بالعين، وكيف توحّدت بنا العين ونحن أهل الإيمان والقرآن، ولم تصب العين أعضاء وكالة (ناسا) الذين أنزلوا مركبة الفضاء هندرد (٦٦) على سطح المريخ؟ إننا باختصار (ضحايا الوهم).

فأريحونا من هذا الوهم وتوبوا من هذه الوسوسة واهجروا هذه الظنون ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

صرخة فتاة

اشتكت فتاة وتظلَّمت ولم تجد سامعاً ولا مجيباً من الناس، ظلمهـا زوجها ثم طلَّقها وأخذ أبناءهـا الثلاثة وحرَمها رؤيتهم، ومنعها من النفقة، فذهبت لأهلها شاكية باكية متفجعة، فوجدت أباهـا ضعيفاً عاجزاً أمام إخوانها الفجرة الجبابرة الذين صبوا جام غضبهم على أختهم المسكينة الحسيرة الكسيرة المطلقة، وأرادت أن تذهب للقاضي فأقسم أحد إخوانها: لئن ذهبت للقضاء ليجرنَّها بشعر رأسها، فبقيت حائرة مظلومة حزينة لا يجفّ لها دمع، ولا تكتحل عيناها بنوم، ولا يسكن خفقان قلبها، أما نهارها فسب من أهلها وشماتة وسخرية، وأما ليلها فبكاء وعويل على أطفالها ومستقبلها، وأنين من جور زوجها وضعف أبيها وظلم إخوانها، فلا هي حيّة فتُرجى ولا هي ميتة فتُنعى، محبوسة في البيت تصارع الهموم وتقاتل الأحزان، وتبعث الآهات الحارة كأنها حمم البركان، وتتنهّد بالزفرات الملتهبة كأنها شهب نار، ما تدري ماذا تفعل، اتصلت ببعض العلماء فقالوا: اصبري واحتسبي، فصبرت واحتسبت، ولكن صبرها انتهى واحتسابها نفد، وقد طوَّقها اليأس، وأحاط بها الكرب، كلّمت بعض قرابتها فقالوا: اذهبي للقضاء، فأخبرتهم أنها لو ذهبت للقضاء لعذّبها إخوانها عذاباً شديداً، فأصبحت لا يسمح لها أن تشتكي أو

تبكي، فما هو الحل أمام زوج ظالم، وأبٍ مسكين، وإخوة عاقين، ومجتمع قاسٍ؟ أليس من الأجمل أن يقوم أهل الحل والعقد بمتابعة هذه القضايا وإخبار الناس بعناوين يمكن الاتصال بها لرفع هذه الضائقة وكشف هذه الملمة وتقديم هؤلاء الجناة العتاة الجفاة للعدالة؟ وفي الحديث الصحيح: "**أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**"، فكيف بمن حبس امرأة وظلمها وحرمها أطفالها ومنعها من نفقتها بل منعها من الشكوى والتظلم، وبمثل هذه الأفعال يجفّ القطر من السماء، وتُؤدب الأمة بسياط من البلاء وبنكبات خفية ومعلنة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

اسمعوا صرخات المظلومين، وافتحوا قلوبكم لأنين المضطهدين، وساعدوا في رفع السوط عن المعذَّبين، إن مسح دمعة على خدٍ مظلوم أفضل من ألف محاضرة في الثقافة البالية التي أصابت الأمة بالدواخ والغثيان، وإن إشباع بطن جائع أفضل من مؤتمر للفكر العقيم، ومن أراد أن يتصوَّر المشكلة فليجعل أمه أو أخته أو ابنته في هذا الموقف، ألا قلوب ترحم؟ ألا ضمائر تستيقظ؟ ألا أكباد تخفق؟ ألا عيون تدمع؟ في حديث قدسي يقول الله للظلمة العتاة: "**وعزتي وجلالي لولا شيوخ ركَّع، وأطفال رضَّع، وبهائم رُتَّع، لخسفت بكم الأرض خسفاً**".

وتبدأ معاناة بعض النســـاء مع أبٍ غشوم ظلوم أو أخٍ قاطع جبّــار أو زوج فاجر شــرِّير، وقد تعيش المعاناة بســـبب مالها أو راتبها وهي تُســـاوم عليه وقد تُحرم الزواج بســـببه، وقد عرفنا من رفض زواج ابنته؛ ليســـتولي على راتبها، وعرفنا من نكَّل بها زوجهـــا؛ ليحصل على مالها وأصبح يخيِّرها بين البقاء مع الدفع أو الفـــراق إن أبت ذلك، ومنهم من أمســـك زوجته لا مطلقة ولا معلّقة؛ ليجرعهـــا الغصص وهي مضطرة للقبـــول بهذا الوضع المأساوي مراعاةً لأبنائها أو حاجتها أو وضعها الاجتماعي.

أيها المتقلِّبون على جمر الظلم، صبراً جميلاً، ودعوةً في سحر، وانتظاراً لفرج، وتذكّراً لبقية نِعَم، ويا أيها الناس ارحموا من في الأرض يرحمكم من في الســـماء، الراحمـــون يرحمهم الرحمن، ويل للظلمة من يومٍ لا حاكم فيه إلا الله، يوم تُقام محكمة العدل الإلهية، يوم العرضِ الأكبر، فانتظروا إنا منتظرون.

وجّه (الدّربيل) إلى نفسك

في قلب كل إنســـان منا (دربيل) اسمه البصيرة، قال تعالى: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾، وهذا (الدربيل) إن أراد الله بك خيراً وجهته لنفســك، فاكتشفت به عيوبك، فأصلحتها وقوّمتها على الحق، وإن أراد الله بالإنســان خذلاناً سلّط هذا (الدربيل) علــى الآخرين، وأهمل نفســه، فتجده ينقب عــن عيوب الناس، ويبحث عــن زلاّتهم، ويجمع أغلاطهم، فهــو كالذباب لا يقع إلا علــى الجرح كما في الأثر: "**يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ولا يرى الجذع في عينه**".

هل فرغنا من عيوبنا الكثيرة حتى نتفرّغ لعيوب الناس؟ هل بقي لدينا وقت نشغله بتتبع أخطاء البشر؟ إن توجيه مصباح الله في القلب إلى نفســك نعمة كبيرة مــن نعم الله، معنى ذلك أنك اكتشــفت عيوبك، وعرفت مواطن الخلل في نفسك. وفي الأثر: "**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس**". ولكن المشكلة يوم تحمل هذا (الدربيل) لتضعه على أسرار عباد الله، فتفحص بعناية كل زلّة وكل خطيئة، ومن يفعل ذلك يُســمى سبّاباً عيّاباً، ليتنا نوجّه (دربيلنا) إلــى ذواتنا، ونترك الناس لــرب الناس. اتركوا الخلق للخالق، ودعوا العبيد للمعبود. ليس مطلوباً منّا مراقبة البشــر فيما أضمروه وأســروه من أخطاء، ولســنا نحن من نحاسبهم،

يقول الرسول ﷺ: "**إني لم أومر أن أنقُبَ عن قلوب الناس ولا أشُقَّ بُطونَهم**". وهذه الجملة النبوية دستور مهذّب في التعامل مع الناس، ولو عمل بها المسلمون لما رأيت من تفرغ ليحصي على الناس زلاّتهم، ويؤلّف في مناقبهم، ويجمع عثراتهم. واحسرتاه على من يحمل الذنوب، ويتلبس بالعيوب، ثم لا يعنيه ذلك، إنما شغله الشاغل بعيوب الناس وذنوب البشر. قيل لحكيم: أما رأيت فلاناً يصنع كذا وكذا من الذنوب؟ قال: ما تبت أنا من ذنوبي. واغتاب أحد الناس رجلاً في مجلس العالم الزاهد الربيع بن خثيم فقال له: تذكّر سكرات الموت. أيها الباحثون عن زلاّت الخليقة! عدتم بالفشل، ورجعتم بالخيبة. أيها المكتشفون أخطاء الناس! حققتم الإفلاس، وأدركتم سوء العاقبة. كان الواجب علينا إن رأينا عيباً في الآخرين أن نغضَّ الطرف، ونتغابى أو ننصح، كما قال أبو تمام:

لَيسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ في قَومِهِ

لَكِنَّ سَيِّدَ قَومِهِ المُتَغابي

إن الإنسان الحقير يعشق تصيّد الزّلات ويفرح بعيوب الناس؛ لأنه كما قال الشاعر الشعبي:

ما يستشك يا حسينْ كود الرديّنْ

والا ترى الطيّبْ وسيعٍ بطانَهْ

يقول أحمد بن حنبل: التغافل تسعة أعشار حسن الخُلُق. قلت: لو سلكنا منهج التغافل مع الزوجة والابن والصّديق والناس لعشنا الحياة السعيدة، فكيف إذا استعملنا قدراتنا العقلية من الذكاء والدهاء والألمعية في تشخيص أخطاء البشر، وعشنا مع أخطائنا بغباء وبلاهة؟ يقول ديل كارنيجي: عندي ملف في درج مكتبي عنوانه (حماقات ارتكبتها) أسجل فيه أخطائي؛ لأتلافاها مع الزمن. وقال سفيان: لي ثلاثون سنة أجاهد نفسي في ترك عيب، وما زلتُ أجاهد. فيا أيها الإنسان! اجعل معك قائمة سوداء من عيوبك تراجعها بينك وبين نفسك، أما الناس فأطمئنك أنك لن تدخل معهم قبورهم لتحاسبهم، ولن تكلّف بمناقشتهم على أخطائهم يوم القيامة، بل أؤكد لك جازماً أنك سوف تحاسب على اغتيابك لهم وكشف أسرارهم. إن الذي بيته من زجاج لا يحقُّ له أن يرمي بيوت الآخرين بالحجارة، كفى اشتغالاً بالآخرين على حساب أنفسنا. والشكر لأبي معاذ الرازي على قوله:

وغير تقيٍّ يأمر الناسَ بالتقى

طبيبٌ يداوي الناس وهو عليل

إن النّجار الذي ذهب يصلح أبواب الناس وبابه مكسّر أحمق، وإن الخياط الذي يخيط للآخرين وثوبه ممزّق أبله، والذي سلّط (دربيله) على تضاريس العباد وترك الحفر والمطبات في نفسه غبيّ مخذول.

كن هابيل ولا تكن قابيل

مـــن أراد أن يعيش ســـعيداً وأن يموت حميداً فليُلقِ ســـلاح العداوة وليجتثَّ من نفســـه شـــجرة الشَّـــر، ارفع رايتك البيضاء معلناً العفو والصفح وسوف تجد القلوب تشيِّعك، والأرواح تحفُ بك، والحب يحوطك أينما حللت وارتحلت:

مَنْ سالَمَ النّاسَ يسلَمْ من غوائلِهمْ

ونـام وَهْـوَ قَريـرُ العَـينِ جَـذْلانُ

كُنْ من فصيلة هابيل حينما أقدم على قتله أخوه قابيل فقال: ﴿ **لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّـهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾، دع الظالم يلقَ حتفه أو يســـلط الله عليه أظلم منه، واتركه للأيام والليالي، يقـــول المثل الصيني: "اترك عدوك وقِفْ على شـــاطئ النهر فسوف تشاهد جثته تمر بك"، لا تحاول فتـــح ملفات العداوات، لا تقم للناس محاكم تفتيش في صدرك، لا تُذهـــب حياتك الغاليـــة في التربص بالآخريـــن والاقتصاص منهـــم، كل دقيقـــة تصرفها في عداوة إنما هي كأس من الســـم تتحســـاه، سوف تجد أن الحلم والعفو أقوى سلاح أمام أعدائك، قال الأحنف بن قيـــس: والله لقد نصرني الله بالحلم أعظم من نصر العشيرة، يقول أبو الطيب:

وَأَحلُمُ عَن خِلّي وَأَعلَمُ أَنَّهُ
مَتى أَجزِهِ حِلماً عَلى الجَهلِ يَندَمِ

إذا سلَّ أخوك في وجهك سيفاً فمد له وردة، إذا بات يخطط لاستئصالك، فتوجه أنت بالدعاء له أن يصلح الله قلبه، ويطهر ضميره، وإذا نالك خصم في مجلس بكلام بذيء سافل فأثنِ عليه وادعُ له، إن منطق القرآن يخبرك أن العَظَمَة هي أن تحوّل العدو إلى صديق لا أن تحوّل الصديق إلى عدو ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ قال رجل لحكيم: غداً نتحاسب فقال له: بل غداً نتسامح، فلا تستكثر ألف صديق ولا تستقل عدواً واحداً ولو كان ضعيفاً، فإن البعوضة تدمي مقلة الأسد، وإن فأراً صغيراً خرَّب سد مأرب.

إن أعمارنا أقصر من أن نصرفها في القصاص والانتقام، وإن معارك داحس والغبراء التي يقيمها الشيطان في قلوب بعضنا هي من مقررات مدرسة إبليس التي من أصولها: الظالم مهاب والمعتدي شجاع والحليم ذليل والمتسامح جبان، ولكن مدرسة الوحي تخبرنا بأصدق من ذلك ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾، وفي الحديث: "**صِلْ من قطعك، وأعطِ من حرمك، واعفُ عمن ظلمك**" إذا لقيت أحداً من الناس فابدأ بتصرفين جميلين: ببسمة وسلام، فالبسمة عنوان لكتابك، وهي دلالة على

رجاحة العقل وسلامة الطبع وكرم المعشر، والسلام عليكم ميثاق شرف وعهد وفاء معناه مصالحة لا حرب، ومسامحة لا عداوة.

هل سمعت أن غضوباً شرساً حاداً كسب حباً أو بنى صداقة أو حاز ثناءً جميلاً، إنما الحب الصادق والحفاوة البالغة والإجلال الكبير للسمح الحليم والجواد الكريم الذي جلس بحبه على عرش القلوب، فحفَّت به الأرواح وشيَّعته النفوس، وطوَّقته العيون، من أراد أن يكتب تاريخاً لنفسه من البر والإحسان فعليه بمسالمة الناس ومسامحة الآخرين وكظم الغيظ والتجافي عن الزلة والصفح الجميل عن الخطأ ودفن المعايب، فعليك أيها الإنسان السوي أن تنزع الغدد السامة من نفسك، وأن تضع السلاح من يدك، وأن تغمد سيف العدوان ونادِ في الجميع:

أهلاً وسهلاً والسلام عليكمو

وتحيةً منَّا نزفُّ إليكمو

العالم سوف يكون جميلاً بلا عداوة والكون سوف يصبح أماناً بلا كراهية، والأشرار وحدهم هم الذين عكَّروا صفو الحياة، ودمَّروا بناء الإخاء، ومزَّقوا ثوب المحبة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ ويلٌ لكل حاقدٍ شرير من سوء الذكر وضيق الصدر وظلمة القبر، وبشرى لكل كريم مفضال ولكل ليّن سهلٍ رفيق، إن الرجل الفاضل يكتب تاريخه بنفسه لجميل

سيرته وحســـن تعامله، فلا ينتظر شكراً من أحد، وسوف يكون بعـــد موته قصة جميلـــة يتحدث بها الرواة فـــي المجالس وتُنقل أخباره الجميلة على ألسنة البشر، إن ألسنة الخلق أقلام الحق، فاحذر أن تذكرك هذه الألســـن بسوء أو توقّع عليك هذه الأقلام بقبيح.

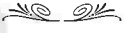

obeikandl.com

دعوة لتطبيع العلاقات

أدعو الأمة إلى تطبيع العلاقة مع كل أحد إلا مع الشيطان وإسرائيل، نحن بحاجة إلى تطبيع العلاقة بين الحاكم والمحكوم والرئيس والمرؤوس والأستاذ والطالب والأب والابن والزوج والزوجة، نحن نفتقر إلى مصالحة اجتماعية وميثاق شرف أخوي يكون أصلاً للتفاهم فيما بيننا؛ لأن في الأمة صراعات فكرية وحزبية ومذهبية وقَبَلية وجهوية حدثت يوم نسيت الأمة رسالتها الربانية العالمية رسالة الإيمان، فالحكام يوجهون اللوم للشعوب في الخروج على الطاعة وإثارة الفتن والشغب، والشعوب ترى أن الحكام أهل استبداد وقتل للحريات ومصادرة للحقوق، والمتدينون طوائف، كل طائفة ترد على الأخرى وتجمع مثالبها وتذكر معايبها، والمثقفون يتراشقون بالتهم بين إسلامي وليبرالي وعلماني وحداثي، والعوام مشغولون بمدح القبيلة وذكر مآثرها ومناقبها وأمجادها التي ما صنعت طبشورة، وبعض الرجال يرون أن المرأة أخذت أكثر من حقوقها وتعدّت طورها وأجحفت بحق الرجل، وبعض النساء يصرخن من ظلم الرجل وقهره وجفائه وقلّة وفائه، والأستاذ يرى في الطالب قلّة الأدب وعدم المبالاة مع الإهمال، والطالب يرى في الأستاذ الشراسة وضحالة المادة وقلّة الأمانة، فأصبح المجتمع يتراشق بالتهم والردود، ومن يقرأ صحفنا يجد مئات

الأعمدة كلها ردود وانتقام وقصاص، وبيانات متضاربة كل يكذّب الآخر ويتهمه ويستعدي عليه، مرة السلطة وأخرى المجتمع فإن لم ينفع دعا عليه، فإن لم يجد توعّده بنار جهنم وسوء المصير.

يا دعاة التطبيع مع القتلة من أحفاد بن غوريون وطلاب موشى دايان والأفاقين وشذّاذ العالم دعونا من هذا التطبيع القبيح، وتعالوا إلى التطبيع الجميل الراقي بين أبناء الأمة الواحدة، تعالوا نتسامح ونتصافح ونتناصح ويعفُ بعضنا عن بعض ونتمثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

أوقفوا بيانات التشنيع والتجريح، أغلقوا محاكم التفتيش عبر الصحف ومواقع الإنترنت، أغمدوا الألسنة الطويلة البذيئة عبر القنوات والمنابر الإعلامية، تعلموا من أدب الوحي، يقول تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ توبوا من الهمز والغمز واللمز؛ لأن هذا شأن الخسيس الذليل التافه الحقير الساقط الأرعن الجبان ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾، نريد من العقلاء والعلماء والأسوياء أن يسمعونا كلمة طيبة وجملة مفيدة وعبارة حلوة مشرفة، يقول ﷺ: "**الكلمة الطيبة صدقة**"، قبل أن تتهمني حاورني، وقبل أن تحاكمني اسمع مني، وقبل أن تفضحني انصحني، وقبل أن تشنقني امنحني فرصة لأُدافع عن نفسي، لقد أمطرنا صباح مساء بدعاة التطبيع مع إسرائيل، لكنهم في المقابل يستحلّون السخرية بإخوتهم والتهكم برسالتهم والاستهزاء

بأمتهم حتى صدق عليهم قول الشاعر: (أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة)، نحن بأمسّ الحاجة إلى سلم اجتماعي ومصالحة وطنية شاملة تبدأ من رأس الهرم إلى الرجل البسيط، بيننا فجوة اجتماعية، عندنا قسوة في التعامل مع من خالفنا، فبعض أهل العلم إذا أراد أن يرد على عالم خالفه شنّع عليه وشهّر به واستعدى عليه الناس، فتجد عبارات: فاسق، زنديق، كافر، ضالّ، مبتدع، وبعض المفكرين يثير قاموس الشتائم على من اعترض عليه، فهو يصف خصومه من الدعاة بمتزمّت ومتطرف وخارجي وإرهابي ومتعصب، وبعض الفئات حجزت لأنفسها مقاعد في الجنة وأغلقت أبواب الجنة الثمانية عن الآخرين، والويل لمن يطمع في الجنة بعد هذا.

بعد أن كنّا خير أمة أُخرجت للناس صرنا نتقاتل ونتهاجى ونتطاحن فيما بيننا، فالعراقي يقتل العراقي، والفلسطيني يذبح الفلسطيني، والصومالي ينحر الصومالي، والأفغاني يمزّق الأفغاني، ومن نجا من القتل لم يسلم من السّب والتّخوين والسخرية، إذاً فنحن أحوج ما نكون إلى مد جسور الإخاء وتطبيع العلاقة ونزع فتيل العداوة واجتثاث شجرة الشّر ونبذ الكراهية.

ابتســـم

كل مـن لاقيـتُ يشـكو دهـره

ليـت شـعري هـذه الدنيـا لمـن؟

هذه الدار مشـوبة بالكدر، ممزوجة بالهـم معروفة بالنّكد ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـانَ فِي كَبَدٍ﴾، وكل عاقلٍ وعالم وأديب وفيلسوف يقدم لـك وصفة في مواجهة أحزانهـا ومصائبها، فأبو الطيب المتنبي يقول لك:

لا تَلـقَ دَهـرَكَ إلا غَيـرَ مُكتَـرِثٍ

مادامَ يَصحَبُ فيـهِ روحَكَ البَدَنُ

فهو يدعوك لعدم المبالاة ومواجهة الأمور بعدم اكتراث، ولكن إيليا أبو ماضي يدلّك على التّبسم في وجه الحوادث:

قـال: الليالـي جرّعتْنـي علقمـا

قلتُ: ابتسم ولئن جَرعَت العلقما

إذاً ابتسـم أمام كل أزمة وعنـد كل مصيبة ومع كل ألم؛ لأن التّحسـر والبكاء والندم لا يجدي، لكن التّبسم إعلان للانتصار وإظهار للظفر وتعزية للنفس وإثبات للصبر ورضا بالقدر واعتراف بالواقع، يوم مات ابنك فبكيت هل عاد؟ يوم خسرت المال فتأسّفت هل رجع مالـك؟ قهرك العدو فصرخت وضجرت فهل انتصرت عليـه؟ إذاً لا تحوّل المصيبـة إلى مصيبتين، ولكـن عند الأزمة

اصنع من الليمون شـــراباً حلواً، وقد حفظ لنـــا التاريخ عظماء صارعـــوا الأحداث وعاركتهـــم الملمات وهم يتبسّـــمون في عين العاصفة ويضحكـــون في وجوه الخطوب، كما قـــال أبو الطيب لسيف الدولة:

وَقَفتَ وَما في المَوتِ شَـكٌّ لِواقِفٍ
كَأَنَّـكَ في جَفنِ الـرَدى وَهوَ نائِمُ
تَمُـرُّ بِـكَ الأَبطالُ كَلمـى هَزيمَةً
وَوَجهُـكَ وَضّـاحٌ وَثَغـرُكَ باسِـمُ

ولمـــا مات ابن الفضيل بن عياض ضحـــك الفضيل فقال له أصحابه: ما لك؟ قال: ليعلم ربي أني رضيتُ، ولما وقعت الهزيمة فـــي أُحُد على المســـلمين وكثر القتل والجراح فـــي المؤمنين قال الرســـول ﷺ لأصحابه: **"صفّـوا ورائي لأثنـي على ربـي"** بل إن بعضهم كان يقابل النوائب بالنعاس وقد جعله الله حلاً للمؤمنين فقـــال عنهم فـــي أُحُد: ﴿ **إِذْ يُغَشِّـيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَـةً مِّنْهُ** ﴾ وكان مع الحجـــاج ابن يوســـف ثلاثة آلاف مقاتل، ومع شـــبيب الخارجي ستون فارساً، فأخذ شـــبيب من قوة قلبه ومضاء عزيمته ينعس على بغلته ثم دارت الحرب، فانتصر على الحجاج وهزم جيشـــه وطـــاردت زوجته غزالة الحجاج بجنـــد قليل معها حتى خرج من قصر الإمارة فقال الشاعر يهجو الحجاج:

هَـلاّ بَـرَزتَ إلى غَزالَـةَ في الوَغى
بَـل كانَ قَلبُكَ فـي جَناحَي طائِرِ
أَسـدٌ عَلَـيَّ وَفـي الحُـروبِ نَعامَةٌ
رَبـداءُ تجفلُ مِـن صَفيرِ الصافِرِ

إذاً ليس لي ولك من حل أمام أي معضلة أو نكبة إلا التّبسم إذا لم تستطع النوم والنعاس.

إن في الناس عظماء وصابرين يتبسّـمون عند كل ملمّة ومع كل مصيبة، وهم أهل الرضـى والأمن الداخلي والإيمان القوي، إنهم أصحاب القلوب الكبيرة منهم المقعد على كرسيّه الذي يوزع البسمات على الجمهور، ومنهم المريض من سنوات على السرير الأبيض الذي تزين وجهه بسـمة الرضى، ومنهم من خسر ثروته فسلّم للقدر وتبسّم أمام الأمر الواقع، أيها الراضون بقضاء الله، أيها المتبسـمون عند الخطوب ﴿ سَـلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾.

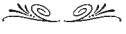

ضحايا التقليد الأعمى

الأمم المغلوبة تقلِّد الأمم الغالبة، هذا ما قرره رائد علم الاجتماع ابن خلدون، وهي نظرية معتبرة وقد تحققت في أمتنا الإسلامية في هذا العصر، وهي تعيش الغثائية والهامشية في كثير من نواحي الحياة، وليت بعض شبابنا الذين قلّدوا الغرب كانوا قلّدوهم في الصناعة والإنتاج والإبداع، ولكنهم - للأسف - قلّدوهم في بعض الصور الباهتة البائسة كقَصة الشعر عند مايكل جاكسون، والعزف على الناي وفن أكل الهامبرجر والشّره في تناول البيتزا، وكما قلت في أرجوزة أمريكا:

منهم أخذنا العود والسجارة

وما عرفنا نصنع السيارة

استيقظوا بالجد يوم نمنا

وبلغوا الفضاء يوم قمنا

وليت عدوى العمل والإنتاج والتقدم المادي انتقلت إلينا نحن معشر العرب من الغرب، ولكنه قفز إلى الشرق وتركنا في الوسط، وذهب إلى الصين وسنغافورا وماليزيا وبقينا في الوسط العربي نحافظ على التراث الشعبي وكل منّا بيده هراوة يؤدي عرضة قبيلته، ويُنشد بافتخار: (القبيلة عزوتي يا عمى عين الحسود)، وما أدري من هو هذا الحسود الغبي الأحمق

الذي أصابنا بالعين ولم يُصب بعينه المشـؤومة المعامل والمصانع والتكنولوجيا في الشـرق والغـرب، لكن الذي يعيش الوهم يبدع في الخيال الخصب ويتحدث عن إنجازاته الوهمية بإسهاب.

إن بعض شبابنا أراد أن يثبت لنفسه التمدن الحضاري والتطور فعلّق سلسـلة على صدره وشـدَّ الجنـز على خصره وجعل على رأسه قبعة تحتها قصة شعر وهي آخر موضة في (هوليود)، ليت شـبابنا أعفوا أنفسهم من هذه القشور وأراحوا عقولهم من هذه التفاهـات، واتجهوا إلى حياة الجـد والعمل والمثابرة، إن الحياة قلب واعٍ وضمير حي ولسـان صادق وقلم حكيم وريشـة موحية وساعدٌ مثابر، وليست الحياة خيال هائم ولا شَعْر مائل ولا تقليد أجـوف ولا تصرفات رعناء ولا محـاكاة بلهاء، وعجبي لا ينتهي ممـن يمطرنا صباح مسـاء بقصائد في مـدح الغرب ومقامات الثنـاء على الحضارة المادية ثم لا تجد فـي حياته من آثار هذا التقدم والحضارة إلا الأكل بالشـوكة والملعقة وتناول الوجبة على موسـيقى (بتهوفن)، لمَ الارتماء في أحضان الغير والاسـتخزاء للآخر ونحن أصحاب أعظم رسـالة عرفها الكـون وأحفاد مَنْ أسـس أروع حضارة شـهد لها التاريخ، ومن كان في شـك من ذلك فليسـأل بطاح مكة ومنابر بغداد وميادين دمشق ومقاصير القاهرة ومتاحف الزيتونة والقيروان ومغاني الزهراء والحمراء:

يـومٌ من الدهر لم تصنع أشـعّتَه

شمس الضحى بل صنعناه بأيدينا

الأرض بتتكلّم أردو

يهدد الخليج طوفان جارف من العمالة الآسيوية السائبة والمنظمة التي استولت على سوق العمل، وغيّرت لهجات سكان الوطن، فأصبح الخليجي يرطن للعجم بلغتهم، وصار المواطن يبحث عن عمل ولو في سيارات الأجرة وبيع الخضار، فإذا بالسوق كلّه يعجُّ بالأردو والبشتو، وصاحب الشركة والعمل يقدّم العمالة الوافدة لرخص أجرتها، ولأن المواطن في الغالب يعمل بشروط وقيود، والواجب علينا أن ندرس الأخطار المستقبلية لهذه السيول البشرية من العمالة الوافدة؛ لأنهم يشكّلون قنبلة موقوتة قد تدمّر الدولة في الخليج، وفي جدة بالسعودية مثلاً عمالة سائبة هاربة تشكل خلايا نائمة تنتظر من يشعل لها الفتيل لتأتي على الأخضر واليابس، ومن درس التاريخ باعتبار عرف ذلك كما حصل في عهد المعتصم، لما غلب العنصر الوافد على العنصر العربي، وكذلك الخليفة المتوكل حتى وقعت دولة بين العباسية في الأفشين وأشناس وجوهر وغيرهم، وفي الخليج مئات الألوف من المواطنين العاطلين عن العمل مستعدون للعمل كسائقين وخبّازين ونجّارين (وبنشريين) وخيّاطين، وهذه أعمال شريفة؛ لأن كل عمل يحفظ ماء الوجه فهو عمل نبيل شريف، وكان أنبياء الله يعملون في أعمال فاضلة، كان نوح نجّاراً، وداود

حـــدّاداً، وإدريس خيّاطاً، وما من نبي إلا رعى الغنم، ولكن عندنا شباب أهلكهم الكبر والفقر كما قيل: (حشفاً وسوء كيلة)، وقالت العامة: (أعمى ويناقر) وما علموا أن عرق العامل أزكى من مسك العاطل، وأن فأس الفلاح أشرف من وتر الهائم، وأنا أشكر شباباً ألقوا رداء الكســـل، وودّعـــوا الأماني، واتجهـــوا للأعمال لأنهم يعلمون أن قيادة (التكســـي) في طلب المعيشـــة أشرف من حمل ملف الشحاذة والوقوف على باب تاجر شرس عابس الوجه صفر من الخير.

وأصل المشكلة في العمالة الهاربة السائبة والوافدة أن الكثير يغلب عليهم الجهل والتّلبس بمخالفات كبرى كالسحر والشعوذة وتعاطي المخدرات والترويج للسلب والنهب، وهم يشكلون طابوراً منظّماً قابلاً للانقضاض في الوقت المناسب كما حصل لثورة الزنج في بغداد في القرن الثالث، وكما حصل في ثورة العيّارين والحشَّاشين في القرن الرابع، والتاريخ يعيد نفسه، ومن أنذر فقد أعذر.

ليتنا نُنشـــئ معاهد للتدريب على أعمـــال الفنادق والخدمة وســـائر الحِرَف من نجارة وســـباكة وخياطة، وننفض عن الجيل غبار الوهم والكســـل الذي ســـبب لهـــم القلق والقهر النفســـي والانهيار العصبي، ونقتصد في الحفلات الشـــعبية والإســـراف في ذبح البقر والجمال والخراف وختم ذلك برقصات يعلن فيها الشـــاعر تفوّق قبيلته على كل القبائل، وأنها بلغت الجوزاء شرفاً

وفخراً، وأنها حجبت الشمس بسيوفها، وهذا كله كلام فارغ؛ لأن كثيراً من أفراد القبائل لم يحفظ ثلاثة أحاديث، ولم يقرأ عشر صفحات من كتاب نافع، ولو سألته عن أحكام سجود السهو أو السنن الكونية في الأمم أو أخبار الدول أو بيت حكمة أو مَثَل شارد لما أجابك بحرف.

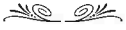

obeikandl.com

ودِّع همومك

ينبغي على من أراد السعادة في حياته أن يتخذ ثلاثة قرارات مصيرية ويعمل بها لكن بحزم وإصرار.

القرار الأول: نسيان الماضي بأن يغلق على ملفات الماضي في زنزانة الإهمال والإغفال، فلا يفتحها أبداً، ولا يقرأها مطلقاً، ولا يتذكر أي مصيبة أو مأساة أو كارثة مرّت به، وكأنه وُلد اليوم، فليس له علاقة بأمس الذاهب، الذي مات وكُفِّن رحمه الله؛ لأنَّ تذكُّرَ الماضي حُمق وجُنون، ولا يمكن أن يصلحه دمع أو عويل أو تحسر وأسف؛ فلماذا إعادة عقارب ساعات الزمن، وإخراج الأموات من قبورهم، ونشر النشارة وطحن الطحين، وهذا ما يفعله من يتذكر أحداث الماضي.

القرار الثاني: ترك المستقبل حتى يأتي بحيث لا تشغل ذهنك بالأيام القادمة، فقد لا تصل إليها أصلاً، فأنت حينما تعيش في المستقبل معناه أنك تصارع الظل وتقاتل الأشباح، وفي المثل الياباني: (لا تعبر جسراً حتى تأتيه)، وهذا صحيح؛ فقد لا تصل إلى الجسر أصلاً، وقد ينهار قبل أن تصل إليه وقد تعبره سالماً، والاشتغال بالمستقبل وترك الحاضر معناه ضياع الفرصة الوقتية الحاضرة في العمل والإنتاج، وليس معنى هذا الكلام عدم الاستعداد للمستقبل؛ لأن الناجح في يومه هو المستعد حقيقة لمستقبله.

القرار الثالث: (عِشْ في حدود يومك) فتعتقد اعتقاداً جازماً أنك لن تعيش إلا هذا اليوم، وأن حياتك يوم واحد فقط فتخطط لهذا اليوم، وتعمل له وتملأه نجاحاً وفلاحاً وصلاحاً وتجتث من نفسك شجرة الشَّر، وتستلَّ من قلبك عقارب السموم والهموم والأحزان، وتحرص على الاستفادة من كل دقيقة في هذا اليوم الذي هو ملكك فقط؛ لأن الماضي ذهب إلى غير رجعة، والمستقبل في عالم الغيب وهو غير مضمون كما قال الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيبٌ

ولك الساعة التي أنت فيها

إذاً فاكتب على جدار قلبك عبارة (يومك يومك) وإن كتبتها في مكتبك فحسن جميل حتى تعلم أنك لن تعيش إلا يوماً واحداً، وفي الحديث: "إذا أصبحت فلا تنتظر المساء"، يقول زميلي وصديقي أبو الطيب المتنبي:

لا تَلقَ دَهرَكَ إلا غَيرَ مُكتَرِثٍ

مادامَ يَصحَبُ فيهِ روحَكَ البَدَنُ

فَما يَديمُ سُروراً ما سُررتَ بِهِ

وَلا يَرُدُّ عَلَيكَ الفائِتَ الحَزَنُ

وسلامتكم.

أين عشّاق البيان؟

كيف يتــذوق جماليات البيان في القــرآن العظيم من صار عقله كالفول الســوادني المدمّس، بســبب التخمة والســهر على (افتح يا سمسم)، وقراءة الغثيان الفكري والسّفه المعرفي والأدب الرخيص للمراهقين عقلياً، تدبر القرآن يحتاج إلى عقول عظيمة وضمائر حية؛ لأنه كلام عظيم باهر يأخذ بالألباب ويذهل العقول حتى قال عنه الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ هذا وهم جن.

إن مــن معالم عظمة القرآن بيانه الخلاّب الجذّاب وأســره ودمغه للخصوم، وسموه وجلاله وأخذه بمجامع النفس واستيلاؤه على منافذ الروح، وكم قرأ روّاد البيان وأساطين الأدب من رواية وقصيدة ومقامة وملحمة وإلياذة، ثم قرؤوا القرآن فأعلنوا كلهم الانبهار والإذعان والتسليم لهذا الفيض الرباني والجلال البياني، واســألوا الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني والراغب الأصبهاني والزمخشــري وغيرهم، بل إن كفار قريش وقفــوا حائرين أمام قواصف وعواصف وقذائف القرآن، ولا بد من أن نلتمس لجيلنا الحاضر العذر في هذه الغيبوبة والغفلة عن مواضع الجمال في كتاب الله، والمشــغول بشــد الجنــز، وركوب البنــز، وجمع الكنــز، كيف يتفرّغ لتسريح النظر في حدائق القرآن ذات البهجة، ومتى يتلــذّذ بمشــاهدة خمائل القرآن الزاهيــة؟ وإذا أردت أن تعرف

المستوى الثقافي الهابط للعرب فانظر لركاب الطائرة والحافلة، تجد الغالب لا يقرؤون، ومن يقرأ يطالع أخبار العقار وأسعار الأسمنت ويتابع الموضة، فهل وجدت فيهم من يشاركك المتعة الذهنية والعشق البياني لهذا القرآن العظيم، هل تظن أنك سوف تطالع في حياتك أبهى وأبهر وأبهج وأسمى من هذا الكلام الباهر المفحم المعجز؟

كيف نريد السمو الحضاري والرقي المعرفي وبعض مثقفينا يتبجّح بطلاسم من الأدب الرمزي ليظهر تفوقه الثقافي وينظر إلى القرآن على أنه كتاب ديني تراثي قديم، والله لا أشعر بتهافت كلام الناس ورخص أقوال البشر إلا حينما أتغنى بآيات محكمات أو أسمع لقارئ جميل الصوت ليزلزل أعماق النفس بهذا الذكر الحكيم، ثم طالعت كلاماً لرموز الإصلاح والعلم فإذا هم مبهورون بهذا الكلام الآسر الأخّاذ، وقد كتبوا شهاداتهم كما فعل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد إقبال وعبد الحميد بن باديس والطاهر بن عاشور وابن سعدي والبشير الإبراهيمي وغيرهم، كلهم أعلنوا وقوفهم خاشعين أمام روعة وجلال وسلطان القرآن.

لقد سمع الوليد بن المغيرة أحد أساطين الكفر أول سورة فصّلت فاندهش وانبهر وقال: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمورق وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه. وهذه شهادة عدو فكيف بالصديق المحب؟

وأنــا أطالب القــراء أن يتفضَّلوا علينا بخمــس دقائق من وقتهــم ليقــرأ أحدهم في خشــوع وترنم وتغنٍّ ســورة الجن ثم يخبرنا بمشاعره وماذا وجد؟ أما الذين لا يبهرهم جمال الحرف، ولا يتذوقون حلاوة الإبداع، ولا يحســون بأســر البيان ولا بسحر الفصاحة فيكفيهم التجوال في سوق الخضار كما قال البحتري:

عَلَـيَّ نَحتُ القَوافـي مِن مَعادنها
وَمـا عَلَـيَّ إذا لـم تَفهَـمِ البَقَـرُ

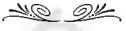

اللغة العربية في خطر

اللغــة العربية أكثــر لغات الأرض مفــردات وتراكيب، وهي لغــة العلم والفن والعقل والروح، والصوت والصورة، ولكنها اليوم فــي خطر أمام مد التغريب الزاحــف، والعاميّة الجارفة، فكثير مــن العرب يفخر بغيــر لغته، حتى صار مــن الموضة عند كثير منهم الرطانة بالإنجليزية والتباهي بترداد مفرداتها، ومن سافر من العرب إلى الغــرب عاد يرطن بكلماتٍ عدة ليوهم الناس أنه قد عاد بثقافة الغــرب وحضارتهم وكأنه الدكتور أحمد زويل أو البروفســور زغلول النجار بينما تجده كان ماسحاً للسيارات في شــوارع لندن أو نادل مطعم في تكساس، والعربية مهدّدة بلغات العمالــة الوافدة إلى بلاد العرب وبالخصــوص الخليج العربي؛ فالأرض تتكلم أوردو أو بشــتو ولغة التاميل حتى صارت المربيات يلقنّ أطفالنا لغاتهم على حســاب لغتنا فضعفت لغتنا أمام هذا السيل الطاغي من اللغات الوافدة، وتهدد العربية أيضاً باللهجة العامية، فأكثر الأشعار الآن باللغة المحلية وهي لغة بلدية محليّة دارجة ســوقية ويعقد لشعرائها مســابقات وجوائز ثمينة بينما شعراء العربية أكلتهم الوحدة والإهمال والتجاهل.

وزاد الطين بلَّة قيام وزارات التربية والتعليم في الدول العربية بتدريس العلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وأصل

هــذه العلوم كان بالعربية فــي عهد الفارابي وابن ســيناء وابن النفيس وجابر بن حيان، فضعف فَهْم الطالب لهذه العلوم ونسي لغته العربية الأم.

واليوم أصبح من الواجب على كل عربي غيور أن يهبّ لحماية لغته من الفناء وينقذها من الموت، كل في حقله وتخصصه، فأهل التربية والتعليم والمفكرون والمثقفون والأدباء ورجال الإعلام هم المســؤولون عن العربية أمام الله ثم الأمــة والتاريخ، وكما قال أبو منصور الثعالبي : من أحب الله أحب رســوله ﷺ، ومن أحب رسوله أحب القرآن، ومن أحب القرآن أحب العربية؛ لأن القرآن نــزل بها. ومن الشــرف العظيــم والمجد المنيف لهــذه الأمة أن كتابها عربي ونبيّها عربي، ولكن المتســوّلين على أبواب الأجنبي والمتطفلين على موائد الغير يرفضون هذا الشــرف ويفرّون من هــذا المجد، والحــل أن تتبنى الحكومات العربية ميثاق شــرف حماية العربية، وأن تلتزم بالعربية لغة رسمية في كل شؤونها كما فعلــت كل أمم الأرض، ويُعلَّم الجيل لغتــه الأم، ويُوقف في وجه كل دعوة للتغريب والتشــويه والعامية لنحافظ على هويتنا كعرب اختارنا الله للرسالة الخاتمة والدين العظيم والملة السمحاء.

بشِّروا ولا تنفِّروا

بشِّـــروا ولا تنفِّروا ويسِّروا ولا تعسِّـــروا، هذا كلام الرسول المعصـــوم ﷺ، إعـــلان صريـــح وخطـــاب واضح موجّـــه لحملة الإســـلام، معناه التبشـــير بالدِّين الجديد والتّيسير على الناس وعدم تنفيرهم بالغلظة والفظاظة بل دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وتذكيرهم برحمة أرحم الراحمين.

إن العلماء والدعاة وحملة الهم الإســـلامي هم رســـل سلام ورحمة في الحقيقـــة، فإذا خالف أحدهم هـــذا المنهج، وأصبح ينفِّـــر الناس بشـــدّته وقســـوته ويقنّطهم من رحمـــة الله، فإنما لخلل في نفســـه هو، وإلا فإن رسالة الإسلام رسالة حب وسلام ورحمة وهداية، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾، ولهذا أنهـــى إخواني من الدعاة الذين يهـــدِّدون الناس بخطبهم ويتوعَّدونهـــم وكأن الرحمـــة والعذاب بأيديهـــم، والبعض يتكلم للناس بمثالية وتعالٍ، وكأنه في برج عالٍ، أو من فصيلة أخرى لا يذنب ولا يخطئ، والله يقول: ﴿ وَلَوْلا فَضْـــلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾.

لماذا لا نعترف بإنسانيتنا وقصورنا وعجزنا؟ ولماذا لا نخاطب الناس على أننا مثلهم وهم مثلنا، كلّنا بشرٌ نصيب ونخطئ، نذنب ونســـتغفر، ننجح ونخفق، لا أحد منّا يملك الوصاية المطلقة على الإســـلام، ولا أحد منّا هو الناطق الرسمي الوحيد باسم بالدِّين،

فليس عندنا في الإسلام (بابا) ولا (ماما)، كلّنا أهل رسالة ربّانيّة عالمية هي رسالة سلام وإخاء وبشرى وهداية ورحمة، لا أحد أذكى ولا أطهر ولا أنبل ولا أكرم من محمد ﷺ، ولهذا ذكّره ربه بالأسلوب الجميل في الدعوة فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾.

إن كلمات الوعيد والتهديد في الموعظة والتّنفير والحِدّة المتناهية معناها أن المتكلم لم يفهم إلى الآن مقاصد هذه الشريعة المحمدية، فهو يتكلم على حسب طبيعته المركَّبة من الفظاظة والغلظة والقسوة، فأخذ يعبِّر عن الإسلام لكن بفكرته التشاؤمية السوداوية، وكيف يصغي لخطابنا من نخبره أنه شرّير وأن الله لا يغفر له، وأن النار تنتظره ونمطره صباح مساء بالويل والثبور وعظائم الأمور؟ مع العلم أن الكتاب والسنة بشَّرا بالتوبة واللطف من الله والرحمة الواسعة والمستقبل الجميل والمنقلب الحسن ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

إن مفاتيح الجنّة بيد الله وحده جل في علاه، وهو الذي خلقنا من تراب وعلم ضعفنا، وهو غني عنّا، ومع ذلك دعانا بالرفق واللين ووعدنا رحمته وهو أرحم الراحمين، فكيف يأتي بعضنا يستعرض علينا قدراته البيانية، وملكاته الخطابية، ويحاصرنا بالتّبكيت والتأنيب والتّسفيه والتّجهيل؟ وفي الحديث الصحيح

أن رجلاً عابداً نصح أحد العصاة فلم يستجب له العاصي، فقال العابد للعاصي: والله لا يغفر الله لك، فقال الله تعالى: من الذي يتألَّى عليَّ؟ أشهدكم أني غفرت لهذا العاصي وأحبطتُ عمل هذا العابد.

إذاً أيها الإخوة الفضلاء دعونا نقدِّم بشرى للناس لهذا الدِّين الخاتم، ونجعله حلاً لمآسيهم ومشكلاتهم؛ لأن رسوله الكريم ﷺ جاء كما وصفه ربُّه ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾، فمهمَّته إزالة العُسر والمشقة والعنت وإدخال السرور والأمن والرضا والسكينة، إن ديننا العظيم بريء من كهنوت الكنيسة التي تدعو إلى قتل الإنسانية في الإنسان، وتحريم ما أحلَّه الله، ونسف مباهج الحياة وإلغاء إشراق الروح، ولهذا قال الله عنهم: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾، فديننا غذاء للعقل وزاد للروح ومتعة للعاطفة، ورسالتنا حياة للجسم ونور للقلب وسعادة للدنيا وفوز في الآخرة، وإصلاح للفرد واستقامة للأمة، فهو توازنٌ بين الحقوق والواجبات، والفرائض والنوافل، والمكاسب والمواهب، والأخذ والعطاء؛ لأنه نزل بميزان العدل ﴿ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ فلا بد لمن يدعو للهداية من أن يفهم دين الله، وأن يتفقَّه في شريعته سبحانه ليدعو إلى الله على فهم عميق كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

أوقد شمعة ولا تلعن الظلام

الذكي الموفَّق يحوّل خسائره إلى مكاسب، طُرد الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة؛ فأنشأ دولة عادلة ملأت سمع الزمان وبصره، سُجن ابن تيمية فكتب في السجن ثلاثين مجلداً من العلم النافع، وضُع السرخسي في بئر معطّلة تحت الأرض فألَّف كتاب المبسوط في عشرين مجلداً، أُقعد ابن الأثير فصنَّف جامع الأصول أنفع كتاب في الحديث، تعطَّل عطاء بن أبي رباح عن المكاسب الدنيوية لأمراضه وضعفه فجلس في الحرم ثلاثين سنة يتعلم العلم فصار عالم الدنيا، أصابت الحمى أبا الطيب المتنبي فأرسل للعالمين قصيدته الرائعة الذائعة:

وَزائِرَتي كَأَنَّ بِها حَياءً
فَلَيسَ تَزورُ إِلا في الظَلام

وعمي طه حسين فواصَلَ دراسته حتى نال العالمية، وبُتِرت رجل الزمخشري فلزم بيته يقرأ ويصنِّف فصار أعجوبة الدهر، إذاً استثمر الوجه الآخر للمأساة، وانظر إلى الجانب المشرق للمصيبة، وحاول أن تصنع من الليمون شراباً حلواً، وتكيّف مع ظرفك القاسي، واعلم أن العظماء إنما شقّوا طريقهم إلى المجد على الجمر وعلى الشوك والتعب والمشقة؛ لأن طريق الراحة التعب، والتفوق والانتصار قطرات من الدموع والآهات والدماء والعرق،

أما الإخفاق والهزيمة فإنها كبســولات مسكِّنة من الفشل والكسل والتّسويف والإحباط والراحة، فإذا واجهتك أزمةٌ وصدمتك مأساة فلا تقابلها بالعويل والثبور والبكاء والتّحسر بل واجهها بالاحتساب والصبر والإصرار على الانتصار والثبات والاستمرار.

إن العباقرة في الغالب لم تكن ظروفهم مهيأة ولا النعم لديهم مكتملة ولا الوسائل متاحة، فمن عنده مالٌ ليس لديه صحة، ومن رُزق ذكاءً خســر الثروة، ومن مُتِّع بسمعه قد يفقد بصره، فحال الدنيا عدم الاكتمال، فلو أن الدنيا تمّت لكل أحد من العز والمال والصحة والجاه والسرور والأمن لصارت جنّة ولما كان في الآخرة جنّــة ثانية، لكن هذه الدنيا (من ســرَّه زمنٌ ســاءته أزمان) فلا تنتظــر أن يصفو لك العيش، وتســالمك الأيام، وتُتاح لك الفرص وتُفــرش لك طريق المجد بالــورود، ولكن انطلق بما أعطاك الله من موهبة ونعمة ووظِّفها أحسن توظيف، واجتهد غاية الاجتهاد، وإذا ضمك الليل فلا تلعن الظلام ولكن أوقد شمعة، وإذا تعطَّلت بك سيارتك فلا تُلقِ خطبة رنّانة في سبّ من صنعها، أو الطريق الذي مشــت عليه، ولكن أصلحها وواصل الســير، وإذا تنكَّر لك صديــق فلا تنظم فيه قصائد الهجاء وتضيّع وقتك، ولكن ابحث عن صديق آخر أو عش وحيداً، وكن كالنملة تحاول الصعود ألف مرَّة ولا تؤمن بالإحباط أبداً، وكن كالسيل إذا وُضعت في طريقه

صخرة انحرف ذات اليمين وذات الشمال، الفرص أمامك كثيرة والأيام المشـــرقة تنتظرك، والانتصار حليفك إذا بذلت واجتهدت وتوكّلـــت على الله، لا تعترف في الحياة بالهزيمة أبداً وقاوم إلى آخـــر نَفَس من حياتـــك؛ فإن أبا الريحـــان البيروني بقي يدّرس حتـــى في يوم وفاته، وأبو يوســـف القاضـــي يناقش طلابه وهو في ســـكرات الموت، وابن ســـيناء يكمل مصنَّفه والموت يدبُّ في أطرافـــه؛ لأن الحياة لا تعترف بالخاملين الكســـالى، والدهر لا يصفق للفاشـــلين، والمؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، قال شوقي:

وَمـا نَـيـلُ المَطـالِـبِ بِـالـتَـمَـنّـي
وَلَـكِـن تُـؤخَـذُ الـدُنـيـا غِـلابـا

وقلت أنا (وأعوذ بالله من كلمة أنا):

كـن أحمر العين إن المجد منتهبٌ
وكـن فديتُـكَ مرجـوّاً ومرهوبـا
لم ينفع الشّاةَ في الدنيا سكينتها
والليـث ما ضرّهُ أن ليس محبوبا

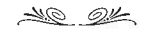

اخلع النظارات السوداء

التشاؤم هو مادة من مقررات مدرسة الشيطان، وقد حذَّرنا الله تعالى من ذلك فقال: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّـهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْـهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِـعٌ عَلِيمٌ ﴾ فإذا أوحت لك نفسك الأمَّارة بالسوء بأنك سوف تفشل وتخفق وتفتقر غداً وبأنك في المستقبل سوف تُصاب بمصيبة وتقع في كارثة فهذا كلّه كذب وأراجيف، ومشكلتنا أننا إذا خلونا بأنفسنا انتقلت بنا النفس إلى الخانة السوداوية، فحدَّثتنا عن الآلام والمصائب، والأوجاع والنّكبات، ولكن للأسف لا تنقلنا إلى خانة التفاؤل ولا تخبرنا بما عندنا من النِّعم، وما حققناه من النجاح وما أحرزناه من التّفوق والانتصار، فتجد الكثير منَّا يفكر في المفقود ولا يشكر الله على الموجود، ويبقى عمره ينتحب على فقد ولد أو ولدين، ولكنه لا يفرح ببقاء العشرة من أبنائه، وتجد البعض يتحسَّر لأنه سوف يمرض غداً، ويتأسَّف لأنه سوف يفتقر بعد سنة، ويتحسَّر لأنه سوف يموت بعد ستين عاماً، وأنت إذا أنصفت من نفسك وجدت الحياة أجمل مما تتصور وأروع مما تتخيّل، فمكاسبك فيها أكبر من خسائرك، ونِعَمَ الله عليك أعظم من المصائب التي حلَّت بك، الحياة جميلة متى ما نظرت إليها بتفاؤل، ومتى ما أحسنت توظيف نِعَمَ الله عليك، ومتى ما استقبلت المواهب الرّبانية بقبول حسن، لكنَّك لن تجد للحياة طعماً لذيذاً ولن

ترى لها صورة حسنة ما دمت تحمل بين جنبيك نفساً متشائمة ونظرة سوداوية، فلو سكنت قصراً مشيداً وحللت حديقة غنّاء وأشرفت على نهر مطّرد، وملكت كنوز الدنيا فسوف تبقى كئيباً تعيساً منغَّصا؛ لأنك صدّقت الشيطان في أخباره السيئة ووعوده الكاذبة، ولو صدَّقت الرحمن وآمنت به لرضيت بقضائه وقدره ولقنعت برزقه، فتجدك متبسِّماً سعيداً وأنت تسكن كوخاً، وتأكل خبزاً جافاً وتنام على الرمل، إن أكثر الشقاء الذي يعيشه كثير من الناس أوهام مزيّفة، وأخبار مغلّفة بالكذب؛ لأنهم وضعوا على عيونهم نظارات سوداء من التشاؤم والنظر إلى الجانب السلبي المظلم من الحياة فأصبحوا لا يرون إلا سواداً في سواد، فهم لا يتمتَّعون ببهاء الشمس الساطعة وإنما يشكون حرارتها، ولا يتلذّذون بشرب الماء الزلال ولكنهم ينزعجون من برودته، وإذا ناولت أحدهم وردة جميلة نظر إلى شوكها، ولهذا يقول إيليا أبو ماضي:

أيها المشتكي وما بك داءٌ
كيف تغدو إذا غدوت عليلا
وترى الشوك في الورود وتعمى
أن ترى فوقها الندى إكليلا
والذي نفسه بغير جمالٍ
لا يرى في الوجود شيئاً جميلا

فاخلع نظاراتك السوداء التشاؤمية، ونظِّف ذاكرتك السوداوية من الأوهام والإحباط والخرافة، وأقبل على الحياة بإيمان ورضا وعزيمة، وسوف تجد الحياة تعطيك أكثر مما تطلب، وسوف تراها أبهى وأبهج مما تتوقع، وقد ذكروا في التاريخ المعاصر أن فرنسا في ثورتها العارمة سجنت شاعرين من شعرائها متفائلاً ومتشائماً، فأما المتفائل فأخرج رأسه من النافذة ونظر نظرة في النجوم وضحك، وأما المتشائم فنظر إلى البائسين في الشارع المجاور فبكى، وقد قسَّم الوحي الناس في استقبالهم للقرآن العظيم إلى قسمين حسب نظراتهم في الحب والتفاؤل والكره والتشاؤم ﴿ **وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾، كم مرّة ظننا أنها النهاية فإذا هي البداية، كم من يوم اعتقدنا أنه الإخفاق والإحباط فإذا هو الانتصار والنّجاح، كم من مصيبة حسبنا أنها ساحقة ماحقة فإذا هي نعمة وهبة ربّانيّة قَوَّتْنا وأيقظتنا، كم مرّة خِفنا ولكن لم يحدث ما نخاف، وكم مرّة تشاءمنا ولكن لم يحصل مكروه، فعلينا جميعاً أن نستقبل أيامنا بالتفاؤل والنفس الراضية والهمة العالية ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾.

أكبر كذبة في التاريخ

أشكر الفيلسوف الإســـلامي الكبير الشيخ أبا عبدالرحمن ابـــن عقيل الظاهري فـــي ردوده القوية الســـاحقة الماحقة على الملاحـــدة وبالخصوص في كتابه (لن تلحد)، ولو كان هناك عدل عالمي وإنصاف إنساني لمُنح هذا الموسوعي الألمعي جائزة نوبل، والمقصود أنه تهكَّم بالملاحدة وسخر منهم وشاركه في ذلك نوابغ العالـــم، فالعقاد فـــي كتابه (مذاهـــب ذوي العاهات) خلص إلى أن الملاحـــدة معاقون عقلياً وأنهم حمقـــى خالفوا المنطق والعقل والبرهان، وفي سيرة أينشتاين صاحب النظرية النسبية يقول: إن من ينظر في الكون يعلم أن مبدعه وخالقه حكيم لا يلعب بالنرد. وقد سخر الكاتب المصري الشهير أحمد حسن الزّيات في مجلة الرسالة من ناطق باسم مركبة الفضاء الروسية كتب في صحيفة البرافدا أن روّاد المركبة لم يجدوا الله سبحانه على عرشه، فكتب الزّيات مقالة منها: لكنها الشيوعية أرض بلا سماء، ويوم بلا غد وعمل بلا خاتمة، وسعي بلا نهاية، إنها خرافة لكنها تافهة، ولعنة لكنهـــا ماحقة، وكذبة لكنها كبـــرى. وفي مذكرات الرئيس جورج بوش الأب (سيرة إلى الأمام) ذكر أنه زار موسكو لحضور جنازة رئيس الاتحاد السوفيتي الأسبق برجنيف قال: فوجدت الجنازة مظلمة لا نور عليها لأنهم لا يؤمنون بالله ولأن بوش مسيحي وهم

ملاحدة، وللفيلسوف الكبير الروسي سخروف مذكرة أثبت فيها وجود الله سبحانه وبسببها نفاه الحزب الشيوعي إلى صحراء سيبيريا، وفي كتاب ابن عطاء الله يقول في القصص العالمي: إن أستاذ الرياضة في مدرسة ابتدائية بطاشقند سأل الطالب أحمد عن الله: أين هو؟ فقال الطالب: الله في السماء، قال الأستاذ: هل رأيته؟ قال الطالب: ما رأيته ولكن عرفته بمخلوقاته وآياته وليس كل شيء يا أستاذ لم نره معناه العدم، فأنت تؤمن بالعقل وما رأيت العقل فغضب على الطالب، وقال لطالب آخر: وأنت تؤمن بوجود الله؟ قال الطالب: نعم، قال الأستاذ وما دليلك على وجوده؟ قال: يا أستاذ لو رأينا بيتاً مشيداً ألا يدل على أن له بانٍ بناه؟ ولو رأينا لوحة جميلة ألا تدل على أن لها رسّاماً مبدعاً؟ كذلك هذا الكون العظيم يدل على أن له خالقاً عظيماً. وقد نقل ابن تيمية إجماع عقلاء العالم من كل الملل والنِّحَل على وجود الخالق سبحانه وما أنكر ذلك في الظاهر إلا فرعون مع أنه مقر في نفسه بوجود الله حتى قال له موسى: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾. إن الإلحاد أكبر كذبة في التاريخ وإن الملاحدة معاقون فكرياً وحمقى عقلياً ومرضى نفسياً ولا إله إلا الله أصدق كلمة عرفها الدهر.

ولقد قال المأمون لأحد الزنادقة: أنت تيس وأتيس منك من يصدقك، وقال شمس الواعظين الشيرازي في القصص

العالمي: والله إن حماري الأشـهب الأجـرب أذكى من بندريوف رئيس الحزب الشـيوعي في طاشـقند، وقـال ابن معارف على لسان حمار توما الملحد:

قـال حـمـار الحـكـيـم تُـومَـا
لـو أنـصـفَ الـنـاسُ كـنـتُ أركـبْ
فـإنـنـي جـاهـل بـسـيـطٌ
وصـاحـبـي جـاهـلٌ مـركَّـبْ

والرسـل الكرام عليهم السـلام لم يأتوا فقط بإثبات وجود الله بل بُعِثوا بتوحيده جل في علاه وأن لا يُعبد بحق سواه.

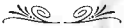

نقد التعليم الديني

لا يزال التعليم الديني في الجانب الفقهي على حالة واحدة عندنا منذ ألف سنة، فهو متون فقهيه مذهبية مجردة من الدليل كُتبت قبل قرون من الزمن، يحفظها الطلاب عن ظهر قلب كزاد المستقنع في الفقه الحنبلي، ومختصر خليل في الفقه المالكي والتقريب لأبي شجاع في الفقه الشافعي، والقدوري في الفقه الحنفي، وهذه المتون كُتِبت باختصار شديد للعبارة وإلغاز في الجمل واختزال للمعاني، والخطأ فيها من وجهين:

الأول: تجريدها من النصوص كتاباً وسنة؛ لأن المقصود الاستدلال لها بدليل شرعي لا الاستدلال بها هي مجردةً من الدليل.

الثاني: فَهِم الكثير أن هذه الآراء الفقهية قاطعة راجحة وما سواها باطل؛ فحصل التعصب للمذهب والبعد عن الدليل، فحينما تطالع مثلاً أول زاد المستقنع تجد عبارة (وأقسام المياه ثلاثة)، وهذا خطأ بل هما قسمان فقط، ثم يقول: (وإذا اشتبهت ثياب طاهرة بنجسة صلى بعددها وزاد صلاة) يعني أن من عنده عشرين ثوباً فعند الاشتباه يصلي إحدى وعشرين صلاة وهذا خطأ بل عليه أن يتحرى، والمشكلة أن هذه المتون تذهب بالطالب بعيداً عن الآية والحديث ويكدُّ ذهنه في عبارات مغلقة مقفلة دون طائل، ولماذا نشتغل بعبارات الفقهاء الملغزة الغامضة ونشرحها

ونعصر الذهن في فهمهـا، ومعنا كتاب عظيم فيه الهدى والنور مع البيان الشـافي والجواب الكافي، ومعنا سـنة مطهرة سهلة ميسَّـرة، حتى إننا نعرف من الفقهاء مـن تصدَّر للإفتاء وهو لا يميز بين الحديث الصحيح والضعيف، ولا يستحضر الدليل وإنما يحفظ هذه المتون الفقهية المذهبية، فهل فينا رجل رشـيد يُصلح هـذا التعليم الفقهي؛ ليدرس الطلاب فقه الكتاب والسـنة كما فعل أئمة الحديث وابـن تيمية وابن عبد البر وابن عبد الوهاب والصنعاني والشوكاني وغيرهم.

وقد درسـنا في المتوسـطة والثانوية سبع عشـرة مادة في الدِّين والرياضيات والجبر والهندسة والفيزياء والكيمياء والأحياء والإنجليزي مع الأدب والنحو والثقافة والتاريخ والجغرافيا وغيرها وكان معنا في تلك المراحل د. سـلمان العـودة ود. عبدالرحمن السـديس ود. عبدالوهاب الطريري ود. محمد التركي وغيرهم من تلك الفرقة الناجيـة والطائفة المنصورة، فتخرَّجنا لا نعرف الإنجليـزي ولا نجيـد الفيزيـاء ولا نفهم الكيمياء ولا نحسـن الأحيـاء ولم يُفتـح علينا في الجبر ولم نوفَّق في الهندسـة ولم نبرع في الحسـاب وغرقنا في الجغرافيا بين صادرات سـاحل العاج ومسـتوردات بوركينافاسـو ومنتجات الكمرون وأخشـاب زائير والكاكاو في غينيا بيسـاو فصار المنهج (خويضة) وصارت دراسـة هذه المواد على حساب المواد الشـرعية واللغة العربية،

وباللـــه عليكم هل هذه طريقة في تعلم العلم؟ ويحق للطلاب في العالـــم العربي ألاّ يخـــرج منهم فقيهٌ بارعٌ ولا مفسِّـــرٌ حاذقٌ ولا أديبٌ لامعٌ ولا نحويٌ ســـاطعٌ لأن التعليم في المتوسطة والثانوية (كوكتيل) قل يعني على طريقة (صِبحتْ بالخير).

obeikandl.com

إذاعة القرآن في تونس

خطوة ذكيـــة وحصيفة إقـــدام الحكومة التونســـية لافتتاح إذاعة القرآن الكريم التي تُبث على مدار الســـاعة وقد كســـبت الحكومة التونســـية بهذا العمل الجليل مكاسب منها: تلبية رغبة الشـــعب التونسي النبيل المســـلم الذي لا يريد إلا الإسلام خياراً ومنهجـــاً للحياة، كيف وهو بلد ابن خلدون والطاهر بن عاشـــور والزيتونة والقيروان، ثم إن القرآن ســـوف يحل مشـــكلات الغلو والتطـــرف والتحلل من الدين والأخلاق والقيم فيعيش الشـــعب التونســـي الأمن والفضيلة والرحمة والتســـامح، وســـوف يشكر العالم الإســـلامي لتونس هذه المبـــادرة الرشـــيدة، ولقد أثبتت إذاعـــة القرآن بتونس نجاحها مـــن أول يوم، فقد ذكرت (جريدة الشرق الأوســـط) أن الإذاعة تلقت في وقت قصير ثمانية آلاف رســـالة شكر وتقدير وسوف يستمر القرآن الكريم يرسل رسائله عبر إذاعة تونس للشـــعب التونسي والعالم، ففي القرآن الرحمة ﴿ وَمَا أَرْسَـــلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾، وفـــي القرآن الحكمة ﴿ ادْعُ إِلَى سَـــبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾، وفي القرآن العدل ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُـــوا بِالْعَدْلِ ﴾، وفي القرآن الوســـطية ﴿ وَكَذَلِـــكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَـــطاً ﴾، وفي القرآن التســـامح ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾، وفي القرآن العفو والصفح ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْـــتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾، وفي القرآن

الحـــوار الجميل مع الآخـــر ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَـــابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـــنُ ﴾، وفي القرآن الرفق واللين ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَـــى ﴾، وسوف يسمع التونسيّون والعالم الدعوة في القرآن للســـلام ومنع الاعتداء ﴿ وَلا تَعْتَـــدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِـــبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾، والأُخوة والأُلفة ﴿ إِنَّمَـــا الْمُؤْمِنُونَ إِخْـــوَةٌ ﴾، والتضامن ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾، والنهي عن التدمير ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾، وتحريم القتل ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَـــكُمْ ﴾، هذا هو الحل الصحيح لأي أفكار شـــاذة غريبة وأي أعمال شريرة وتصرفات هوجاء، وهذا الحل لا يكون إلا في كلام الله عز وجل ورســـالته الخالدة لأهل الأرض، وســـوف يقتحم القرآن بســـلطانه الباهر وبرهانه القاهر مستعمرات العقول الجامدة، والنفوس الجاحدة، والأرواح الخامدة، فينفض عنها غبار الشّـــر ويجتث منها شجرة الخبث ويغســـلها من أدران البغضاء والشحناء والحقد، لأن من مهمـــات القرآن الكبرى ومن مقاصده العظمى إخراج الإنســـان سويّاً كريماً خيّراً ليكون عضواً صالحاً في المجتمع، يحمل سنبلة لا قنبلة، ويشارك في حركة التنوير والتعمير لا في عصابة التكفير والتفجير، إن الشعب التونسي قد رضي بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رســـولاً ولا يريد أفكاراً مستوردة معلّبة من الشرق أو الغـــرب بل يريد الوحي من الســـماء حيث العصمة من الزلل، والسلامة من الخلل، والنجاة من العلل، وسوف يسعد التونسيّون

ومعهم كل المسلمين بتلاوة حيّة خاشعة تعبر الفضاء ويحملها الأثير فتخترق حُجُب الضمير وتنفذ إلى سويداء القلب وتصل إلى قرارة النفس فحوى هذه التلاوة العطرة من إذاعة القرآن في تونس على مدار أربع وعشرين ساعة تقول للناس: تراحموا، تصالحوا، تسامحوا، تصافحوا، تحابوا، اعبدوا الله وحده، برّوا آباءكم، صِلوا أرحامكم، ألقوا سلاح العداوة، انشروا بينكم المحبة والسلام، ابتعدوا عن الفتنة، اجتنبوا القتل، عيشوا حياة الإيمان والأمن، والإسلام والسلام، وصدق الله حيث يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

أُبارك للتونسيّين مشروعهم العظيم المبارك في إذاعة القرآن الرائدة الرشيدة، وإذا لم ينصت الشعب التونسي للقرآن الكريم فهل ينصت للقانون الفرنسي الذي قتل من الشعب الجزائري وحده أكثر من مليون مسلم ظلماً وعدواناً أو فتوحات البيت الأبيض صاحب سجن غوانتانامو ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾.

أغلقوا محاكم التفتيش

لن تسلموا من تصنيف الناس ولو كنتم في بروج مشيّدة، فإذا تكلّمت أو حاضرت أو كتبت أو ألّفت فسوف يقوم أناس موكّلون بك ويصنّفونك تماماً، فإن كنت طالب علم ومدحت آراء الفقهاء ونقلت عن أهل المذاهب فأنت عندهم مقلّد متعصّب جامد، وإن أخذت بالدليل واعتمدت على النص فأنت ظاهري جلف، وإن رفعت صوتك وأغلظت في العبارة وأنكرت على بعض المخالفات فأنت (خارجي)، وإن أكثرت من البشارة وذكّرت الناس بعفو الله وفتحت باب الأمل لهم في التوبة فأنت (مرجئ)، وإن رفقت بأهل الشأن وألنت لهم الحديث فأنت عالم سلطان مداهن، وإن كتبت عن الآخر ونقلت عن الغرب فأنت (ليبرالي)، وإن تحدّثت عن التمدن وخبرات الغير فأنت (علماني)، وإن حاضرت عن الحكم وما والاه فأنت (إخواني)، وإن ذكرت الولاء والبراء فأنت (سروري)، وإن أكثرت من المبشرات وأعرضت عن المنكرات فأنت (تبليغي)، وإن حاضرت عن الخلافة فأنت (تحريري)، وإن دعوت إلى منهج السلف ونبذ الشركيّات والبدع فأنت (وهّابي)، وإن أكثرت من الشمائل والمدائح النبوية فأنت (صوفي)، وعندي كتابات ورسائل تحدثت عني من البعض فذكرت عني وأنا العبد الفقير أنني (حلولي) لبيت شعر قلته من قصيدة، وآخر ذكر أني

(صوفي) لعبارة قلتها في شـــريط، وثالث ذكر أني (خارجي) لأن لـــي قصيدة وأنا طالب بالثانوية بعنوان (دع الحواشـــي وأخرج)، ومقصودي: أيها العالم أخرج للناس معلماً ومربياً ولا تكتفِ فقط بتحقيق الحواشـــي، فقال الأخ معلّقاً على كلامي: فانظر إليه يا أخي كيف يقول: (دع الحواشـــي وأخـــرج) ومقصوده: اخرج على والي الأمر!! فبالله عليكم هل في كلامي ما يُفهم عند المســـلمين أو اليهـــود أو النصارى أن قصدي الخروج على والي الأمر، وذكر آخـــر أنني (مرجئ) لأننـــي أُكثِر من ذكر التوبـــة والرحمة حتى سهّلت المعاصي للناس، وأنا لا أنكر أن هذه المذاهب والجماعات والأفـــكار موجودة ولكن الإنكار على من نصبوا أنفســـهم قضاةً على عبـــاد الله يصنّفونهـــم على كل كلمة وقصيـــدة ومحاضرة وكتاب، قال الزمخشري عن تصنيف الناس:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبُحْ به
وأكْتُمُه كتمانُهُ لـيَ أسلَمُ
فإن حَنَفياً قُلتُ قالوا بأنّني
أُبيحُ الطّلا وهو الشرابُ المحرّمُ
وإن مالكيًا قلتُ قالوا بأنّني
أبيحُ لهم أكْلَ الكلابِ وهمْ هُمُ
وإن شافعيًا قلتُ قالوا بأنّني
أُبيحُ نكاحَ البِنْتِ والبنتُ تَحْرُمُ

وإن حنبليًا قلتُ قالوا بأنّني
ثقيلٌ حُلُولِيٌ بغيضٌ مُجَسِّمُ
وإن قلتُ من أهل الحديث وحِزْبِه
يقولون تيسٌ ليس يَدْرِي ويَفْهَمُ
تَعَجّبتُ من هذا الزمانِ وأهلِه
فما أحدٌ مِنْ أَلسُنِ الناس يَسْلَمُ

أيها الناس أغلقوا محاكم التفتيش في أذهانكم، وأوقفوا ثكنات التجسس والاستخبارات في عقولكم، وارفعوا المشانق التي نصبتموها للآخرين، ويا أيها العلماء والدعاة صونوا ألسنتكم من الخوض في ما نهى الله عنه، ويا أيها الكتّاب أغمدوا أقلامكم عن التجريح والتشويه والهمز واللمز والغمز ولا تحكموا إلا ببيّنة كالشمس في رابعة النهار (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)، أما الظنون والأوهام والوساوس فهي تليق بمرضى النفوس، فقراء القيم، خواة الضمائر، يقول ابن رشيد (بالشعبي) :

ما يستشكْ يا حسين كودْ الرديّنْ
والا ترى الطيّبْ وسيعٍ بطانَهْ

الإسلام السياسي في مأزق

أنا مؤمن -والله- أن الإسلام هو الحل عقيدة وحكماً ومنهج حياة، ولكن على طريقة رسولنا ﷺ، وسوف أكون اليوم شجاعاً بدرجة إيصال صوت النصح لإخواني الإسلاميين في الحركات الإسلامية، وسوف أترك المجاملة حتى أنتهي من كتابة هذا المقال، فأقول: ألا يكفينا ما مرّ بنا من تجارب وحوادث دامية مبكية أثمرتها المواجهة مع الحكام والصِّدام الدموي معهم دون فهم لسنن التاريخ وتدبُّر للواقع، لماذا اتجه أهل الإسلام السياسي من إصلاح الفرد والأمة إلى طلب الحكم والحرص على الكرسي بأي ثمن ليحكموا شعوباً جاهلة بالدين (هريانة كحيانة)؟ لماذا نجعل إقامة الخلافة من أهم مطالب الدين ومقاصد الملّة كما قالت الشيعة في الإمامة؟ بل إن أهم مطالب الدين الإيمان بالله وحده وإفراده بالعبودية واتباع رسوله ﷺ والعمل بطاعته، لماذا نحرص كل الحرص على تولّي المناصب التي رفضها من هو أتقى وأعلم وأكرم منّا: الثوري، ابن المسيب، الحسن البصري، مالك، الشافعي، أبو حنفية، أحمد وكل أئمة الإسلام؟ ما هذا التصعيد الحاد في الخطاب، وطلب المنازلة، والحرص على المواجهة؟ هل نريد زيادة في التنكيل بنا وذبح أبنائنا وهدم بيوتنا وتشريد نسائنا؟ أقول هذا وقلبي مع الإخوة

في فلسطين وهم يعيشــون الحصار والقتل والتدمير والتّضييق بل المجاعة والاجتياح من قبل عدوّ شرير مارد أُعطي الفرص من كل الأطراف لممارســة العبث والهوج والتلاعب بدماء المسلمين. وأنا لا أطالب الإســلاميّن بسياسة بعض الأنظمة العربية التي آثرت الذّل والخنوع والتبعية مع المحتل، إنني أطالب الإسلاميين بسياســة رســولنا ﷺ الإمام القدوة؛ فإنه في حال الضعف آثر عدم المواجهة كما فعل مع المشركين في مكة، واهتم ﷺ بإصلاح النــاس وتربيتهــم وتعليمهم حتى أخرج جيلاً راشــداً مثاليّاً، ثم أقــام دولة هي أعظم وأعدل دولــة عرفها التاريخ، وعلى الإخوة في فلســطين وفي غيرها من بلاد الإسلام ألاّ يعوّلوا كثيراً على المواقف الشفويّة العاطفية المجردة من النفع والتي تنتهي بخطاب مواساة وتضامن يوقعه ألف عالم إسلامي، فوالله لو كتبت عريضة دون دعم مالي وعســكري ووقع عليها مائة عالم مسلم وأذاعتها أشــهر قناة فضائيــة (٩٩) مرّة لما أطعمت هــذه العريضة أبناء الشعب الفلسطيني خبزاً من (البقّالة) ولا أسقتهم كوب ماء، ماذا جنينا من المواجهة الدموّية مع النظام في مصر وسوريا والجزائر وتونس غير الســجون والقتل ويُتْم الأبناء وضياع الأســر وحظر الدعوة والتضييق على العلماء؟ وكأن بعض الإسلاميين يرون أن الإنســان لن يدخل الجنّة حتى يسجن ويقطّع ظهره في الزنزانة ثم يذبح ويسلخ (بل نسأل الله العفو والعافية)، وفي الحديث: «**لا**

تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية»، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن الطوائف المحتسبة من أهل العلم ما قامت على سلطان عادل أو ظالم إلا كانت الدائرة على تلك الطائفة؛ لأنها جهلت المنهج النبوي على حديث: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»، فبدل أن تقوم هذه الحركات الإسلامية بالدعوة النبوية وإصلاح الأمة وتربية الجيل تريد أن تقفز إلى رأس الهرم وتهمل القاعدة وتواجه أنظمة، ولو أنها فاسدة ولكنها تملك طوابير العسكر وجيوش الشرطة وأسراب الطائرات وقوافل الدبابات، بينما عند الإسلاميين عشرة مراكز صيفية ومائة خيمة كشفية، وانظر إلى الإسلاميّن في الجزائر وأنا أعلم أن النظام ظلمهم حقهم لما فازوا في الانتخابات، كانت طريقتهم في الدعوة غير ناضجة وكان المطلوب منهم تربية الشعب الجزائري الباسل على الإيمان؛ لأنه خرج من الاستعمار جاهلاً بدينه وعقيدته، وبحاجة إلى تربية إسلامية راشدة، ولكن ترك ذلك كله إلى خطب رنّانة طنّانة حماسية عاطفيّة تدعو إلى: النزال النزال بلا علم ولا رويّة، ثم قامت المظاهرات والاشتباكات ثم القتل والتدمير ثم تمزيق الشعب الجزائري وإزهاق أرواح ربع مليون مسلم حرام الدم، فهل كان يعرف الإسلاميّون أن حكومة الجزائر عندها نصف مليون من الجيش المدجّج بالسلاح وربع مليون من الدرك

الملغم بالقنابل وثكنات من العتاد بينما ليس عند الإسلاميّن إلا ألف كتاب، ومائة مسجد جامع وصحيفة واحدة، أخرجوا لنا الآن عشرة علماء كبار من علماء الشريعة يشار إليهم بالبنان في الجزائر أو تونس أو المغرب أو غيرها، أفيقوا أيها الإسلاميون وحكّموا سياسة الرسول ﷺ في دراسة المراحل ومعرفة الحال والفهم لرسالة الإسلام ومقاصد الشريعة، وأصلحوا الناس وردّوا الشعوب إلى الإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ ودعونا من العنتريّات والغضبة المضريّة التي ما قتلت ذبابة بل جرّت علينا الويلات والمعتقلات والأزمات، وأنا بالمناسبة أحيي حزب العدالة والتنمية الإسلامي بتركيا، وقد زرت تركيا ثلاث مرات فوجدته يربي الناس على تعاليم الإسلام الصحيح، وعنده حكمة وصبر وذكاء ودبلوماسية وفهم للواقع وفقه بالمناخ الدولي، فاعتبروا أيها الإسلاميون وأعيدوا القراءة من جديد وهذه نصيحة من أخ ناصح محب ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

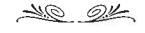

الفكر العربي بلا هوية

لا يوجد للفكـــر العربي المعاصر معالم ثابتة ولا مســـارات محـــدّدة بحيث يتميز عن غيره من أفكار الأمم والشـــعوب، فهو متماهٍ وعشوائي إلى درجة دخول الديني واللاديني والمؤمن والملحد تحت مســـمى الفكر العربي، وإذا لم يكن لهذا الفكر شـــخصيته البارزة والمتفردة عن الأفكار الأخرى فلماذا نسميه الفكر العربي؟ فهـــو إذاً كغيره من الأفكار؛ كالفكر الغربي والصيني والكوري ونحو ذلك، ونحن العرب شـــرفنا الوحيد هو رسولنا ﷺ الخاتم وما جاء به من عند ربه تعالى، أما مآثر الجاهلية الجهلاء، أو شـــجاعتها الهوجـــاء، أو مكارمهـــا الرعناء، فعند الأمم والشـــعوب أضعاف مضاعفة من هذا الكـــم من الأخبار والروايات والقصص، ولماذا لا يعلن الفكر العربي بصراحة وشـــجاعة ووضوح أن رسالته هي رســـالة الإســـلام، وأن منطلقاته من الوحي المقدس، وأن هويته ربّانيّة محمّدية لا مساومة في ذلك ولا تنازل، حينها يُعرف الفكر العربي بهـــذه البصمة ويصبح له لون معـــروف، ومكان مرموق، ورســـالة محـــدّدة محترمـــة، وإذا لم يحصل هـــذا التحديد فما الفائدة في أن يُقال الفكر العربي أو الأفكار العربية من إسلامية وقوميّـــة وبعثية وعلويـــة ودرزية ونصيريّـــة وناصريّة ونصرانيّة،

وســوف يدخل في هذا الفكر الشــعارات القومية الزائفة، يقول الشاعر العربي القومي البعثي (طبعاً بلا إسلام):

آمنــت بالبعــث ربّــاً لا شــريك له

وبالعروبــة دينــاً مــا لــه ثــانِ!!

وسوف يشمل الفكر العربي هتافات الشاعر القومي العربي (طبعاً بلا إسلام) القائل:

هبوا لــي ديناً يجعــل العرب ملة

وسيروا بجثماني على دين برهمِ

ســلام علــى كفــر يؤلّــف بيننــا

وأهــلاً وســهلاً بعــده بجهنــمِ

ويصبح الفكــر العربي بلا هوية كثمن شــاة الأعرابي التي عرضها بالســوق للبيع فقيل له: بكم شاتك؟ فقال: شاتي بسبعة دراهم وقد طُلبت مني بثمانية فإن كنت تريدها بتســعة فخذها بعشــرة، لماذا يخجل الفكــر العربي المعاصر مــن إعلان هويته الإسلامية بينما أعلن الرفاق الشيوعيون قديماً في عدن هويتهم، وأعلــن البعثيون في أول بيان لهم رســالتهم، وصــرّح الضبّاط الأحرار بتوجههم، وكل دعوة أو منظمة أو مؤسســة أو كيان يعلن بقوّة وبشجاعة عن مبادئه وهويته إلا الفكر العربي فإنه غامض ومتردد رمادي اللون ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ ﴾ كما قال عمران بن حطان:

يـوم يمـانٍ إذا لاقـيـت ذا يمـنٍ
وإن لـقـيـت مـعـدّيـاً فـعـدنـانِ

لا نريد للفكر العربي أن يعود إلى ملاعب الوثنية في داحس والغبـراء، وعبـس وذبيان، ومراتع الجهـل، والتخلف في مغاني اللات والعزى ومناة الثالثة الأخـرى، نريد فكراً مؤمناً بالله في قافلة أبي بكر وعمر ومالك والشافعي والغزالي وابن تيمية وابن رشد وابن خلدون وإمام القافلة سيد الخلق محمد ﷺ:

فإمـا حيـاة نظّم الوحي سـيرها
وإلا فـمـوتٌ لا يسـرُّ الأعاديـا

وتأكـد من بضاعة الفكـر الوافدة إليك بـأن يكون الطابع المسجل ربّانياً محمدياً، والشركة المنتجة ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَـاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾، والوكلاء الوحيدون ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّه ﴾، والعلامة الفارقة ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّـجُودِ ﴾ والفكر العربي بلا وحي هو المسؤول عن هزائمنا ومآسينا؛ فهو الذي هزمنا في حزيران وسلّمَ سيناء وباع الجولان واحتـل الكويت وضرب الريـاض بصواريخ الأسـكود، وحارب دعوة التضامن الإسـلامي التي أطلقها الملك فيصل، وكل شـؤم دخـل علينا فهو من الفكر العربـي الأرضي المحارب للدّين، وكل انتصارات حصلت لنا فهي ثمـرة لاعتصامنا بحبل الله في بدر وحنين واليرموك والقادسـية وعين جالوت، مع الشـكر للشاعر

الفيلسوف العالمي محمد إقبال وهو يحيي التاريخ الإسلامي في المشرق حيث يقول مخاطباً ربّه عز وجل:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان

ولا دنيا لمن لم يحيِ دينا

ومن رضي الحياة بغير دين

فقد جعل الفناء لها قرينا

فيا صاحب الجمرك لا تتأمرك، وأحذّرك من مزدك، وفوّض إلى الله أمرك، واعرف قدرك، ووحّد الله ولا تشرك.

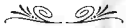

obeikandl.com

أيام في جاكرتا

كنّا عشـــرة من الســـعوديّين في زيارة أندونيســـيا لحضور معرض الكتاب وإلقـــاء دروس ومحاضرات، ووصلنا هذه الدولة أكبر دولة إســـلامية من حيث عدد المســـلمين الزائد على مائتين وأربعين مليون مســـلم، والذي لفت أنظارنا أن هذه البلاد المكوّنة من ســـبعة آلاف جزيرة بين طرفيها تســـع ســـاعات بالطائرة لم تدخل الإسلام بجيوش جرّارة ولا بحاملات طائرات ولا بكمندوز ولا باجتياح عســـكري وإنما بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار والإقناع، وعجبنا من عاطفتهم الدينية الصادقة مع ســـماحة في الخُلُق وبُعد عن العقد النفسيّة، ونظرية المؤامرة والتّربص بالآخر مـــع ما منحهم الله من جمال في الطبيعة يأســـر النفس ويخلب الذهن ويدهش الزائر، وصعدنا الجبل الشهير في ضواحي بندو يكلّله الســـحاب وتكســـوه الخضرة وتتحدّر من جنباته الشلاّلات في منظر يبهج الخاطر، ويشـــرح الصـــدر، ويذهب الحزن، ولما حـــان أذان الفجر ارتجّـــت الجبال بالأذان، وجلســـنا بعد صلاة الفجر على قمة الجبل نتحدث عن عظمة الإســـلام في وصوله بالمنطـــق والحكمة إلـــى أصقاع الدنيـــا ودخوله المـــدن والقرى والأرياف والأكواخ والبوادي، ثم ذكرنا الطريقة العقيمة الفاسدة التـــي يقوم بها الســـفهاء الجهلة من الغـــلاة ممّن يريدون فرض

آرائهم على الناس بالحديد والنار، ومن خالفهم ذبحوه وسلخوه، فـأي عقل؟ وأي دين؟ وأي منطق؟ أما قال الله تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ وقال: ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ وقال: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾ الإسلام أيها الإخوة لا يحمله للعالم أحمق مريض نفسي، ولا يمثّله مشوّه الفطرة بليد الذهن، ولا ينجح في الدعوة إليه ملتبّس بالغلوّ والفظاظة والغلظة وحُبّ الانتقام ولا متعطّش للدماء متهوّر في الأحكام، فالإسلام دين السماحة والوسطية والاعتدال والعقل والمنطق، روّاده أهل العلم والفِطَر السوية والأخلاق القويمة والمذاهب المستقيمة، ويكفينا أن أندونيسيا بعلمائها وقادتها وتجارها وبكل أطيافها رحّبت بالإسلام واعتنقته عن طريق التجار المسلمين الصّادقين، حتى إنني شاهدتهم في المحاضرات إذا ذكر لهم الرسول ﷺ والحرمان الشريفان ترقرقت أعينهم شوقاً، أليس هذا هو الطريق الصحيح في الدعوة التي أثمرت دخول الناس في دين الله أفواجاً؟ مع شكري للعلماء والأغنياء العرب الذين بنوا المساجد والمدارس وأسهموا في المشاريع العظيمة من معاهد ودور رعاية وحفر آبار وتوزيع كتب وهذا هو العمل الباقي، أما صنّاع الموت فلا بقاء لهم، ولا مستقبل لدعوتهم؛ لأنهم للفناء، والإسلام للبقاء، ولأنهم وقود الدمار، والإسلام يريد العمار، ولأنهم كبسولات قاتلة لموت بطيء وانتحار منتظر، وحملة الإسلام مشاعل خير،

ورموز إصلاح، ونجوم فضيلة، وبقدر ما أدهشني في أندونيسيا من طبيعة ساحرة، وشعب كالبحر الهائج المائج، فإنني مندهش أكثر من عظمة الإسلام في قدرته الهائلة على استيعاب العرب والعجم والبربر والبيض والحمر والسود والأغنياء والفقراء في كل زمان ومكان، وقد قابلنا في الحفل نائب الرئيس ورئيس البرلمان وعلماء كباراً كلهم هتافهم الخالد: (يعيش الإسلام)، وعندهم جامع الاستقلال في جاكرتا إذا دخلته شعرت بهيبة لضخامته واتساعه جدّاً، ومع هذا فهو يزدحم في كل فرض، فيا لعظمة الرسالة الربّانيّة الخالدة التي أقنعت في بلد واحد مائتين وأربعين مليون يتكلمون بلغة أخرى في شرق الدنيا فصاروا أتباعاً صادقين وأنصاراً مخلصين!

أيتها العير إنكم لسارقون

ينبغي أن نستحيي من ممارسة التزوير الذي نقوم به صباح مساء، فقد عرفت بعض الناس جعل لنفسه لقب الدكتور وهو لم يحصل على الدكتوراة، وبعض طلبة العلم تظاهر بأنه يحفظ كذا وكذا متناً وهو لم يحفظها، وبعض التجار أوهم الناس أن لديه مشروعات مساهمة فتورّط الناس معه، وساهموا فأفلسوا، وبعضهم ضحك على البسطاء حتى باعوا بيوتهم وأودعوا أموالهم عند هذا المفتري، فأخذ المال وهرب لكنه لا يستطيع أن يهرب يوم القيامة، واستمعتُ لرجل يكتب في التاريخ ادّعى في المجلس أنه شاهد سد ذي القرنين على حدود الصين، وقد كذب بعد ظهور برهان كذبه، وبعضهم يدعي أنه رأى رؤيا منامية هائلة وهو كاذب، وقِسْ على ذلك صنوف التزوير، فلماذا هذا؟! أمن أجل الناس؟! ومن هم الناس؟ ما قدرهم حتى يُعصى الله من أجلهم؟ وقد كان السابقون الأخيار ينادون بأسمائهم المجردة، ويذكر للواحد إنجازات عملية فيقولون: أبو بكر الصديق حضر الغزوات كلها، وأنفق ماله كله في سبيل الله، وكان مع الرسول ﷺ في الغار والهجرة والعريش يوم بدر ونحو ذلك، فلما جاء المتأخرون قالوا للواحد: سماحة العلامة الفهّامة، وحيد العصر، أعجوبة الدهر، النظّار المجتهد، البحر الجهبذ، وآية الله، وحجة الإسلام، فلان

ابن فلان، ولهذا عَلَت وسبقت الأمة في أول عهدها، وأخفقت ورسبت في عصرنا، حتى إنني رأيت بعض من يذكر سِيَر بعض المتأخرين يقول: ما رأى مثل نفسه وعجزت النساء أن يلدن مثله، ولو كان في بني إسرائيل لكان عجباً، ولو حلفت بين الركن والمقام ما رأيت مثله لصدقت، ونحو هذا الكلام الفارغ الفاضي الفاشل، ونحن نحتاج إلى كتابة تاريخ صادق لنا وشفاف وعادل بدل تاريخنا الذي أغرق في سيرة الملوك والخلفاء فقط، حتى ذكر لنا جواريهم وموائدهم وملابسهم وأهمل تاريخ الأمة العلمي والإصلاحي والاجتماعي، ثم الواجب أن تذكر الحسنات والسيئات بلا أهواء ولا عواطف ولا ظلم، وإنما الإنصاف في ذكر سنن الله في الأمم والشعوب واستخلاص الدروس النافعة من كل حادثة وواقعة تستحق الدراسة، تاريخنا في أكثره سرد قصصي، وتهويل مع ذكر عجائب وغرائب أحياناً لا يصدقها العقل مع المبالغة في الأوصاف والأرقام، ونحن بحاجة إلى من يمحّص تاريخنا، ويغربله من الأوهام، ويقدّمه في أحسن صورة، ويقوم بذلك فريق من العلماء الملمين بالتاريخ وفقه التاريخ، وحبذا لو ربط هذا التاريخ بالقرآن بحيث تتجلى سنة الله في كتابه في الأمم والدول والعبر المذكورة في كتابه عن هذا الباب، فالتاريخ لا يجوز أن يزوّر، ومن التزوير الثقافي اعتداء بعض المؤلفين على كتب سابقة أو معاصرة وسلخها في مؤلفاتهم دون الإشارة للمؤلف

السابق، ومنهم من أخذ قصائد لغيره ونسبها لنفسه، وذكروا في السير والأخبار تهاويل وغرائب مثل كتاب «بدائع الزهور» و «مروج الذهب» و «الزير سالم» ونحوها حتى ذكروا أن أحد ملوك العمالقة كان طويلاً ضخماً إلى درجة أنه كان يدخل يده في البحر فيصيد سمكة ثم يرفعها ويشويها عند الشمس ويأكلها!! وهذا هذيان، وذكروا في عدد الجيوش في منطقة صغيرة ألف ألف مقاتل أي: مليون وأرضهم لا تتسع لهذا، وعدد سكانهم لا يُخرِج عُشْر هذا العدد من المقاتلين، وقد رد مثل هذه الغرائب ابن خلدون وبعض المعاصرين من المؤرخين والكتّاب. يذكر أن الزعيم الفلاني الميت حدّثه بكذا واتصل به وشاوره ومازحه وأكل معه؛ ليعظم هذا المتكلم عند الناس وهو مطمئن لعدم انكشاف كذبه؛ لأن هذا الزعيم مات منذ زمن، وبعض طلاب العلم يذكر أنه حفظ عشرات المتون وقرأ آلاف المجلدات وكان يحفظ في اليوم مائة بيت ولكنه للأسف مرت به ظروف فنسي كل شيء حتى جزء عمّ، وهذا من التزوير العلمي، وقبل أربعمائة سنة حكم مصر حاكم ظالم طاغية وأصاب مصر زلزال خاف منه هذا الحاكم وأراد أن يتوب فقام شاعر متملّق فأنشد الحاكم قوله:

ما زلزلت مصر من كيد ألمّ بها

لكنها رقصت من عدلكم طربا

فعاد الحاكم إلى ظلمه، وهذا من التزوير الأدبي، والقرآن هدّد الجميع بقوله تعالى: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾.

كفّوا عن النياحة

الكثير منّا يقيم حفلاً جنائزياً، ويحيي مناحة ويعيد ويبدئُ في البكاء على أطلال الماضي وجلد الذات، ونكرر دعاةً وكتّاباً وإعلاميين مدح مجدنا الماضي وسبّ حاضرنا، ونصبّح الناس ونمسّيهم ببطولاتنا السابقة ونذكّرهم بأن عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وصلاح الدين مِنّا، والعالم يعرف ذلك تماماً حتى جولدا مائير وموشى ديان، ومن المعلوم عالمياً أن دين الإسلام دين عالمي حضاري عظيم، وقد اعترف بعظمته أساطين الشرق والغرب، وفي لقاء الحوار الوطني عند خادم الحرمين نقل الشيخ صالح الحصيّن عن الرئيس الأمريكي السابق (نكسون) في كتابه «الفرصة السانحة» قوله: «أمريكا دولة قويّة ولكن للأسف الأفكار العظيمة في الإسلام»، والمقصود أن نثق بأنفسنا وأن نرفع رؤوسنا وأن نفرح بنعمة الله علينا كما أمرنا ربنا، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، أما أن نسبّ أنفسنا صباح مساء ونوح على أطلال ماضينا ونحوّل أفراحنا إلى عزاء، وأعيادنا إلى بكاء، فهذا إحباط وضعف وخور، وقد كنت قدّمتُ قبل سنتين في (قناة المجد) لقاءً عن فرحة العيد فاتصل بي أحد الإخوة منزعجاً من دعوتي للسرور والابتهاج

بالعيد، ثـم أخذ يقول: كيف نفرح والقدس سـليبة؟ كيف نفرح وفلسـطين محتلة؟ كيف نفرح والعراق تعيش الدمار؟ كيف نفرح وأفغانسـتان تحترق؟ إلى آخر تلك القائمة من ذكر المآسي، وأنا أعلم أنـه بعدما (صعقنا وصقعنا) بهذا الاتصال وغسّـلنا بهذا الكلام سوف ينقض على (كبسـة أو مثلوثة) ويلتهمها إلى درجة التخمة وسـوف ينسى فلسـطين والعراق وأفغانستان في ستين داهيـة، إن علينا أن نعترف بسـنن الله التاريخيـة، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾، صحيح أننا حكمنـا العالم في فجر الرسالة المحمدية وأسسنا أعظم حضارة عرفها الإنسان، ولكننا كما أراد الله حسـب السـنن الكونية والتاريخيـة انحصرنا كما انحصر غيرنا ليأخـذ غيرنا دورته الفلكية في الحضارة، ونحن لم ننتهِ من العالم، فصوتنا مسـموع، ومكاننا معروف، وبطولتنا حاضـرة، وديننا الآن هو أعظم دين مؤثـر وحيّ في الكون، نعم خسرنا أشـياء وربحنا أشـياء وتقدمنا في ميادين وتأخرنا في ميادين أخرى، ولكن العجيب أنه لما فتح أجدادنا العالم بالإسلام تحوّلت أكثر شعوب البلاد المفتوحة إلى الإسلام لعظمته ولصلاح حامليـه وصدق أبنائه، لكـن بالله عليكم هل سـمعتم اليوم أن واحداً من الشـعوب التي احتلتها أمريكا تحول إلى أمريكي؟ ها هي أمريـكا تدخل البلدان بالدبابات والطائرات تبشّـر بالعدل

والديمقراطية وتستقبلها الشعوب بالرصاص واللعنة وتسحب جنودها في الطرقات وتبصق على صور زعمائها وتدوسها بالأقدام، ومن شك في كلامي عن مسألة ابتهاج العالم بالفاتحين المسلمين فليقرأ شهادات (جوستاف لوبون، وتونبي، وغوته) فيا أيها الناس عيشوا المواسم الإسلامية كما أرادها الله ورسوله ﷺ من الفرح والابتهاج وذكر النعمة، وتذكروا الماضي المجيد لأخذ العبرة، واستلهام المثُل العليا، وعيشوا الحاضر بتفاؤل، وثقة بالنفس، وانتظروا المستقبل الواعد بفجره المشرق، ونصره الموعود، وفتحه المرتقب، إن صنّاع النياحة والقائمين على حفلات التأبين والمناسبات الجنائزية لم يزيدونا إلا جرحاً إلى جرح ووهناً على وهن، ومن كان الله ربّه ومحمد ﷺ نبيه والقرآن كتابه والكعبة قبلته والجنة موعده فلماذا يُصاب بالإحباط والخور والضعف والخذلان؟

نحن أبناء الفاتحين، نحن أحفاد المجددين، وإذا صدقنا اللهَ واجتهدنا وثابرنا فسوف نعود إلى محل الصدارة وصنع القرار في العالم وأخذ كرسي القيادة في المعمورة، أما العويل والنياحة فلم تبنِ قصراً، ولم تفتح مصراً، ولم تصنع حضارة، ولم تسترِدّ وطناً ولم تحيِ شعباً.

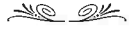

لقاء خادم الحرمين للبابا

ليعلم العالم أن ديننا الإسلامي دين الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ورسالتنا السماوية العادلة تنص على الأخذ والعطاء، والقول والسماع، والجلوس مع الآخر لتقرير قضية كبرى وهي قضية الألوهية لله ربّ العالمين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ومن هنا كان لقاء خادم الحرمين الشريفين بالبابا خطاباً مفتوحاً للعالم معناه: أن رسالتنا عالمية ربّانيّة تحمل السلام والحوار، وتقرر الحق في الأرض بالطرق المشروعة، وهذا اللقاء توضيح لمهمة المسلم في الحياة، إنه يحمل الدعوة الصحيحة الوسطية البعيدة عن الإفراط والتفريط، ولقد قام رسولنا ﷺ بلقاءات مع اليهود والنصارى، فقد التقى بأحبار اليهود ورهبان النصارى بل زار اليهود في بيوتهم يدعوهم إلى الإسلام ويبيّن لهم حقيقة الدّين الجديد الخاتم، وكان جاره ﷺ يهودياً فلما مرض هذا الجار زاره الرسول ﷺ وجلس عند رأسه ودعاه إلى الإسلام، فالتفت هذا اليهودي المريض إلى أبيه يستشيره، فقال أبوه: أطع أبا القاسم -يعني الرسول ﷺ- فأسلم اليهودي، فخرج الرسول ﷺ

فرحاً مسروراً يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**»، ولما أرسل الرسول ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى يهود خيبر قال له: «ادعهم إلى لا إله إلا الله وأني رسول الله، فوالذي نفسي بيده لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم»، إن لقاء خادم الحرمين الشريفين بالبابا يصب في المشروع الإسلامي الكبير الذي يقوم على الحجة والإقناع والسعي في هداية الناس إلى طريق الجنة، أما تفخيخ السيارات، ونسف العمارات، وقتل البنين والبنات، وهدم الجسور وإحراق الممتلكات، وإزهاق الأنفس البريئة بغير حق، فهذا عمل عبثي طائش يدفع ثمنه المسلمون من سمعتهم ورسالتهم ومصالحهم، إن الأحمق محامٍ فاشل عن قضية عادلة وهي قضية الإسلام، يخسر القضية في كل مرة، ولكن العاقل الحصيف ناطق صادق باسم الإسلام، ماذا كسبنا من الأعمال الصبيانيّة الهوجاء إلا التضييّق على الدعاة، والشك في العلماء، وتشويه صورة الإسلام، وإغلاق المؤسسات الخيريّة، ومداهمة المراكز الإسلامية، وإذلال المسلم في بلاد الغرب، وغزو بلاد المسلمين تحت ذريعة محاربة الإرهاب؟ من هنا جاء صوت العقل فقام خادم الحرمين بهذه الزيارة بصفته يمثل مهبط الوحي ومهد الرسالة ومولد النور وخلفه مليار مسلم ونصف من جاكرتا إلى نواكشوط، ولا بد من أن نفتح قلوبنا وأبصارنا وأسماعنا فنأخذ ونعطي، ونَسْمَع ونُسمِع، أما غمس الرأس في

التراب وإغلاق النوافذ عن الهواء الطلق ووضع اللفائف السوداء على العيون فهذا لا ينصر حقاً ولا يدمغ باطلاً ولا يُكسِب قضية ولا يُنتج مشروعاً ولا ينفع أمة، لا بد من أن يرفع القادة والعلماء أصواتهم القوية المعتدلة بالحجة ينافحون عن الإسلام ويجمّلون صورته ويشرحون مبادئه للعالم، وإن رجلاً قال لشعبه وللعالم في كلمة البيعة: (أعاهدكم أن أجعل الإسلام منهجي والقرآن دستوري) لجدير أن يحمل رسالته إلى آخر الشوط، وأن يؤدي أمانته على أتم وجه، فيا حملة الأقلام، ويا رجال الإعلام، ويا مُمَثّلي رسالة الحق والسلام، ويا أيها الناطقون بالحجّة إلى الأمام دعوةً وحواراً وعملاً ونصحاً وإرشاداً، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

وهيّا ننشد سوياً:

من بلادي يُطلب الحقُّ ولا
يُطلبُ الحقُّ من الغيرِ الغبيْ
فبها مهبطُ وحي الله بلْ
أرسل الله بها خيرَ نبيْ

يا مشعل المبتهج

سـرّني أن أخي مشـعل السـديري مبتهج، فأنا ممن يحب الخير لإخوانه كما قال الشاعر:

فـلا نزلـتْ علـيّ ولا بأرضـي

سـحائبُ ليـس تنتظـم البـلادا

والمعنى لا أنزل الله عليّ الغيث وحدي إذا لم يعمّ هذا الغيث كل الأقطار، ولعل للأخ مشـعل من اسمه نصيب؛ فهو يُشعل في ليل الأحزان قنديلاً من التفاؤل، ويضيء في دياجير الهموم شمعةً من الأمل، أما أثر (الدين معاملة) والذي دعاني الأسـتاذ مشعل لشرحه فليس بحديث نبوي، قال الألباني: لا أصل له، ولكنه من كلام العلمـاء، ومعناه متفق على صحته من كل علماء الإسـلام، والمعنـى أن حسـن المعاملة مع الآخرين من أهـم مقاصد الدين الإسـلامي، فالصلاة مثلاً وهي عبادة شـخصية تحمل رسـالة في المعاملة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنْكَر** ﴾، ومـن مقاصد الزكاة طهارة النفـس والضمير من الغش والحقد والبغضـاء والكراهية، قال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾، والصيـام تهذيب للروح وكفٌ للنفس من طغيانها وعدوانها وبغيها وفجورها، يقول سـبحانه بعد أن ذكر الصيام: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾، إن الدين ليس شـكلاً بلا مضمون، ولا طقوساً

بـــلا مُثُل، ولا حركات بلهاء بلا مقاصـــد، ولا مظاهر جوفاء بلا حقائق، يقول الرســـول ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحُها وخالق الناس بخُلُق حسن**»، **وقال: «وتبسّمك في وجه أخيك صدقة**»، وقال: «**ألا أنبئكم بأحبكم إليّ وأقربكم مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويُؤلفون**»، ونحن بحاجة ماسة إلى حمل الدين الصحيح البعيد عن الإفراط والتفريط وتفعيله في حياتنا ظاهراً وباطناً، عقيدةً وعبادة، أخلاقاً وسلوكاً، جسداً وروحاً، قولاً وعملاً، ولهذا لمـــا زكّى أحد الناس رجلاً عند عمـــر بن الخطاب، قال له عمر: هل جاورته؟ هل ســـافرت معه؟ هل عاملتـــه بالدرهم والدينار؟ قال الرجل: لا لم يحصل من ذلك شـــيء، فقال عمر له: قم، أنت لا تعرف الرجل لعلك رأيته يرفع رأســـه في المســـجد ويخفضه فزكّيتـــه، ومقصود عمـــر أن الصلاة تدعو لحســـن المعاملة من الصدق والوفاء والبر والصلة وليســـت مجرد حركات وسكنات، ولذلك تجد بعض المســـلمين يفهم أن الدِّين في المسجد فحسب فـــإذا خرج من باب المســـجد علّق الدين على باب المســـجد كما يعلّـــق ثوبه؛ فإذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهـــد غدر، وإذا اؤتمن خان، عـــاق لوالديه، قاطع لرحمه، شـــرير جبّار، ظلوم غشوم، حقود حسود، منّاع للخير معتدٍ أثيم، فأي دين عند من هذا حاله؟ الدين: صلاة في المســـجد، وحسن

معاملة في السوق، وبر للوالدين وصلة للأرحام، وحسن خُلُق مع الناس، وإتقان للعمل في المصنع والعيادة والمزرعة والورشة، الدين ميثاق شرف، وعقد ربّاني بين العبد وربه يقوم على التّخلق بمكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، والتّحلي بأشرف الخصال، وأنبل الخِلال، الدين الصحيح لا يمثله عربيد متحلّل، ولا غالٍ متطرف، بل يمثله الصادقون من أهل المنهج السليم والصراط المستقيم والخط المعتدل الوسط ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾، وأعود لأخي مشعل وأشكره على مباركته في نجاح كتاب (لا تحزن)، وحتى لا يظن البعض أنني أكدّس حقوقه المالية تكديساً، فأُصاب بالعين فأقول لهم: قد أعلنتُ مع الأستاذ البارع تركي الدخيل في برنامج (إضاءات) لعموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن حقوق الكتاب ليست لي، فليبلّغ الحاضر الغائب ويكفيني الدعاء والثناء الحسن، أما الأحاديث النبوية فأبشّر أخي مشعل أن الله قد قيّض للسنة النبوية علماء جهابذة نخلوها حرفاً حرفاً وأخرجوا الصحيح من الضعيف وهي مدوّنة محفوظة لا يستطيع أحد أن يضيف كلمة واحدة إلا وقد كُشف أمره وظهر زيفه، والبخاري ذكر كثيراً من الأحاديث الصحيحة ولم يجمعها كلها، فأكمل مسلم ثم أهل الصحاح والسنن حتى صارت هذه دواوين الإسلام المعتبرة، وغالب طلبة العلم الشرعي الآن يميّزون

الحديث الصحيح من الحســن من الضعيف من الموضوع، وهذا من حفظ الله لهذه الشريعة المطهرة.

وفــي الأخير فأنــا ممن يحس الظن بإخوانــي في ردودهم وملاحظاتهم عليّ كما قال والدكم ووالدنا:

لا خـاب ظني فـي الرفيق الموالي

مالي مشـاريهٍ على باقـي الناسْ

قل هو الرحمن آمنّا بهِ.

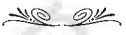

obeikandl.com

نحن العرب قساة جفاة

أكتب هذه المقالة من باريس في رحلة علاج الركبتين وأخشى أن أُتّهم بميلي إلى الغرب وأنا أكتبُ عنهم شهادة حق وإنصاف، ووالله إن غبار حذاء محمد بن عبد الله ﷺ أحبُ إليّ من أمريكا وأوربا مجتمعَتين، ولكن الاعتراف بحسنات الآخرين منهج قرآني يقول تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾، وقد أقمت في باريس أُراجع الأطباء وأدخل المكتبات وأشاهد الناس وأنظر إلى تعاملهم فأجد رقة الحضارة، وتهذيب الطباع، ولطف المشاعر، وحفاوة اللقاء، حسن التأدب مع الآخر، أصوات هادئة، حياة منظمة، التزام بالمواعيد، ترتيب في شؤون الحياة، أما نحن العرب فقد سبقني ابن خلدون لوصفنا بالتوحش والغلظة، وأنا أفخر بأني عربي؛ لأن القرآن عربي والنبي عربي، ولولا أن الوحي هذّب أتباعه لبقينا في مراتع هبل واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ولكننا لم نزل نحن العرب من الجفاء والقسوة بقدر ابتعادنا عن الشرع المطهر، نحن مجتمع غلظة وفظاظة إلا من رحم الله، فبعض المشايخ وطلبة العلم وأنا منهم جفاة في الخُلُق وتصحّر في النفوس حتى إن بعض العلماء إذا سألته اكفهرّ وعبس وبسر، الجندي يمارس عمله بقسوة ويختال ببدلته على الناس، من الأزواج زوج شجاع مهيب وأسدٌ هصور على

زوجته وخـارج البيت نعامة فتخاء، مـن الزوجات زوجة عقرب تلدغ وحيّة تسـعى، من المسـؤولين من يحمل بـين جنبيه نفس النمرود بن كنعان كِبراً وخيلاء حتى إنه إذا سلّم على الناس يرى أن الجميـل له، وإذا جلس معهم أدى ذلـك تفضلاً وتكرماً منه، الشرطي صاحب عبارات مؤذية، الأستاذ جاف مع طلابه، فنحن بحاجة لمعهد لتدريب الناس على حسـن الخُلُق وبحاجة لمؤسسة لتخريج مسـؤولين يحملون الرقة والرحمـة والتواضع، وبحاجة لمركز لتدريس العسـكر اللياقة مع النـاس، وبحاجة لكلية لتعليم الأزواج والزوجـات فـن الحياة الزوجية، المجتمـع عندنا يحتاج إلى تطبيق صارم وصادق للشـريعة لنخرج من القسـوة والجفاء الذي ظهر على وجوهنا وتعاملنا، في البلاد العربية يلقاك غالب العـرب بوجوه عليها غبرة ترهقها قتـرة، من حزن وكِبر وطفشٍ وزهق ونزق وقلق، ضقنا بأنفسـنا وبالناس وبالحياة، لذلك تجد في غالب سياراتنا عصيّاً وهراوات لوقت الحاجة وساعة المنازلة والاختلاف مع الآخرين، وهـذا الحكم وافقني عليه من رافقني من الدعاة، وكلما قلت: ما السبب؟ قالوا: الحضارة ترقق الطباع، نسـأل الرجل الفرنسـي عن الطريق ونحن في سيارتنا فيوقف سـيارته ويخرج الخارطة وينـزل من سيارته ويصف لك الطريق وأنت جالس في سـيارتك، نمشي في الشـارع والأمطار تهطل علينا فيرفع أحد المارة مظلته على رؤوسـنا، نزدحم عند دخول

الفندق أو المستشفى فيؤثرونك مع كلمة التأسف، أجد كثيراً من الأحاديث النبوية تُطبّق هنا، احترام متبادل، عبارات راقية، أساليب حضارية في التعامل، بينما تجد أبناء يعرب إذا غضبوا لعنوا وشتموا وأقذعوا وأفحشوا، أين منهج القرآن: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾، ﴿ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾، ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾.

وفي الحديث: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»، «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، «**لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا**».

عندنا شريعة ربّانيّة مباركة لكن التطبيق ضعيف، يقول عالم هندي: (المرعى أخضر ولكن العنز مريضة).

واتّبعنا هادياً من يثربِ.

امرأة تنادي، فهل من مجيب؟

أصبح مال المرأة وسيلة لابتزازها وقهرها من قبل زوج غشوم ظلوم، أو والدٍ قاسٍ جاف، أو أخ قاطع عاقّ، وهناك عشرات القصص تثبت أن سبب عضل المرأة عن الزواج وظلمها هو مالها الذي كسبته إما من ميراث أو وظيفة أو تجارة، هناك أب عامي جلف جاهل بالشرع المطهر منع ابنته المطلقة أم ثلاث بنات من الزواج؛ لأنه يبتز راتبها كل شهر فكلما تقدم لها الكفء وضع في طريقه ألف عقبة من شروط وتعهدات حتى يفشل موضوع الزواج، ومات رجل عن زوجته ولها منه أربعة أبناء فذهبت لوالدها الضعيف الهش وأخويها العاقين مدمني المخدرات فأذاقوها صنوف العذاب؛ لأنها مدرّسة لها راتب شهري وكلما استنجدت بوالدها خارت قواه وجبنت نفسه أمام سطوة الابنين الفاجرين الفاشلين والتجأت بأطفالها إلى الجيران خوفاً من ضرب أخويها في مشهد مأساوي، ووُجد آباء جشِعون طامعون حبسوا بناتهم من أجل رواتبهن حتى فاتهن ركب الزواج وذبلت عندهن زهرة العمر، وفي المجتمع رجل شرس الأخلاق جافي الطباع بخيل النفس قاسي القلب منع بناته الست من الزواج؛ لأنه يسلبهن رواتبهن في آخر كل شهر، حتى اتصلت إحداهن بأحد العلماء وهي تبكي وتدعو على والدها بأن يحرمه الله

الجنة كما حرمها الزواج، وزوّج رجل مسـنّ أحمق ابنته فاشترط لنفسـه ألفي ريال في كل شـهر من راتب ابنته حتى بعد الزواج ضريبة على هذه المسـكينة الأسيرة مقابل أن يسمح لها بالزواج، وطلّق عشرات الأزواج زوجاتهم؛ لأنهن رفضن إعطاءهم رواتبهن كاملة غير منقوصة، وكأن المرأة سـلعة تُباع وتُشـترى أو (بقّالة) تُدر الربح لصاحبها، لقد صار مال المرأة عبئاً عليها في كثير من الحالات فشقيت به بدل أن تسعد به، وأذلّها به أبٌ رعديد جبان شـره أو زوج مخذول ناقص الأهلية فاقـد القوامة، أو أخ حاقد ضحل المروءة فاقد الشـهامة، وإذا اشتكت المرأة للقضاء ردوها لأوليائها القسـاة الظلمة فصار الخصم هو الحكم والشاهد هو العدو والمرأة هي الضحية، هناك سـيل جارف من الشكاوى في المحاكم من هذا الظلم الواقع على المرأة بسـبب راتبها، وعسـى أن تقام لجنة لحقوق المرأة تسـتقبل هذه القضايا وتحلها ويكون للدولة سـلطة على هؤلاء الأوغاد المردة يُبتدأ بنصحهم ووعظهم وإرشادهم، فإن لم يُجْدِ فبتأديبهم بأسواط وحبسهم أياماً وأخذ التعهـد عليهم فإن الله يردع بالسـلطان ما لا يردعُ بالقرآن، أين تذهب المرأة وإلى من تشـتكي؟ من يسمع صراخها؟ ومن يمسح دمعهـا؟ ومن يقيـل عثرتها؟ ومن يجبر كسـرها؟ إذا كان أبوها جباراً عنيداً، وزوجها شرسـاً مريداً، وأخوها عاقاً عنيداً، وابنها أحمقَ بليدًا، والقضاء يضيّع شكواها في دهاليز التحري والتأمل

والدولة لا تعير هذا الأمر اهتماماً، ونستطيع أن نصنّف مجلدات في قصص القهر والكبت والظلم والعضل والإذلال الذي تتعرض له المـــرأة في مجتمعاتنا، لقد أعلن أبو بكر الصديق في أول يوم من خلافته سياسة حكومته الجديدة فقال: (الضعيف فيكم قوي حتـــى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه)، ووقـــف عمر مع جارية حتـــى ردّ الحق لها، وقبل ذلك يقول معلم البشـــرية ﷺ: «**الله الله في النســـاء فإنهن عوانٍ عندكم**» يعني: أسيرات، ارفعوا صوت الظلم عن المرأة، شكّلوا لجاناً لمناصرتها، وخـــذوا على يد الســـفيه الأرعـــن وأنصتوا لآهـــات المحرومات وزفـــرات المظلومات وأنين المضطهدات وتوجّـــع المقهورات، قبل أن تُشـــكَّل لجـــانٌ للرأفة بالحيوان، دعونا نشـــكل لجاناً للرحمة بالإنســـان، وهيا نشارك الشـــاعر في صرخة اســـتغاثة بالحي القيوم إذ يقول:

إذا جـــار الظلـــوم وزاد بغيـــاً

وقاضي الأرض أجحف في القضاءِ

فويـــلٌ ثـــم ويـــلٌ ثـــم ويـــلٌ

لقاضي الأرض من قاضي السماءِ

أيام في طهران

سافرت إلى طهران ومعي الدكتور يحيى الهنيدي والشيخ سعيد الغامدي نبحث عن ديوان الشاعر العالمي السعدي الشيرازي الإيراني، ومن خلال بحثنا أردنا أن نعرف إيران الوجه الآخر من الرواية وسألنا عن كثير من كتب أئمة الإسلام المشهورة فلم نجد لها عيناً ولا أثراً مع العلم أن هذه الكتب ليس فيها مصادمة للفكر الشيعي بل وجدنا كتباً تحمل روايات بلا أسانيد، روايات غريبة عجيبة لا أدري كيف مرّت وانطلت على ملايين البشر، تخبرك هذه الروايات بحال الصحابة مع القرابة وأن هناك إحناً وبغضاء وعداوة متأصّلة، وكأن الصحابة لا همّ لهم إلا الكيد لأهل البيت والتربص لعلي وفاطمة رضوان الله عنهم، وكأن أبا بكر وعمر وهما شيخا الإسلام وخليفتا الرسول ﷺ كان يجتمعان كل ليلة للتخطيط والمؤامرة على حرب آل محمد والنكاية بالبيت الطاهر والنسب الباهر، هذه الروايات الملفّقة المدسوسة المغشوشة المكذوبة تخرّج أجيالاً حاقدين على سلف الأمة وأصحاب الرسول ﷺ، وهذه الروايات قنابل موقوتة تؤجج الحقد الطائفي، والتعصب المذهبي، وتغرس الكراهية في النفوس، إننا ننادي صباح مساء بحرمة دم السني والشيعي وضرورة الكف عن الشتائم وزرع العداوات، ولكن ماذا نفعل أمام سيل جارف من الروايات الدخيلة التي تنسف كل جهود

الخيّرين والمعتدلين، روايات تلعن الخليفتين أبا بكر وعمر، وتسب أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بأقذع السّب، وتشتم الصحابة وتذكي نار العداء لخير جيل عرفه التاريخ بل تعارض القرآن جملة وتفصيلاً؛ كقوله تعالى في وصف الصحابة ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾ إنها روايات تخالف العقل والمنطق والبرهان وتنسف كل دعوة طيبة للتعايش وتحريم الاقتتال، إن أهل السنة في العالم أكثر من مليار مسلم سنّي من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة بل الدول الإسلامية كلها سنيّة إلا دولة وبعض الطوائف في دول، فهل معنى ذلك أن هذه الملايين ضالة وجاهلة وملبّس عليها في مسألة كبرى وهي الموقف من قرابة الرسول ﷺ وأصحابه؟ لقد درسنا الماجستير والدكتوراة في علم الحديث دراية ورواية دراسة علميّة مسؤولة محايدة فوجدنا أن تلك الروايات التي تتهم الشيخين والصحابة بعداوة القرابة روايات مكذوبة مزوّرة، لماذا لا نرفع جميعاً شعار (الترضّي عن القرابة والصحابة) كما نفعل نحن أهل السنّة، إنني باسم كل مسلم ومسلمة أدعو حكومة طهران إلى إعلان تحريم سب الصحابة إعلاناً عاماً صريحاً وإلا فكيف نأمن على نفوسنا إذا كان أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة والصحابة عرضة للسب واللعن، بل يتمنى البعض لو أدرك أبا بكر وعمر ليقتلهما،

وأدعو إلى تحريم إيذاء السنّي للشيعي والشيعي للسني، السني حرام الدم، والشيعي حرام الدم، ندعوكم لحذف روايات الإفك والزور والبهتان؛ لأنها ألغام تنفجر في كل عصر وضحيتها نحن المسلمين، ولنستمع لقول ربنا عز وجل بعدما زكّى المهاجرين والأنصار قال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾. وبالمناسبة فالشاعر السعدي الشيرازي الذي كنا نبحث عن ديوانه في طهران له قصيدة عالمية تُرجمت بكل اللغات الحيّة في العالم تدعو إلى المحبة والإخاء ونبذ الفرقة يقول فيها:

قال لي المحبوبُ لمّا زُرْتُه:
من ببابي؟ قلتُ: بالبابِ أنا
قال لي: أخطأت تعريف الهوى
حينما فرّقت فيه بيننا
ومضى عامٌ فلمّا جئتُه
أطرقُ البابَ عليه موهِنا
قال لي: من أنت؟ قلتُ: انظر فما
ثمّ إلا أنتَ بالبابِ هنا
قال لي: أحسنت تعريف الهوى
وعرفت الحبّ فادخل يا أنا

ثقافة الموت

أكثرنا من ثقافة الموت قراءةً وتطبيقاً ومحاضرات ودروساً، نحن خُلقنا للحياة ولكننا حوّلنا حياتنا إلى الموت، فغالب الخطب والدروس تتحدث عن الموت وتهمل الحياة، وأنا أعلم أن الموت لا بد منه، والاستعداد له واجب، ولكن قبل أن نموت علينا أن نعيش وقبل أن نرحل علينا أن نبني وأن نعمر، وقبل أن نودّع الحياة علينا أن نترك أثراً جميلاً وذكراً حسنا من عمل صالح وخُلُق نبيل ومشروع نافع وذرية طيّبة ومؤسسة رائدة وكتاب مفيد ونحو ذلك من صنوف البر والإحسان، إن الحياة في سبيل الله أعظم من الموت في سبيله؛ لأن الحياة في سبيله سبحانه طويلة وجميلة فيها علم وعمل، ومعتقد وأخلاق، وأخذ وعطاء، ودنيا وآخرة، وحقوق وواجبات، أما الموت فهو لحظة انتقال من الدنيا إلى الآخرة، إن كثيراً من الخطب تدعونا إلى ترك الدنيا واليأس والقنوط والإحباط، فأصبح الناس لا يفكرون إلا في طريق التخلص من الحياة، وصار عندهم قناعة أن هذه الحياة لا تستحق الاحتفاء والاهتمام بها، وتكونت لدى الكثير فكرة أنه لا داعي لأن نعيش طويلاً وأن الأفضل اختصار هذه الحياة والانتقال للآخرة، لأنّ الأبرار وعلى رأسهم رسول الهدى ﷺ بنوا الحياة وشادوا الحضارة وأسسوا القيم الراشدة وبنوا صروح

المعرفة، أما أرسل جيوش الفتوح تنشر العدل والأمن والإيمان في العالم؟ أما سار الخلفاء بعده يواصلون مسيرة الإعمار والبناء ونشر ثقافة الحب والسلام؟ فخلف من بعدهم خلف ضاقوا بالحياة وبأهلها لأمراضهم النفسية وعقدهم الروحية، فزهّدوا العالم في علمه، والمهندس في آلته، والنجار في فأسه، والمزارع في حقله، والطبيب في مشرطه، وأرادوا من الجميع أن يتركوا دورهم في الحياة ويلبسوا الأكفان استعداداً للموت، لا وألف لا، سوف تكون الحياة أكثر جمالاً دون هؤلاء المنفرين القانطين المحبطين، إن الحياة في سبيل الله رسالة عظيمة ربّانيّة يتحول بها الإنسان من صفر لا قيمة له إلى رقم صعب له قيمته، فيصبح التاجر فرحاً مسروراً بتجارته المباركة حيث يأخذها من حلال ويصرفها في حلال، ويصبح الفلاح مغرداً منشداً في حقله؛ لأنه يعلم أنه مأجور من الله ومشكور من خلقه، ويصبح الأستاذ مستبشراً بفضل الله وهو يعلم أنه يُعلِّم جيلاً ويثقف أمة ويهدي قلوباً، ويصبح الجندي مطمئناً لمهنته وهو يحمل بندقيّته يحرس بها الأمة ويحمي بها الوطن ويدافع عن المكاسب.

أيها العلماء حببوا الحياة في سبيل الله للناس ليشعر الإنسان أن لوجوده معنى، ولخلقه حكمة، ولحياته هدفاً، حينها نترك حياةً جميلة وحضارةً مباركة كما تركها أجدادنا لنا، إن الذي يفكر كيف يموت سوف يقف نتاجه وينتهي إبداعه ويموت نفعه،

أما الذي يفكر كيف يعيش فسوف يشرق كما تشرق الشمس، ويسطع كما يسطع الفجر، وينفع كما ينفع الغيث، إن القرآن دعا لحياتين ومشهدين ومرحلتين للحياة في سبيل الله والموت في سبيل الله:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

obeikandl.com

كارثة: (قبيلي وخَضِيري)

(خط ٢٢٠ وخط ١١٠)

انتشرت في مجتمعاتنا مقولة: (قبيلي وخضيري) وهي من مخلّفات الجاهلية، ومن نفايات العصبية القبلية التي جاء الإسلام بكسر أصنامها، وتمريغ أنوف أصحابها بفأس ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، والفاشل في الحياة يتعلّق بعظام الأموات فيفتخر بالآباء والأجداد، والمحبط والتافه يغنّي بأمجاد ليست له، وقد رفع الإسلام أقواماً من كافة الألوان والشعوب والأسر؛ لأنهم اعتزوا بدينهم، وحقّقوا الفضيلة في حياتهم، وحملوا رسالتهم بصدق، وأدّوا أمانتهم بإخلاص، وكان من نجوم التاريخ أناسٌ لا تُعرف قبائلهم ولا عشائرهم، ولكنهم احتلّوا مكان الصدارة، وجلسوا في كرسي الرّيادة، واستولوا على مقاليد السيادة بهمتهم وطموحهم وصلاحهم وإبداعهم، كبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وطارق بن زياد، وجوهر الصّقلّي، وأبي حنفية، وألوف مؤلّفة من أمثالهم وقف لهم التاريخ احتراماً، ووقّع لهم الدهر براءة اختراع المكارم والمُثُل العليا والسيرة الحميدة، وحاول محمد بن عمرو بن العاص الأمير ابن الأمير في مصر أن يخرم قاعدة «الناس سواسية كأسنان المشط، كلكم لآدم وآدم من تراب»، لأن قبطيّاً سبق فرس محمد بن عمرو، فلطم محمد بن عمرو

القبطي وقال له: أتسبقني وأنا ابن الأكرمين؟ فشكى القبطي إلى عمر ابن الخطاب هذه المظلمة، فاستدعى عمر أمير مصر عمرو بن العاص وابنه محمداً إلى المدينة وجمع الصحابة وأخذ درّته وقال: والله لا يحول بيني وبينهما أحد، فطرح محمد بن عمرو أرضاً وبطحه وجلده وصاح في وجهه وفي وجه أبيه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟ وعندنا اليوم مرض اجتماعي عند البعض يُسمى (عدم الثقة بالنفس) فتجده لنقصه وتقصيره وخموله وفشله يبحث عن مشجب يعلّق عليه هزائمه وإخفاقاته، فيلمز هذا في نسبه، ويغمز ذاك في عرضه، ويهمز الآخر في أخلاقه، وقد شكى إليّ شاب جامعي اضطهاد زملائه له في الفصل بأنه خضيري حدثني بذلك وعيناه تترقرقان بالدموع؛ لأن هؤلاء الطلبة الفاشلين لما أقفرت قلوبهم من القيم وجفّت أرواحهم من المروءة أرادوا أن يخرقوا سفينة الإخاء والمحبة التي أتى بها الإسلام، ونقول لكل أحمق بليد يفرّق بين أبناء المجتمع الواحد على حسب أصولهم: (اخرس يا جبان) فقد خالفت الشرع والعقل وسعيت في الهدم والإفساد، ونقول لكل رعديد غبي يعيّر الناس بأنسابهم ويعيبهم بأحسابهم: (اخرس يا جبان) لو كنت تحمل طيب المعدن وأصالة المحتد لكنت عرفت أن الإنسان بتقواه وبعلمه وصلاحه وإبداعه، إن

أبا لهب الهاشـــمي القرشي لما حارب الله وكذّب الرسالة ورفض الحق عاد بالخيبـــة والندامة وأصبح من الخاســـرين، وإن بلالاً الحبشي لما أطاع ربّه واتّبع رسوله ﷺ وملأ قلبه بالنور صار رمزاً مـــن رموز الفضل والخير والنبل والفلاح في أمة الإســـلام، أيها المثير النعرات الجاهلية، والموقد نار العصبية القبليّة: (اخرس يا جبان) إن الإســـلام لم يترك لك أن تَلِـــغ في أعراض الناس كما يَلِغُ الكلب فـــي الإناء، بل حذّرك وأمثالك من اللعب بالنار، يقول تعالـــى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ ويقول ســـبحان: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـــهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ ولا شـــك في أن المعـــادن الطيّبة إن كان لصاحبهـــا عمل صالح وإنتاج نافع وهمة عالية ومروءة ســـامقة فإن ذلك نور على نور، ولكن ماذا نفعل بمن أصله طيّب وأســـرته عريقة ولكنه كذّاب أشِـــر وخبيث متمرّد وأفّاك أثيم، تجده لصاً فـــي حياته أو مروّجاً للمخدرات أو محارباً للقيم أو بخيلاً ذليلاً خاسئاً، أو تافهاً ناقصاً حقيراً، يقول أبو الطيب:

وَإذا أَتَتـكَ مَذَمّتـي مـن ناقـصٍ

فَهِـيَ الشَـهادَةُ لـي بِأَنّـيَ كامِـلُ

هل يريد هؤلاء (الطراطير) أن يعيدوا الأمة إلى عهد (داحس والغبراء) وعصر (عبس وذبيان) أو إلى ملاعب الوثنية والتمييز العنصـــري في الولايات المتحدة قديماً وجنوب أفريقيا، يجب أن

نُفْهِم كل (أبله) أن ديننا أتى لإكرام الإنســان وحفظ حقوقه وأنه وُلــد حرّاً عبداً لله لا عبداً لغيره، ليس عندنا في الإســلام خط (٢٢٠) ولا خــط (١١٠)، عندنا خط واحد، يقول ســبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

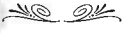

obeikandl.com

لا تحزن يا مشعل السديري

ذكر الكاتب اللامع الأستاذ مشعل السديري في إحدى مقالاته كتابي (لا تحزن) فأثنى على مبيعات الكتاب وأنها تجاوزت المليون نسخة، والصحيح أنها تجاوزت المليونين نسخة بشهادة مكتبة العبيكان وهذا بالعربي فقط، وقد تُرجم بأكثر من عشرين لغة (وخاب من افترى) وقد دُعيت بإندونيسيا فوجدته الأول عندهم بلغتهم، وأظن أن هذا ليس فيه مؤامرة بين المؤلف والمكتبات وليس للصهيونية العالمية يدٌ في مثل هذا الأمر وبعضهم لا يعترف بهذا؛ لأنه معجب فحسب بالكتّاب الأجانب من أسكتلندا أو كلورادو أو سدني، وكما قالوا: (زامر الحي لا يطرب)، وقد وصلني والحمد لله الثناء من مسؤولين وعلماء ومثقفين وأشار إلى هذا بعض كتّاب الشرق الأوسط مثل الكاتب القدير سمير عطا الله، وما هو ذنبي أن ينجح هذا الكتاب هذا النجاح ويصبح الأول في العالم العربي؟ وأما جائزة نوبل فما كان قصدي الحصول عليها ولن أردها إذا أنصفوني ومنحوني إياها وأنا أنتظر، وكلما حان موعد إعلان الفائزين بها تسمّرتُ أمام التلفاز وقلت: (يا ربِّ عسى اسمي يجي) مع العلم أن بعض الإخوة أخبرني أن في لجنة جائزة نوبل بعض الأشخاص لا يرتاحون لي حسبي الله عليهم، جمدّ الله الدم في عروقهم، ومن

الذي حلّلها لنجيب محفـوظ وحرّمها عليّ؟ ولئن طال بكم عمر لتسمعون ما يسرّكم، والأستاذ مشعل السديري كان محترماً فيما كتب عن (لاتحزن) وعني وله الشـكر، أما ملاحظاته عن نسبتي للرسـول ﷺ كلاماً لم يقله فإنني ذكرته بلسـان الحال لا بلسان المقال يقول المحدث أبو عبد الله الأزدي:

وجـوّزوهـا بـلـسـان الحـالِ

والحـظـر عـنـدهـم مـن المـقـالِ

أي: الروايـة بالمعنـى، وتخصصـي حديـث نبوي درسـته في الجامعة والمسـجد والبيت حتى شـاب رأسي وثلث لحيتي، وليعذرني أخي مشـعل فما زلتُ في غيبوبـة من هول الصدمة لمبيعات (لاتحزن) في العالم وأظنني أشارك الكاتب في الأسلوب السـهل البسـيط لإيصـال المعلومة للقـارئ بخلاف مـن ألّف كتاباً فاسـتخدم فيه العبارات النخبويـة، والمفرقعات الثقافية، والبالونـات الخطابية، وطبع منه ثلاثة آلاف نسـخة فبقيت في كراتينها وأخذ بعضهـا يهديها مع التحية لزملائه، ولولا التبجح لأخبرت أخي مشـعل السـديري بأسـماء من ذكر لـي إعجابه بكتاب (لاتحزن) من العلماء والزعماء وصنّاع القرار، والميدان يا حميدان، أكبر شـاهد يا إخوان، وقد ذكرت جريدة المدينة نقلاً عـن هيئة الإذاعة البريطانية أن صدام حسـين كان يصحب في السجن كتاب (لاتحزن) للعبد الفقير (أنا) ولهذا رزقه الله الميتة

الحسنة فتشهّد، فمن أراد أن يموت مشنوقاً شريفاً فليقرأ كتاب (لاتحـــزن)، بل إن بعضهم قرّر أن يموت فقرأ (لاتحزن) فعاد إلى الحياة، أما كثرة التأليف فأنا ألّفتُ في سبعة فنون ومتفرغ تماماً للقراءة والتأليف، وأنا أسامح من كل قلبي من لا يريد أن يقرأ لي، أما ما ذكره الكاتب الســديري عن النجومية فهذا عصر الإعلام والفضائيات، وأما ثناؤه عليّ فالطيب من معدنه لا يُستغرب فهو من أسرة الجود والمجد (السدارى) كما قال شاعر عتيبة:

يا مرحباً (بالسدارى) يا خوال الملوك

ولو ألّف الأخ مشعل بأسلوبه السهل الممتنع البسيط الساخر لأصبح في الشرق كبرناردشو في الغرب.

ما هي حقيقة العيد؟

الكثيـــر من المســـلمين جعلوا من العيد مظاهـــر من اللباس الجديـــد والأفراح وتبادل الزيـــارات والجلوس على الموائد وهذا مبـــاح في حدود الشـــرع، ولكن أين المقصد الأســـمى من العيد وهو غســـل القلب من الأحقاد والمصالحـــة مع عباد الله وتطبيع العلاقة مع المؤمنين وتنظيف الضمير من الخيانة والخبث والمكر، وإصلاح الداخل بالإيمان والحب والســـلام، مـــا معنى أن نلبس ثياباً جديدة فارهة على قلوب عشـــعش فيها الحســـد والبغضاء وفـــرّخ فيها الكره والضغينة والغل؟ ما معنى أن نتبادل يوم العيد ابتســـامات صفراء وقلوبنا تحترق بالإحن والشـــحناء؟ إن العيد مد جســـور المحبة مـــع إخواننا وجيراننا وإصـــدار عفوٍ عامٍّ عن كل من أســـاء إلينا ومســـامحة كل مقصر في حقنا؛ ليكون للعيد معنى وتكون للفرحة قيمة، كيف أجلس مع أخي وصديقي وجاري يـــوم العيد على مائدة الطعام وأنا لا أحب له من الخير ما أحب لنفســـي وأكره له من الشـــر ما أكره لنفســـي، إن العيد مناسبة إســـلامية لإحياء الفرحة بالحق والدين الجديد الخاتم، وإظهار الســـعادة بنعمة اللـــه علينا بالتآخي، فكيـــف نحوّله إلى مظاهر جوفاء لا رســـالة لهـــا إلا المباهاة والتعالي علـــى الناس، وهناك مسلكان مذمومان في العيد:

أحدهما: من يدعو إلى ترك الفرحة بالعيد تضامناً مع مآسي المسلمين في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها وكأن الحزن والتباكي سوف يحرر الأرض ويحمي العرض ويطرد المحتل، بل علينا أن نفرح بالعيد امتثالاً للرسول ﷺ، وإظهاراً لفرحتنا الكبرى برسالتنا العظيمة رسالة الإسلام، وإغاظةً للشيطان وحزبه، وانتصاراً على النفس الأمارة، وكبتاً لمشاعر الفشل والإحباط، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، والمسلك الثاني المذموم: تفريغ العيد من محتواه وتعطيل مقصده الأسمى وتحويله إلى صور باهتة من ولائم ضخمة وعزائم فخمة ومشتريات غالية، بينما المخبر معطّل والباطن مجمّد من فرحة العيد، فعقوق الوالدين صارخ، وقطيعة الرحم حاصلة، والاعتداء على حقوق الآخرين قائم، والمسلك الصحيح في العيد أن نجمع بين الجميل من لباس الأجسام والقلوب، وابتسام الفم والروح، ومصافحة اليد والنفس، وعناق أخوي يذهب كل بغضاء وهجر وقطيعة، إن العيد تجديد للقلب؛ ليكون بعد العيد أطهر وأنبل وأسمى، وليكون الإنسان عضواً صالحاً في المجتمع، ولبنة نافعة في صرح الأمة، وسوف يُحرم فرحة العيد عند المسلمين فرقتان لا يجدون له طعماً ولا يبصرون له نوراً ولا يفرحون به مع من يفرح:

الفرقة الأولى: الغالي في دين الله والخارج على جماعة المسلمين والساعي لسفك دمائهم وإزهاق أرواحهم لأنه سيّئ الفهم للشريعة ناقم على المجتمع رافض لمبدأ الأخوّة مع المؤمنين.

الفرقة الثانية: العدو للدّين المتحلل من تبعات الشريعة المعرض عن النور الرّباني والهدي المحمدي، فهذا لا دخل له بالعيد، وهو نكرة في هذه المناسبة، وصفرٌ في هذه الفرحة الكبرى، وهو غريب على الأمة نشازٌ في الملة، عقيم الإدراك للمعاني الجليلة التي حفل بها الدين الإسلامي، وإنما يعيش الفرحة المؤمن العفيف الطاهر المتصالح مع الله ومع نفسه ومع الناس الهيّن الليّن المتواضع للحق المحب للفضيلة البعيد عن الأذيّة السليم من عقارب البغضاء، وحيّات الشحناء، وثعابين الحقد والحسد، هذا الذي فهم معنى العيد وعرف رسالة العيد وعاش فرحة العيد فنقول له: عيد سعيد، وعمر مديد، ومنهج رشيد، ومنقلب حميد، ومثوى مجيد.

وإنك لعلى خُلق عظيم

من منكم يقرأ أخلاقه عليه الصلاة والسلام ثم لا يهتز كيانه وتسيل دموعه، ويذوب قلبه شوقاً؟ من منكم يملك عواطفه أمام نبله وكرمه وشهامته وتواضعه ﷺ؟ من ذا الذي يطالع سيرته الجميلة وصفاته الجليلة وأخلاقه النبيلة، ثم لا ينفجر باكياً ويصرخ: أشهد أنك رسول الله؟ ليتنا نعامل أصدقاءنا كما عامل رسولنا ﷺ أعداءه: «إن الله أمرني أن أصل من قطعني وأن أعطي من حرمني وأن أعفو عمن ظلمني»، ليتنا نعامل المسلمين كما عامل رسولنا ﷺ المنافقين، فقد صح عنه أنه كان يعفو عنهم ويستغفر لهم ويَكِلُ سرائرهم إلى الله، ليتنا نعامل أبناءنا كما عامل رسولنا ﷺ الخدم والعمال، فقد كان له ﷺ غلام يهودي يخدمه فمرض الغلام فعاده ﷺ وجلس عند رأسه وسأل عن حاله ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم الغلام فقال رسول الله ﷺ وهو مستبشر مسرور: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»، وقام رجل من اليهود يتقاضى الرسول ﷺ ديْناً في المسجد أمام الناس ورفع اليهودي صوته على الرسول ﷺ وألحّ بصخب وغضب والرسول ﷺ يتبسّم ويترفّق به، فلما طال الموقف صرخ اليهودي قائلاً: أشهد أنك رسول الله لأننا نقرأ في التوراة عنك أنك كلما أُغضبت ازددت حلماً، آذاه قومه، طردوه، شتموه، أخرجوه،

حاربوه، ما تركوا فعلاً قبيحاً إلا واجهوه به فلما انتصر وفتح مكة قام فيهم خطيباً وأعلن العفو العام على رؤوس الأشهاد والتاريخ يكتب والدهر يشهد: «عفا الله عنكم اذهبوا فأنتم الطلقاء» طرده أهل الطائف ورمـــوه بالحجارة وأدموا عقِبيه بأبي هو وأمي ﷺ فأخذ يمســـح الدم ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»، يوقفـــه الأعرابي في الطريق فيقف معه طويلاً ولا ينصرف حتى ينصرف الأعرابي، تســـأله العجوز فيقف معهـــا مجيباً مترفّقاً بـــاراً حنونـــاً، تأخذ الجارية بيده ﷺ فينطلـــق معها حتى توقفه على مشهدٍ أثّر في نفسها، يحافظ على كرامة الإنسان واحترام الإنســـان وحقوق الإنسان؛ فلا يسب ولا يشتم ولا يلعن ولا يجرّح ولا يشـــهّر وإذا أراد أن ينبّه على خطأ قال: ما بال أقوام يفعلون كذا وكـــذا؟ ويقول: «ليس المؤمن بالطّعان ولا اللعّان ولا الفاحش البذيء» ويقول: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجالسَ يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»، يخصف نعله، يخيط ثوبه، يكنس بيته، يحلب شاته، يؤْثِر أصحابه بالطعام، يكره التّزلّف والمديح والتّملّق، يحنو على المسكين، يقف مع المظلوم، يزور الأرملة، يعود المريض، يشيّع الجنازة، يمســـح رأس اليتيم، يشـــفق على المرأة، يقري الضيف، يُطعم الجائـــع، يمازح الأطفال، يرحم الحيوان، قال له أصحابه: ألا تقتل الشرير الفاجر رأس المنافقين عبد الله بن أُبي بن سلول؟ فيقول: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

أقرأُ سير العظماء والفاتحين والمجددين والمصلحين والعباقرة فإذا قرأتُ سيرته ﷺ فكأنني لا أعرف أحداً غيره، ولا أعترف بأحد سواه، يصغرون في عيني، يتلاشون من فؤادي، ينتهون من ذاكرتي، يغيبون عن مخيّلتي:

تعاودني ذكراك في كل لحظة

ويُورق فكري فيك حين أفكّرُ

وأصرخ والآهات يأكلها الأسى:

زمانك بستان وروضك أخضرُ

أحبك لا تفسيرَ عندي لصبوتي

أفسّر ماذا؟ والهوى لا يُفسّرُ

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لن تغيب عنّا، أنت في قلوبنا، أنت في أرواحنا، أنت في ضمائرنا، أنت في أسماعنا وأبصارنا، أنت في كل قطرة من دمائنا، أنت في كل ذرة من أجسامنا، أنت تعيش في جوانحنا بسنّتك وهديك ومُثُلك العليا وأخلاقك السامية، فديناك بالأنفس، فديناك بالأبناء والأهل جميعاً، أرواحنا لروحك الفداء، أعراضنا لعرضك الوقاء:

أتسأل عن أعمارنا؟ أنت عمرنا

وأنت لنا التاريخ أنت المحرِرُ

تذوب رموز الناس مهما تعاظموا

وفي كل يوم أنت في القلب تكبرُ

صلى الله وسلم عليك كلما ذكرك الذاكرون، وصلى الله وسلم عليك كلما غفل عن ذكرك الغافلون.

الإرهاب الفكري

منذ فجر التاريخ والعالِم والمفكر بين فكّي السلطة أو الجمهور، فإن وافق السلطة وسايرها في كل أمر ظهر له من العامة من يدينه وينشر معائبه ويحذّر منه ويقمّصه ألقاب التبعية والإمّعة، وعالم السّلطة والمداهن والمشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وإن خالف السلطة ووافق الجمهور حذّر منه السلطان على مذهب فرعون حيث قال للرأي العام عن موسى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ، فإن لم يردعه هذا أُدّب بالحبس وبالجلد تأديباً له وردعاً لأمثاله، فإن استمر في عتوّه وصعّد من معارضته قُطِع رأسه؛ ليرتاح منه العباد والبلاد، وقد حوكِمَ سقراط وحضر محاكمته في أثينا خمسمائة قاضٍ ومحقق وشاهد ثم شُنِق، وسلّط الحجاج على سعيد بن جبير فأعدمه صيانة للأمة من علمه الغزير وفهمه الثاقب، واجتهد الإمام مالك في مسألة فجلده أبو جعفر حتى خلع يده، ووُشي بالشافعي عند هارون الرشيد فأُحضر مقيداً بالحديد من اليمن إلى بغداد، ووُقف الإمام أحمد في فتنة القول بخلق القرآن فمزّق المعتصم ظهره بالسياط، وأجلب العامة على ابن جرير الطبري فكبسوا بيته ورموه بالحجارة، ووُشي بابن رشد فحُكِم عليه بالإقامة الجبرية في بيته، واضطهد ابن خلدون بأفكاره حتى

تـــرك القضاء وهُـــدِّد حتى هرب إلى قلعة بشـــمال أفريقيا كتب فيها مقدمته ثم مات، ووُشـــي بالمتنبي عند سيف الدولة ففرّ إلى كافور بمصر فحوصِرَ ففرّ إلى عضد الدولة بشيراز فضُيّق عليه فهرب إلى صحراء بني أسد فذُبِحَ كما تُذبح الشاة، وذهب حسّاد ابن حزم الظاهري إلى الســـلطان فشهدوا عليه أنه ضال مبتدع متمـــرّد فنفاه إلى الباديـــة وأحرق كتبه وحذّر الناس من شـــرّه، وقام أعداء شـــيخ الإسلام ابن تيمية بحملة شعواء ضده وطالبوا بقتله صيانـــةً للدين بزعمهم فخُفِّف الحكم عليه بســـجنه حتى مـــات، فإذا أراد أعداء النجاح وخصـــوم الحقيقة بأحد النابهين واللامعين شـــرّاً أوغروا صدر الحاكم عليه بحجة الحفاظ على الأمة والملّة والمكتسبات حتى يبطش به، فإن نجى من هذه العصابة قام الجمهور عليه وانتقدوا آراءه وســـعوا في القضاء على تراثه، والغالب أن العالِم والمفكّر والشـــاعر يقع تحت سلطة الحاكم أو الجمهور، فإن أرضى الحاكم ورفق به ولم يخالفه في أي مسألة صار من ندمائه وأصفيائه، حينها ينقضّ عليه الجمهور محذِّرين ومنذرين ومتربّصين، فيفقد حضوره وجمهوره، وإن خالف الحاكم وأبدى رأيه وصدع بمخالفتـــه تعلّق به الناس في الغالب وجعلوه رمزاً للتضحية والشجاعة والتّجرد، وحينها يعد له الحاكم العدّة ويجهّـــز له مراتـــب التأديب من منع وحظـــر، أو جلد وحبس، أو تصفية جســـدية في الثلث الأخير من الليل على يد مجهول كما

تفعل الحكومات الثوريّة الفاقدة للشـرعيّة والتي دخلت الأوطان على دبّابة مستعمر، فعلى طالب الحق والمنصف ألاّ يحاكم صاحب العلـم والفكر من خلال رأي الحاكـم أو الجمهور، لكن بالبحث والاستقراء في علمه وفكره كما قال علي رضي الله عنه: «اعرف الحق تعرف أهله، ولا تعرف الحق بالرّجال»، وعلى العالِم والمفكر والشـاعر أن يتقي الله في قولـه وعمله، ويقصد الحق ويتحرّى الصواب سواء أوافق الحاكم والجمهور أو خالفهما، وليتجنّب أهل العلم والرأي والفكر طريقـين: طريق التطبيل والتضليل للحاكم ولكـن الاعتراف بالصحيح والتنبيه علـى الخطأ، وأيضاً عليهم مع الجمهور أن يجتنبوا منهج (ما يطلبه المسـتمعون) وهم الذين يبحثـون عن كل ما يرضي الجمهـور ويثير الرأي العام فيفعلونه طلباً للشهرة والمنـزلة عند الرّعاع.

﴿ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾.

العمل أو الموت

رفــع الألمان بعد الحرب شــعار (العمل أو المــوت) فتحوّلت ألمانيا إلى ورشـــة عمل، وبعد أربع سنوات صارت دولة صناعية مرموقة، وفي كتاب (متعة الحديث) يقول إسحاق نيوتن: النجاح يحتــاج إلى ثلاثة عوامل: العمل ثم العمل ثم العمل، والعمل يبدأ بالعلم، قال تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ** ﴾ والعلم يبدأ بالقراءة، وأمـــة لا تقرأ لن تتعلّم ولن تعمـــل ولن تنال المجد، وفي مقال لي سابق بعنوان: (العرب لا يقرؤون) بيّنتُ ما يلزمنا في هذا الباب، وأمة لا تعمل لا تســتحق البقاء، والإســلام جــاء بالعلم والعمل، وقد أعطى الرســول ﷺ رجلاً فأســاً وأمــره أن يحتطِب ويبيع لئــلا يبقى عالة على المجتمع، وضرب عمر بن الخطاب شــباباً جلســوا في المســجد وتركوا الكســب واعتمدوا علــى جيرانهم وصاح في وجوههم: اخرجوا واطلبوا الرزق فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وشــارك الرســول ﷺ بنفســه في بناء مسجده وحفر مــع الصحابة الخندق وقال: «**إن الله يحب من أحدكم إذا عمـل عملاً أن يتقنَـه**»، وقال: «**المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله مــن المؤمــن الضعيف**»، وكان إدريس خيّاطــاً وزكريّا نجاراً وداود حداداً، ورعى موســى الغنم بالأجرة، ومن أســباب تقدم الغرب اعتماده على العلــوم العملية التطبيقيّة فدخل المصانع والمعامل،

واعتمدنا على العلوم النظرية فانشغلنا بالجغرافيا حتى حفظنا عن ظهر قلب أسماء عواصم تشاد والسنغال وأوغندا، وحفظنا نقائض جرير والفرزدق وهي لا تُطعم خبزاً ولا ترفع مجداً، وأسرفنا في الفنون والرياضة على حساب الإبداع والاختراع والصناعة. والإنتاج خدعة شيطانيّة ولعبة إبليسيّة، فمنتخب الكمرون الرياضي أقوى من منتخب الولايات المتحدة الأمريكية، بينما عجزت الكمرون عن إطعام رعاياها الخبز اليابس، وإذا أرادت الشعوب أن يحالفها الإخفاق ويُختم لها بالخذلان تحوّلت من الجامعات إلى الكبريهات ومن المصانع إلى مقاهي اللهو ومن الإنتاج والإبداع إلى لعب الورق وأكل الفصفص.

رأيت في ألمانيا (مزاين المرسيدس) وفي فرنسا (مزاين الكونكورد سابقة الصوت) وفي أمريكا (مزاين أف ١٦ العاصفة القاصفة) ولأننا أقمنا (مزاين الإبل) فينبغي أن نقيم مهرجانات (مزاين العقول) لنحيّي فيها الموهوبين ونكرم المبدعين ونشجع المخترعين والمكتشفين.

فينبغي أن نعالج مرضانا النفسيين بالإيمان والعمل؛ لأن الفراغ يولّد لهم الخيالات الفاسدة التي توصل صاحبها إلى الانتحار، والعمّال أسعد الناس وأشرحهم صدوراً؛ لأنهم ليس عندهم فرصة للتفكير الخاطئ، وأي دولة لا تتحوّل إلى ورشة عمل هي دولة نامية نائمة كُتب عليها الموت، وإذا عملنا واجتهدنا

فسوف تتقلّص مشكلاتنا وبطالتنا وفقرنا وأمراضنا، ولنرفع شعار (نأكل مما نزرع، ونلبس مما نصنع) وفي قصيدة: (أنشودة الصباح) للروائي الهندي كاليدا ساي: «استقبل يومك بالعمل فإن هذا اليوم قد لا يُشرِق مرة ثانية».

إن عَرَق العامل أزكى من مسك الفاشل، وإن ساعد المثابر أكرم من جبين الكسلان، وإن زفرات البنّاء أجمل من غناء المترف:

لَقَد أَسمَعت لَو نادَيت حَيّاً

وَلَكن لا حَياةَ لِمَن تُنادي

وَلَو نار نفختَ بِها أَضاءَت

وَلَكن أَنتَ تَنفخُ في رَمادِ

شكراً لكل مسؤول جلس على كرسيّه يعدِلُ في القضايا، ويقمع الظالم وينصر المظلوم ويواسي المنكوب، شكراً لكل أستاذ وقف يصحح مفاهيم، ويصلح قلوباً ويبني عقولاً، شكراً لكل طبيب يعالج مريضاً ويداوي مبتلى ويضمّد جراحاً، شكراً لكل مزارع يغرس شجرة، ويعدّل ماءً ويحرث أرضاً، شكراً لكل جندي يحمي ديناً، ويحرس وطناً، ويدافع عن أمة، شكراً للسواعد القويّة والهمم الوثّابة والأفكار الخلّابة، وشكراً للناجحين.

الحج والنجاح الباهر

أُمرنا في الإسلام أن نقول للمحسن: أحسنت، ونقول لصاحب الجميل: شكراً، وباسْم كل مسلم ومسلمة نشكر من استضاف الحجيج وسهّل لهم الخدمات ومكّنهم من أداء فريضة الحج بيسر وسهولة، وعلى رأس من يُشكر خادم الحرمين الشريفين وولي عهده والأمير نايف وجنوده البواسل، وقد أجمع العقلاء ممن حجّ على أن هذا الحج أسهل وأيسر وأنجح حج مرّ على الأمة منذ عشرات السنين، وقد حضر خادم الحرمين وأعضاء الحكومة في مكة يقودون الحجيج ويشرفون بأنفسهم على راحة ضيوف الرحمن فجزاهم الله خيراً وبارك فيهم، ومن المشاريع الضخمة التي تستحق وقفة إجلال مشروع توسعة الجمرات والمسعى، وقد سمعنا أن خادم الحرمين الشريفين سوف يضيف إلى تاريخه وسجل مكرماته مشروع القطار في المشاعر المقدّسة؛ ليُعفي الحجيج من زحام السيارات ودخان العادمات وارتباك السير، وهي خطوة إذا تمّت جبّارة فائقة، وأظن أن من الأسباب العظيمة في حفظ الله لهذه البلاد ودفاعه عنها ما يقوم به الولاة من خدمة الشُعّث الغُبْر والسهر على راحتهم وأمنهم، ولا تزال هذه المكرمة تُساق لهذه البلاد وكلما زيدت الخدمة والتسهيل وتذليل الصعاب زاد الله الخير والأمن

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، إن شرفنا بين العالم أننا حكومة وشعباً خدّامٌ للحرمين الشريفين ومستقبلون لضيوف الرحمن على مدار العام حجاً وعمرة وزيارة، ينزلون في عيوننا ويسكنون قلوبنا لا نرى في ذلك منّة منّا على أحد بل الفضل والمنّة لله وحده، وقد تفضّل الله علينا بأن شرّفنا بهذه الخدمة حتى صار لقب قائدنا وزعيمنا (خادم الحرمين الشريفين) والذي أريد أن أقوله هنا أن علينا أن نحمد الله غاية الحمد ونشكره أكمل الشكر وأتمّه على أن سهّل الحج على ضيوف بيته فمرّ بيسر وسلام وأمن وإيمان بلا حوادث ولا صعوبات ولا مشقة، وعلينا أن نتطلّع للمزيد في مشاريع مقبلة بُشِّرنا بها كمطار جدة الدولي الضخم وتوسعة طريق جدة مكة إلى غاية السعة، وأن نعلم أن دعوة من شيخ كبير أو من امرأة عجوز أو مسكين بائس أو من أشعث أغبر ترتفع إلى الحي القيوم لمن سهّل لهم سبل الحج، إن هذه الدعوة خير من الدنيا وما فيها، وإذا كان عند بقية العالم إنجازات في صنع السلاح وإنتاج القنابل واختراع الصواريخ فإنجازنا قيادةً وشعباً: حمل رسالة ربّانيّة وتحكيم شريعة محمّديّة وخدمة بيوت الله واستقبال ضيوف الرحمن والحرص على أمن الناس وسلامتهم والصلح بين الأفراد والدول والشعوب وحراسة المُثُل العليا والمحافظة على الفضيلة والرقابة على الميثاق الربّاني المحمّدي عبر منهج وسط لا إفراط ولا تفريط يقوم على الكتاب والسنة،

وقــد عاهدنا الله فــي بيعة مباركة يقول فيهــا والدنا وزعيمنا: (أعاهدكم على أن أجعل الإســـلام منهجي والقرآن دستوري)، إن أهل الفضل في هذه البلاد من المســؤولين والعلماء ورجال الأمن والأغنياء يقومون بهذه الخدمة بكل تواضع وحب لا يباهون بذلك ولا يريدون من الناس جــزاءً وإنما يرون أنها الأمانة الملقاة على الأعنــاق، والواجب المقدّس الذي فرضــه الله وضريبة الصدارة العالميّة، والحق الإنســاني، والخُلُق الإســلامي، فشكراً لكل من أسهم في هذه الضيافة الكريمة بدايةً من كبير أسرتنا السعودية عبدالله بن عبدالعزيز ونهايةً بالرجل البســيط الذي لا يملك إلا أن يبتســم في وجه الحاج والمعتمر ويقدّم له شــربة ماء أو يدلّه على الطريق، نحن جمعية إيمانيّة كبرى أعضاؤها كل صالح خيّر، ونحن مؤسسة إسلاميّة عظمى أفرادها كل صادق مخلص:

يــومٌ من الدهر لم تَصنع أشعتَه

شمسُ الضحى بل صنعناه بأيدينا

لا تشرق الشمس إلا من نواظرنا

ولا يُــرى المجــدُ إلا فــي نواصينا

وقال الشاعر الشعبي:

أنا من ارض الرسول أهل الشرف كلّهْ

نسعى إلى المجد رجّاله وخيّالهْ

منــا عمر والمثنــى صاحبْ الثّلهْ

وخالــد بن الوليــد بدارنا جالهْ

جبريـل جا في بلدنـا الوحي فـي ظِلّهْ

مـا جـا بلنـدنْ ولا باريـس بظلالـهْ

وآخـــر الهدايا من الوالد (أبي متعب) هدية الحاج المتضمنة المصحف الشـــريف مـــع كتيّبات عن الإســـلام والحج في حقيبة ملؤها الحب والسلام ليقول كل حاج لأبي متعب:

فعـادوا فاثنـوا بالذي أنـت أهلُهُ

ولو سـكتوا أثنت عليك الحقائبُ

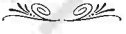

obeikandl.com

مستعدون لحوار الأديان

الدعـوة التي أطلقهـا خـادم الحرمين الشـريفين لحوار الأديان دعوة موفّقة، متفقة مع منهجنا الإسـلامي في حوار غير المسلمين؛ لأن معنا حجة من الله، وبرهاناً ساطعاً، ودليلاً قاطعاً، ومعنـا دين عالمي ربّاني، يدعو إلى الحوار والمجادلة بالحسـنى، كمـا قال تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ ﴾ بل أمرنا سـبحانه وتعالى أن ندعوهم إلـى المناظرة والمحاورة بالأجمل من القول والأفضل من الأسـاليب، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَـوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْـرِكَ بِهِ شَـيْئًا وَلاَ يَتَّخِـذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ ﴾. بل إن رسـولنا ﷺ حاور أهل الكتاب من اليهود والنصـارى، وزارهم في أماكنهم، وأكل طعامهم، وزاروه في بيته، وأكلوا طعامه، وعرض عليهم الأدلة على صدقه وصدق رسـالته، ونحن لا نخشى حوار الأديان؛ فعندنا -والحمد للـه- من الحق الواضح الصريح والميـراث المجيد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يبهر العقل، ويشرح الصدر، ويجعل المخالف المنصـف يذعن للحجة إذا كان قصده الحق، وإلا فكيف نُسْـمِع دعوتنـا العالـم إذا أغلقنا أبواب الحـوار، ورفضنا الجلوس مع غير المسـلمين؟ ولماذا نخاف من مقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل والفكـرة بالفكرة، وليس عندنا شـيء نخفيه؟ ومبادئنا قويّة صريحة واضحة وضوح الشـمس تُعلن كل يوم خمس مرات

من على المآذن ومن فوق المنابر، وفي الجامعات والمنتديات، وعبر الفضائيات وفي الصحف والمجلات.

إن رسالتنا الإسلامية لم تأتِ لعدة ألوف من البشر، ولا لقبيلة من القبائل، ولا لدولة واحدة، ولا لجيل واحد، فالله يقول لنبيّه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ كل العالمين؛ الأبيض والأحمر والأسود، في كل زمان وفي كل مكان منذ فجر الرسالة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والواجب على علمائنا ودعاتنا أن يكون عندهم من القوة والرغبة في إيصال الحق الذي نعلمُ إلى كل العالمين، ولا بد من أن يستمع لنا أهل الكتاب كما استمعنا لهم كثيراً، وأن يؤمنوا برسولنا محمد بن عبد الله ﷺ وأن يوقِّروه وأن يحترموه كما آمنا بموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام ووقَّرناهم واحترمناهم .

إن مِن الأمم مَنْ وصله إسلامٌ مشوَّه قدَّمه أناس من المسلمين ليس عندهم الأهلية لتمثيل الإسلام، فتعرّف أولئك القوم على صورة مشوَّهة للإسلام ليست صورته الجميلة الباهية، فمن هنا وجب على الثقات من أهل العلم والدعوة والفكر أن يقوموا بمهمتهم، فيشرحوا للآخرين تعاليم الإسلام الراشدة وأخلاقه الفاضلة، ويزيلوا اللّبس الذي علق بأذهان خصوم الإسلام، ويرفعوا الإشكال والشُّبه التي تحكّمت في قلوب الجاهلين بالإسلام، وأنا

ضامن أن مَنْ ينصت لنا من غير المسلمين ويستمع لحجتنا ويتفهّم رسالتنا وهو عاقل واعٍ فسيذعن للحقيقة وينقاد للبرهان.

إن البيان أقوى من السلاح، وإن البرهان أمضى من السيف، وإن الحجة أنفذ من السهم، نحن في تاريخنا المشرق المجيد فتحنا القلوب والأسماع والأبصار بالحجج والبيّنات والآيات والعظات أكثر مما فتحنا بالكتائب والجيوش والسيوف والرماح، واسألوا إن شئتم إندونيسيا وماليزيا ودول أفريقيا والجمهوريات الإسلامية، هل وصلهم منّا جندي واحد أو دبّابة واحدة؟ بل أرسلنا لهم رسل سلام ووفود محبّة من السيّاح والتجار، فلما رأى أولئك سيرة أبنائنا وصدقهم وأمانتهم وأخلاقهم النبيلة صاح لسان الحال منهم قائلاً: نشهد أن ديناً أخرجكم أنه دين حق، فاعتنقوا الإسلام ودخلوا في دين الله أفواجاً.

فيا خادم الحرمين، امضِ بالعلماء في مشروع إسلامي يقوم على الحوار والدليل ويجمّل صورة الإسلام ويشرح للعالمين أهدافنا الربّانيّة من توحيد الله -عز وجل- والرحمة بعباده وإخراج الناس من الظلمات إلى النور والتعايش السلمي مع البشرية وإنقاذ الضالين الذين يحاربون الله ورسله وهداية الحيارى إلى طريق الحق المبين، وصدق الله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

الملك عبد العزيز قائد الثورة

هـذه الثـورة أعظـم ثورة فـي العصر الحاضـر من حيث أثرها وعمقها وامتدادها ورسـالتها، ثورة قويّة بيّنة المعالم، ثورة إسلاميّة مرجعها الكتاب والسُّنّة ومنهجها الوسطية ومقصودها جمع الناس على توحيد الله ووحدة القلوب، ثورة وحّدت أكثر من خمس دول كانت متصارعة متحاربة، وجمعت أكثر من مئة قبيلة كانت متناحرة متقاتلة، ثورة أنهت الخرافة والشـركيّات والبدع، وقطعت دابر الشـقاق والفرقة، ثورة قضت على النهب والسلب والفتن والعداوات، ثورة أوقفت المارقين واللصوص وقطّاع الطرق، وأمَّنت السُبُل، وجمعت الشمل ووحّدت الكلمة، ثورة جددت الدِّين ونصـرت الملَّة ودمغت فنون التخريب والفسـاد في الأرض، ثورة كان بيانها رقم (١) لا إله إلا الله محمد رسول الله، والبيان رقم (٢) لا حُكْـمَ إلا لله، والبيان رقم (٣) نحن وسـط لا إفراط ولا تفريط. لقد قرأتُ تاريخ الثورات عبر قرون من الزمان فوجدتُ هذه الثورة من أصفاها وأبعدها مدىً، وأقواها صدىً، وأحسنها هـدىً، ثورة انفجرت كالبركان في مهبط الوحي ومهد الرسـالة ومولد النـور وقِبلة العالم، ثورة جمعت أصـول العروبة وأبطال الكفاح وحماة المجد وحفّاظ العقيدة وأحفاد المهاجرين والأنصار

وسلالة الفاتحين والمجدّدين، ثورة ليست قوميّة بل ربّانيّة عالمية، وليست حزبية بل توحيديّة وحدويّة، وليست شيوعيّة بل إسلامية شرعية، وليست اشتراكيّة بل محمديّة سُنيِّة، وليست رأس مالية بل إلهية نبويّة، ثورة حطّمت ثكنات المشعوذين والسحرة، ودمّرت الزنادقة والأفّاكين، فارتفع الأذان وصدحت المنابر بالعلم النافع، وسُــلَّ سيف العدل يردع الظالم وينصر المظلوم، وقامت المدارس والجامعات واجتمــع الدِّين والدنيا والمســجد والمصنع، واتصل بها الشــمال بالجنوب وتعانق الشــرق بالغرب، وصارت العشائر أسرة واحدة، هذه الثورة أساس شرعيّتها الإسلام عقيدةً وعبادةً ومنهج حياة، هذه الثورة تلغي القوانين الوضعيّة، وتشــطب على الدســاتير الأرضيّة، وتســحق المبادئ الضالة والتعاليم الزائفة، وترفــع مكانها النّص المقدَّس والوحي المطهّــر، هذه الثورة تعبد الله وحده لا شريك له، قدوتها محمد بن عبدالله ﷺ، ودستورها الشريعة، ووجهتها الكعبة، ومطلبها رضا الله ومستقرها الجنة، وهذه الثورة وحّدت مساحة تعادل أوربا الغربية وتمتد من البحر إلى البحر، ومن الأرض إلى الســماء، ومن المهد إلى اللحد، ومن المحــراب إلى الفــردوس الأعلى، وفي هذه الثــورة وفي قائدها يصدق قول الشاعر:

إذا كان غاندي منقذاً فهو واهمٌ

وإن كان تيتو مصلحاً فهو مدبِرُ

وهـتـلـرُ نـــازيٌّ ولـيـنـين مـــارقٌ

وأخـبـار نـابـلـيـون مـــوتٌ مـقـطَّـرُ

وهذا حنيفٌ مسلمٌ ثابت الخطى

صـــلاةٌ تُـــؤدّى أو كـتـابٌ يُـفـسّـرُ

إنها ثورة العصر الحاضـــر، إنها حديث الركبان، إنها الثورة التي أنســـت كل ثورة، ولهذا انتصرت وآتت أُكُلَها ورفعت دعائمها ونصبـــت أعلامها وأســـمعت الكون صوتها، ومن شـــاء أن يتأكد من صدق هذه الثـــورة ونفعها فليزرْ جزيـــرة العرب وليصلِّ في الحرم ويعرّج على نجد ويصعد ســـراة عســـير ويعانق جبلي آجا وسلمى ويخاصر نخيل الأحساء ويرفل في بساتين القصيم، إنها ثورة الســـعوديّين في العصر الحاضر، أما قائد الثورة فهو الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله تعالى.

من هو الإرهابي؟

ما زلتُ على إنصافي للغرب في جوانب من حياتهم في مجتمعاتهم، أما غيرها ففيهم متطرفون يتهمون المسلمين بالإرهاب، وهم أكثر إرهاباً، وأعظم تقتيلاً وأشدُّ تنكيلاً، وسبب هذا الحديث أن المتطرف الهولندي جيرت فيلدرزبسبت قدّم (فلْماً) قبيحاً عن الإسلام، وطعن في القرآن، واتهم المسلمين بالإرهاب ومن ضمن (الفلم) أخذ مقطعاً لي أتكلم فيه عن جهاد المحتل، فمسخ الكلام وشوَّهه ووظّفه في الدعوة إلى الإرهاب، فمن الإرهابي؟.

أليس الإرهابي من احتل العراق ودمّره وقتل أبناءه وذبح شيوخه ورمَّل نساءه وأحرق أرضه؟ أليس الإرهابي من أباد الشعب الفلسطيني وحاصره وجوَّعه وعذَّبه وحبسه ونكَّل به؟ أليس الإرهابي من اجتاح أفغانستان ومزَّق أشلاء الأطفال ولعب بجماجم الرجال ودك المساجد ومزّق المصاحف؟ واقرؤوا كتاب (كنت رئيساً لـ CIA لـ ألن دلس) لتعرفوا أي إرهابي لديكم، أنتم نهبتم خيرات الشعوب وجوَّعتم أطفالها، وأنتم بنيتم حضارتكم على جماجم البؤساء وضلوع الزنوج الذين حملتموهم بضائع على سفنكم، وأنتم نشرتم في الأرض الرعب والخوف والنفايات

النووية، سلوا مياه الخليج والبحار والمحيطات عن حاملات الطائرات والصواريخ عابرات القارات، هل نحن إرهابيون، والقتلى منّا، والأرض المسلوبة أرضنا؟ والخيرات المنهوبة خيراتنا، والشعوب المسحوقة شعوبنا، والأطفال المروّعة أطفالنا؟ إن إرهابنا لكم مجرد نكتة عابرة، أما أنتم فأساطيلكم في بحارنا وقواعدكم في أوطاننا وطائراتكم في سمائنا وأنتم منذ قرنين من الزمان تعاملون غيركم معاملة المقهور المضطهد، ومنذ محاكم التفتيش في أسبانيا وحرب المئة عام بين فرنسا وبريطانيا وأنتم مُشْعِلو الحروب، أليست النازية من صنعكم؟ والمحرقة إحدى إنجازاتكم التي تعترفون بها ونحن ندفع كفارة محرقتكم في فلسطين، وتريدوننا بعد هذا كله أن نكون معكم مسالمين طيّبين حلوين مهذّبين مؤدّبين (كويّسين)؟ قاتل الله الطيش والسفه، وسحقاً للجور والعدوان، وتباً للعنجهيّة والاستكبار، ولقد قلتُ في المقطع الخاص بي من (الفلم): (إن المحتل لا يخرج إلا بجهاد وتضحيات) فهل في هذا الكلام عوج أو خلل؟ أما أخرجتم أنتم المحتلين من بلادكم كهتلر في هولندا وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا بجماجم وتضحيات؟ أما وحّدتم بلادكم بالحديد والنار كالولايات المتحدة وألمانيا؟

إن الإرهابي هو الملحد المحارب لله المكذِّب للرسالات السماوية، إن الملحد هو المشوَّه فطرةً، البغيض خِلْقةً، الناكث

للعهود، العدو للقيم والمواثيق والأعراف، إن الإرهابي هو الخارج عن الجماعة المسلمة، الناكث للبيعة المكفِّر للمؤمنين، المستحل للدماء والأنفس والأموال، إن الإرهابي هو ناشر الدمار والرعب والمستولي على مقدرات الشعوب وخيرات الأمم.

نحن دعاة الإسلام رُسُل سلام، وفود محبَّة تحمل رسالة إنقاذ ودعوة رحمة، وخطاب نجاة، ومشاعر فضيلة، ونصوص إيمان، ولقد آمنا برُسُلِكم كموسى وعيسى عليهما السلام فآمنوا برسولِنا محمد عليه الصلاة والسلام، ولقد أنصفناكم في جوانب إيجابيّة من حياتكم فأنصفونا كما أنصفناكم، وأنصتوا لنا قليلاً فقد استمعنا لكم كثيراً: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

إن رسولنا ﷺ أخبرنا أن الله عذّب امرأة بسبب أنها عذّبت هرّة في الدنيا وأن الله أدخل امرأة عاصية الجنة؛ لأنها سقت كلباً بلغ به العطش مبلغاً عظيماً وإن ديننا يُحرِّم إحراق النمل وإيذاء البهائم فكيف بالإنسان؟ ديننا جاء لحياة النفوس لا لقتلها، والله يقول في كتابه العظيم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

يا عقلاء السُّنة والشيعة

ما دمنا لم نستطع حل الخلاف بين السنة والشيعة وقد مضى عليه عشرات القرون فعلينا أن نعترف بأن الخلاف حاصل وأن الواجب علينا ألاّ نطور هذا الخلاف إلى صراع دموي، فكفانا جراحاً وتمزقاً، فعندنا نحن أمة الإسلام من المصائب ما يكفينا، والصهيونيّة العالمية تتربص بنا وتخطط لاجتثاثنا، ما فائدة إعادة خطب الشتم والتجريح والتحريض والاستعداء وذكر المثالب والمعائب عند الطائفتين؟ ما هو النفع المأمول من السعي لسفك الدم السنّي أو الشيعي؟ إن كل طائفة من السنّة والشيعة تعتقد صحّة مذهبها وبطلان المذهب الآخر، فلن تستطيع أن تغير قناعات الناس إذا أصروا عليها ولو كانت باطلة، نحن أهل السنة نعتقد أن الحق معنا كتاباً وسنّة، وإذا كان الشيعة يرون أننا مقصرون في حق أهل البيت، فإننا نعلنها صريحة قويّة بأننا نبرأ إلى الله مِن كل مَنْ هوّن من شأن أهل البيت أو تعرّض لهم أو سبهم، ونطالب الشيعة بالكف عن انتقاص الصحابة وسبّهم وثلبهم؛ فالدفاع عن أهل البيت والصحابة واجب على كل مسلم ومسلمة، إن على عقلاء الطائفتين سنّة وشيعة أن يسعوا لوأد الفتنة ومنع التصعيد وحذف عبارات التخوين والتربص والوعيد.

يا عقلاء السنة والشـيعة، انزعوا فتيل الإحن، وأطفئوا نار الفتن، ولا تزيدوا الأمة محناً على محن، يا عقلاء السنّة والشيعة، كلٌ يعمل على شـاكلته، وكلٌ يسـير على طريقته حتى يحكم الله بيننا فيما اختلفنا فيه، يا عقلاء السنة والشيعة، لا تعطوا أعداء الإسلام ذريعة لهدم صرح الأمة وإلغاء وجودها وطمس رسالتها وإهانة مقدّساتها، يا عقلاء السنة والشيعة، حرموا فتاوى القتل وسفك الدم وإيقاد نار العداوة والفرقة والبغضاء، نحن المسلمين سنّة وشيعة ندعو إلى التعايش السلمي والحوار مع غير المسلمين أفنعجز عن أن نعيش سـنّة وشيعة بسـلام؟ إن الذي يعجز عن إصلاح بيته عاجز عن إصلاح بيوت الآخرين، لمصلحة من يرتفع صوت طائش أرعن ينادي: يا شـيعي، اقتل سنيّاً وادخل الجنة؟ ويقابله صوت ينادي: يا سـنّي، اقتل شـيعياً فداءً لك من النار؟ أي منطق؟ أي عقل؟ أي دليل؟ أي حجة؟ أي برهان؟ بل نقول: يا سـنّي، دم الشيعي حرام، ويا شيعي، دم السنّي حرام، أما آن لنا أن نصحو ونراجع نداء الضمير وصوت العقل وخطاب الشرع؟ لا عدوان، لا ظلم، لا تحريض، لا إرضاء للأعداء بتمزيق صفوفنا، وهدم بيوتنا بأيدينا، وقتل أنفسنا بخناجرنا.

أحسـن طريقة لحل الخلاف بين السنّة والشيعة أن يفعلوا فعل الأعراب (البدو)؛ فإنهم إذا صدم أحد منهم بسـيارته سيارة الآخر

قالوا: كل واحد يصلّح سيارته، عندها تنتهي المشكلة بلا مرور ولا غرامة ولا سجن، فيا سنّة ويا شيعة: (كل واحد يصلّح سيّارته).

لقد أمرنا الله تعالى بحسن المعاملة مع غير المسلمين ما لم يقاتلونا أو يخرجونا من ديارنا قال تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ وهذا مع غير المسلم، والبرُّ هنا كف الأذى وحسن الخطاب وجميل التواصل والتعايش السلمي فكيف مع طوائف الإسلام ولو كانت مختلفة متنازعة؟ ماذا يقول عنّا الآخرون إذا شاهدونا نكيل السِّباب لبعضنا لعناً وشتماً وتجريحاً وإهانة وسخرية؟ إن الإخوة أبناء الرجل الواحد إذا لم يصلحوا شأنهم ويقفوا صفاً واحداً أمام الناس فهم عرضة للعداوة والفرقة والفشل والهزيمة، دعونا من الخطب النارية البغيضة والكلمات الرعناء الجوفاء الحمقاء: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾.

شيوخ الفضائيات

لما نشـــرت المجلة الأمريكية (فورييز) أرقاماً بدخل الدعاة، منهم صاحب المقال العبد الفقير وسلمان العودة وطارق السويدان وعمرو خالد وعمر عبد الكافي، قام كثير من الصحفيين وبعض القنوات الفضائية بتوظيف الخبر والتعليق عليه والفرح به، ولي مع هذا الخبر وقفات:

١- إن دخْلنا الســـنوي أنا وإخواني الدعـــاة والمذكور في المجلة الأمريكيـــة لا يســـاوي مجتمِعاً رواتب الخدم والســـفرجية والقهوجية عند كثيـــر من الأثرياء والوجهاء، فلماذا الصياح والنـــواح والدعوة بالويل والثبـــور، وعظائم الأمور، وقاصمة الظهور ؟

٢- إن دخل الدعاة الخمسة لا يعادل دخل فنان واحد مشهور أو لاعب كرة عالمي، فهل المال حلال عليهم حرام على الدعاة؟

٣- هذه الأموال التي وصلت إلينا من كتبنا أو دروسنا هي نسبة قليلـــة مما تتقاضاه القنوات والمكتبـــات من حقوقنا، فلماذا نُلام ونحاسب على شيء زهيد أُخذ من مبالغ ضخمة حُوِّلت لصالح وســـائل الإعلام وبرامـــج عليها رعايـــات ودعايات لغيرنا؟

٤- إن أخـذ الأجرة على العمل ولـو كان دينيّاً أو جمع المال من الوجه الشـرعي حلال في الإسلام بالإجماع، حتى التجارة مـع فريضة الحج جائزة، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، وكان أبو بكـر الصدّيق وعثمان بن عفان وابن عوف وغيرهم تجّاراً وأغنياء كباراً.

٥- كيف نعيش وكيف ننفق على أهلنا إذا لم نأخذ نسبة ضئيلة مـن دخل أعمالنـا وليس عندنا وظائـف ولا أرصدة بنكية ولا أسهم ولا شـركات؟ هل نبقى عالة على المجتمع وننضم للضمـان الاجتماعـي حتى نثبت لبعض إخواننـا أننا زهّاد وعبّاد وأولياء وأتقياء؟

٦- أمـا كوننا مشـايخ فضائيات فنحن مشـايخ فضائيات ولا فخر، وهذا الشـرف حصلنا عليه بعد توفيـق الله بجهدنا ومثابرتنا ولأننا نقدّم خطاباً معتدلاً صحيحاً وسـطيّاً راقياً جذّاباً يحطم أنوف الغـلاة والمتحللين من الدِّين، ومن عنده قدرة على الحضور والمشاركة فالطريق أمامه رحب فسيح:

أَقِلّـوا عَلَيهِـم لا أَبـا لأَبيكُمو

مِنَ اللومِ أَو سُدّوا المَكانَ الَّذي سَدّوا

٧- أما المتاجرة بالدِّين فقصم الله ظهر من جعل الدِّين متاجرة أو احتال على المسـلمين أو خدعهم في أموالهم أو غشَّهم أو

زوَّر عليهم أو ظلمهم أو تستَّر بالدِّين ليلعب عليهم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

٨- أين الأقلام الجريئة والألسنة الحادة التي تعرضت للدعاة ممن خدع الناس في أرزاقهم في الأسهم والشركات الوهمية واقتناص المال العام وأخذ الرشوة؟ ثم لماذا لا تُنشر أرقام بدخل الأعيان والفنانين والرياضيين؟ وما معنى أن تقصد مجلة أمريكية إعلام الناس بدخل خمسة من الدعاة؟

٩- نحن لا نأخذ من جمهورنا ولا محبينا ريالاً واحداً وإنما هذا الدخل من جهات غنيّة وثريّة تجمع الأموال من الدعاة ومن غيرهم، بينما حضور المباراة وقاعات الغناء والفن تُدخَل ببطاقات مدفوعة الثمن، والحمد لله أن دخْل الدعاة الخمسة قد أُعلن في مجلة أمريكية ليردّ على من قال: إننا حصلنا على مئات الملايين من جهودنا الدعوية، وبإذن الله سوف يستمر حضورنا في المساجد والقنوات والصحف والمجلات، فأكرم البشر رسول الهداية ﷺ دعا إلى الله في المسجد والنادي والسوق والحضر والسفر وخاطب الملوك وراسل أمم الأرض وأسمع رسالته الخالدة كل العالم.

إنصاف الغرب لا يعني اتباعه

كتبت مقالتي (نحن العرب قســاة جفاة) عن مشاهداتي في باريس، ولا أجدني ابتعدت عــن الصواب؛ فقد ذكرتُ جانباً من جوانب حياتهم، وقد يجتمع في الشخص والدولة والشعب والأمة حسنات وسيئات ومناقب ومثالب، وأذكرُ هنا مسائل:

١- لا يجــوز التعريض بالدعــاة وطلبة العلم بأنهــم لم يفهموا الواقع ولــم يطّلعوا على حضارة الغــرب ونحو هذه النغمة السائدة، وأنا قد سافرت إلى أوروبا وأمريكا مرات من قبل هذه الزيارة ووالله ما ســافرتُ من السعودية إلى فرنسا إلا وقد اطلعتُ على تاريخ فرنســا الحديث مــع كثير من كتب مفكريها ومثقفيها، ولي إلمام بتاريخ الثورة الفرنسية وصولاً إلى شارل ديقول الثوري الرمز مروراً بالرئيس بنبيدو السمين الضخم، تعريجاً على الرئيس المتألق (فلري جسكار دستان) تطويفــاً على الرئيس الغامض النابــه (ميتران) وصولاً إلى الرئيس المنظّر (شيراك)، وأخيراً الرئيس المستعجل المطفوق (ساركوزي)، فهل يُظَن أني كتبتُ المقال بناءً على مروري في شارع (شونزي ليزي)؟ وهذا لم يحصل.

٢- إن منهج الوحي كتاباً وسُنّة يقوم على الإنصاف والعدل حتى مع غير المسلمين، وقد أنصف الله النصارى في كتابه فقال:

﴿ لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ وقال: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة إلا والروم أكثر الناس»، والروم هم أجداد الأمريكان والأوربيين، وعلّق عمرو بن العاص على هذا الحديث بمدحهم ثم قال: (هم أمنع الناس للظلم)، فلماذا لا ننصفهم في هذا الجانب كما أنصفهم الله ورسوله والصحابة؟

٣- قبل أن أزور باريس بأيام نقلت (قناة العربية) و(قناة الجزيرة) مشهداً مؤثراً للرئيس الفرنسي (ساركوزي) وهو يصافح فلاّحين، فمد يده إلى أحدهم مصافحاً ومسلِّماً، فقبض الفلاح يده وصاح في وجه الرئيس: أنا لا أصافحك، أنت رئيس كذّاب!! فردّ عليه الرئيس بقوله: وأنت أحمق، فمال الرأي العام كلّه مع الفلاّح ضد الرئيس، وهاجمت الصحافة الرئيس، ونقصت شعبيّة (ساركوزي) بسبب هذه الحادثة، فبالله لو قام فلاّح عربي على رئيس عربي من الأنظمة الثوريّة القمعية الاستبدادية وقال له مثلما قال للرئيس الفرنسي فماذا ستكون النتيجة؟ طبعاً سوف ينادي الزّبانية والجلاّدين بقوله: (خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه)، فلماذا لا ننصفهم كما أنصفهم عمرو بن العاص في هذه المسألة؟

٤- حاضرتُ أنا والدكتور سعد البريك والدكتور عبد العزيز المقحم والدكتور عبد الله الحارثي في مساجد باريس و(ليون) و(بروكسل) و(مدريد) وغيرها من المدن، وحضر من الجالية العربية التي فرَّ أكثر أفرادها من السجون والمعتقلات العربية من أنظمة قمعيّة ثوريّة استبدادية انقلابيّة ترفض تحكيم الشريعة الإسلامية فتعلّموا في أوربا الطب والهندسة والطيران والتكنولوجيا، ومارسوا الدعوة في المراكز الإسلامية والمساجد ووسائل الإعلام، فهل تسمح لهم كثير من الأنظمة العربية بذلك؟ فلماذا لا ننصفهم في هذا الجانب؟

٥- أننكِرُ أن الحضارة- ولو كانت ماديّة- ترقق الطباع، وهذا أمر معلوم متعارف عليه شرعاً وعقلاً، وفي حديث حسن يقول ﷺ: «**من بدا جفا**»، والمعنى: من سكن البادية وابتعد عن الحضارة صار في خُلُقه جفاء وفي طباعه قسوة، ولما سافرتُ إلى أمريكا مع الدكتور عبد القادر طاش وشاهدنا اصطفاف الناس بانتظام مع حسن الترتيب والنظام في الأخذ والعطاء التفت إليَّ وقال: (الحضارة ترقق الطباع)، فلماذا لا نلمح هذا الجانب؟ ولماذا لا نتذكر قسوة كثير منّا وأدلة هذه القسوة موجودة؟ فمنها آثار الكدمات واللطمات في جباه بعضنا من آثار التضارب والتقاتل فيما بيننا، ومنها

كثرة الصدمات في السيارات نتيجة للعنف الاجتماعي، وهل ننكـــر أن الكثير منّا يحمل عصاً وهراوة في ســـيارته لوقت الطلب والمنازلة؟

٦- أنا لا أنكر أن فرنسا احتلت الجزائر، ولا أنها أيّدت إسرائيل، ولكننـــي لا أنكر ما وصلـــوا إليه من رقي مـــادي وتفنن في أساليب الحياة كما قال تعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾، أليس في حياتهم الدنيا التداول الســـلمي للســـلطة بلا قتل ولا انقلاب ولا غدر ولا خيانة؟ أليس في حياتهم الدنيا الطـــب الراقي والصناعة الناجحة والتنظيم والترتيب مع جودة البناء وسرعة القطارات وإتقان الطائرات ونحوها من الأمثلة؟

النفاق الاجتماعي

أصبح لكل رمز ديني أو سياسي أو وطني بطانة يمارسون معه لعبة التضليل والتَّملّق والتّزلّف والمديح المزيف، فشيخ العلم لديه أتباع من المحبين والمعجبين يخلعون عليه صفات الكمال ويوهمونه بأنه بركة العصر، ووحيد الدهر وشبيه البحر، وأن الله نفع بعلمه العباد والبلاد وأن كتبه وفتاويه ودروسه شرّقت وغرّبت، فيصدّق المسكين ويقع في الفخ ويصاب بداء العجب والتيه، والسياسي عنده بطانة تقتات بكلمات الإطراء ومقامات الثناء المجوج، وتوهمه بأنه الملهم وقلب الأمة النابض ومحبوب الجماهير، وتذكر له أحلاماً منامية كاذبة تدل على صلاحه وعدله وإيمانه واستقامته، وتخبره هذه البطانة أن العجائز في البيوت يدعون له وأن الشيوخ والأطفال يعيشون على حبّه، وأن عدله وصل الجميع وبرّه وَجُوده عمّ الكل، (فيتوهّق) و (يتورّط) في دهاليز العلو في الأرض والتّكبر على عباد الله والتّجبر على الأمة، والأعيان من العسكريين والتجار والمشاهير لهم جلاّس وسمار يمارسون معهم لعبة الضحك على الذقون وتمويه الحقائق، ويعطونهم صورة خاطئة عن الواقع ليكسبوا الحظوة لديهم وينالوا شرف صحبتهم ويبتزوا أموالهم، فإذا غابوا عنهم

سلقوهم بألسنة حِداد شداد، فإذا أتيتَ تريد المكاشفة والصدق والوضوح والشفافية ضاع صوتك بين الأصوات وصرت ثقيلاً وأصبحت نشازاً، فتضطر رغم أنفك للمشاركة في حفل تأبين الضمير وفي جنازة موت الحقيقة، وهذا يدلّك على الغثائية التي وصلت إليها الأمة، أما كان الأعرابي يحاور عمر ويناقشه وهو على المنبر؟ أما طلب عمر من الناس تيسير المهر وعدم المغالاة في الصداق؟ فقامت امرأة من آخر المسجد فقالت لعمر: يا عمر كيف تريد تقليل المهر والله تعالى يقول: ﴿ **وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا** ﴾؟ فصاح عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

نحن لا نطلب من الناس سوء الأدب مع الرموز الدينية والسياسية والوطنية وسائر الناس ولا التجريح ولا التشهير، ولكن نطالب الجميع بالكف عن هذا النفاق الاجتماعي وحجب الحقائق وإدخال هذه الرموز في نفق مظلم من الوهم، يقول الحسن البصري: «تولّى الحجاج العراق وهو عاقل كيّس فما زال الناس يمدحونه حتى صار أحمق طائشاً سفيهاً»، فلما ضعف الوازع الديني عند الأمة وقلَّ الصدق أكثرتْ من ألقاب المديح وصفات التّزلّف بعدما كان الصحابة في عصر الخيريّة والقيادة والريادة ينادي بعضهم بعضًا، فيقولون: يا أبا بكر، يا عمر، يا عثمان، يا علي، وهم قد فتحوا القلوب والأسماع والأبصار

والبلدان بالإيمان والعدل والسلام، ولكن الرئيس العربي ركَّبَ على صدره النياشين وعلى أكتافه النجوم وفي الشوارع أقواس النصر وهو لم ينتصر في معركة واحدة بل إن أجزاء من بلاده تحتلها إسرائيل.

إن تمويه الحقائق على الرموز وصنّاع القرار والمؤثِّرين معناه ضياع البلاد والعباد، فهؤلاء المتملِّقون والمتزلِّفون من البطانة همهم أنفسهم، وهم الذين يحملون شعار (كل شيء على ما يرام) فتجد الشيخ مثلاً عنده أخطاء كبرى ومغالطات عظمى لكن بطانته يصوّبون قوله وفعله حتى يوصلوه إلى درجة العصمة، فيبقى على خطئه ويستمر على أوهامه، والسياسي تُحجب عنه حقائق الوطن والناس تحت مظلّة (الناس مرتاحون ويدعون لكم وهم في أرغد عيش وأحسن حال) فيُعطَّل اهتمام الوالي بأحوال الناس وحاجتهم، وتنحدر البلاد في التّخلّف والفقر؛ لأن هذه العصابة قد ضمنت مصالحها واطمأنت لمستقبلها ولا يعنيها حال أحد من البشر.

فينبغي أن تُخلع الأقنعة السوداء عن وجوه هذه البطانة التي تحف بالوالي والعالم والوجيه والرمز؛ ليرى الأمور كما هي وتتضح له الأشياء على حقيقتها، ويتخذ القرار المناسب والقول المناسب والرأي المناسب في الوقت المناسب، وبإمكانك أن تسأل

كل بطانة متنفّذة نفعية عن الرمز الذي تحف به فسوف تسمع من التقديس والغلو والإطراء ما تنفر منه الأسماع، وتشمئز منه الطباع، ويورث الرأس الصداع.

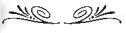

obeikandl.com